
كتاب اليوم
عبد الوهاب مطاوع
أقنعة الحب السبعة
٣٠ قصة حب واقعيه



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

طبعة ثانية

عدد أكتوبر ١٩٩٦

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :
نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

البلد	السعر	العملة
الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٥	درهما
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١	دينار
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل.س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنتا
ج. اليمنية	١٥٠	ريالا
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

٣٠ قصة حب واقعية

أقنعة الحب السبعة!

عبد الوهاب مطاوع

بحر الحب.. بلا شطآن!

«بيت من الشعر الفارسي القديم»

● الغلاف والرسوم الداخلية بريشة :

عمـــرو فـهـمى

لمــاذا الحـب ..
ولمـاذا أقنعته السبعة ؟

على عكس كل كتبى السابقة بدأت عند إعداد هذا الكتاب للنشر بما انتهى إليه عادة عند إعداد كتاب جديد وهو اختيار العنوان !

فلقد اخترت العنوان أولا أو « استعرتــه » بمعنى أصح ثم بدأت فى اعداد مادته للنشر واختيارها .

أمــا لماذا لم أستطع مقاومــة نـداء استعارتــه من مبـدعه الأصلى وهــو الأديب الفرنسى أندريــه موروا ، فلأننى منذ قرأت كتــابه الذى يحمل نفس هــذا العنوان.. وأنــا أفكر فى تكــرار تجربته فى عــرض مجموعــة من قصص الحب التى تعكس أشكاله وأحواله المتنوعة !

ولقــد اختــار مــوروا تعبير « الأقنعة السبعــة » رمــزا لتعــدد الأشكــال والألوان التى قــد يتمثل فيها الحب ، وعــرض لسبعة ألوان مختلفــة منه من خلال عرضه لسبعة أعمال روائية لأدباء عالميين .

وكانت فكرتى هى أن أجمع بين دفتى كتــاب ثلاثين قصة صنعها الحب بأشكالــه المتعددة فى دنيا الــواقع وليس فى عالم الخيــال الروائى، فإذا قلت عنهــا انها تتخفى وراء « أقنعة الحب السبعــة »، فليس معنى ذلك أنــه ليس للحب سوى سبعــة أشكال محددة، فقد استعمل أدباء ومفكـرون عديدون تعبير « الأقنعة السبعــة » كإشارة للأقنعة السبعــة أو الغلالات السبع التى قيل إن الأميرة اليهــودية ســالــومى قد ارتــدتها وخلعتهــا خلال رقصتهــا الخليعة أمام عمها هيرودوس حاكم الجليل .

وأصل القصــة التــاريخيــة هى أن هيرودوس حــاكم الجليل فى أرض فلسطين القديمة قد اغتصب زوجة أخيــه هيروديا واتخذها لنفسه عروسا ، فنــدد يوحنــا المعمدان النبى اليهــودى الــذى بشر بظهور المسيح، بفعلتــه

النكراء المخالفة للشريعة وأمر هيرودوس بالقبض عليه وايداعه السجن وهم بقتله لولا أنه خشي من إغضاب الشعب الذى التف حول النبى الشجاع ، وأحنق هيروديا تنديد يوحنا المعمدان بها حتى من سجنه ودبرت أن ترقص ابنتها الجميلة سالومى فى حفل ميلاد عمها رقصا خلابا يأخذ بلبه ثم تطلب منه بعده رأس يوحنا كمكافأة لها على إجادة الرقص ، ورقصت سالومى بالفعل رقصتها الخليعة أمام عمهاوزوج أمها واستخدمت فى رقصتها سبعة أقنعة أو سبع غلالات خفيفة فاضحة وخلبت لبه فسألها أن تطلب ما تشاء « ولو إلى نصف مملكته » فكان مطلبها هو أن يقدم إليها رأس يوحنا المعمدان واستجاب لها هيرودوس وأمر بقتله وجز رأسه .. وقدم إليها بالفعل على طبق من الفضة ، وعلى مدى العصور التالية سجلت ريشة الفن هذا المشهد الفريد فى لوحات فنية عالمية عديدة وعولجت القصة التاريخية فى أعمال مسرحية وأوبرالية عديدة منها مسرحية شهيرة للكاتب البريطانى أوسكار وايلد وأوبرا أخرى تحمل نفس الاسم للموسيقار شتراوس .

وبعد أكثر من سبعة قرون قال سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن على رضى الله عنه تعليقا على نفس القصة :

— من هوان الدنيا على الله .. أن رأس يحيى بن زكريا « يوحنا المعمدان » قد أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل !

أما تعبير « الأقنعة السبعة » رمزا للتعدد والتنوع فلقد أصبح تراثا أدبيا وتقليدا فكريا ، يتكرر فى كتابات الأدباء والمفكرين رمزا للتنوع والتعدد .

وحين بدأت التفكير فى إعداد هذا الكتاب تلبية لدعوة كريمة من الزميل الأستاذ نبيل أباظة مدير عام قطاع الثقافة بمؤسسة أخبار اليوم ، « وبتحريض » ثقافى عظيم من الزميلة الأستاذة نوال مصطفى المحررة بالأخبار، لم أجد فى ذهنى عنوانا لكتاب يقدم نماذج مختلفة من قصص الحب الواقعية التى تعاملت معها فى بريد الجمعة سوى هذا العنوان .

فإذا كان قد فاتنى استئذان أحد فى استعارته فلأن العنوان نفسه قد أصبح من التراث الأدبى المشاع .

وإذا كنت قد عانيتُ من قبل فى اختيار نماذج من أفضل القصص

الإنسانية التى نشرت فى بـريد الجمعة لإصدارها فى كتب ، فلقـد كان عنائى مع هـذا الكتـاب أكبر وأعظم لأن الموضـوع محدد .. والأشكـال متعـددة ومتنـوعة .. ولابـد من اختيـار الأفضل والأكثر تميـزا وإيحاء من غيره من القصص .

وهكذا فقـد راجعت كل ما نشر فى بريـد الجمعة خـلال ١٤عاما كـاملة واخترت منـه ثـلاثين قصـة حب صنعهـا الـزمن وكتب لى عنهـا أبطـالها الحقيقيون يستشيروننى فى أمرهـم ورددت عليهم بما رأيت فيه خيرهم .

وفى هـذا الكتاب بـانوراما واقعيـة عريضـة لألوان متعـددة من الحب « بأحـواله » المألـوفة .. ففيـه الحب الصـادق .. والحب الموهـوم .. والحب الطـاهـر .. والحب الآثم .. والحب البـانى .. والحب الهادم .. والحب الهادىء.. والحب العنيف .. والحب من أول نظرة .. والحب الذى نضج على نار هادئة بطيئة .. وفيه أيضا الحب الأبدى .. والحب قصير العمر كالزهور سريعة الذبول .

فإذا كنت قـد اخترت هذه المرة تلك النـوعيـة وحدهـا من قصص بريـد الجمعـة الإنسـانية ، فـلأنى أؤمن مـع الفنان الإيطـالى العظيم ليـونـاردو دافنشى بأنه :

— كلما عظُمت النفس الإنسانية .. زاد الحب عمقا !

ولأنى أؤمن أيضا بأن الإنسان القادر على الحب هو الإنسان القادر على العطاء للحياة .. وعلى العدل والرحمة والـرفق بالإنسان والحيوان والنبات . فمفهوم الحب الإنسانى عندى أوسع وأشمل كثيرا من مفهوم العاطفة التى تـربط بين رجل وامـرأة ، وإلا فبماذا نصـف مشـاعـر الأمّ تجاه طفلهـا .. ومشاعر الطفل تجاه أمه وأبيه ومشـاعر الأب تجاه أبنائه والأخ تجاه إخوته والصـديق تجاه أقـرب أصـدقائه . إلا بأنها أحـد أشكـال الحب العـاطفى العميق وإن اختلف « القناع » واختلف أسلوب التعبير عنه .

إن الحب العاطفى بين الرجل والمرأة شكـل من أشكال الحب لكنه شكل متعدد الألوان كقوس قزح .. أما بحر الحب الإنسانى نفسه فلا حدود له .. ولا حد لأشكاله وأنواعه وصـوره .

ولو تأملنا تـاريخ البشر لعرفنا أن كل من أرادوا خير الإنسـان وأضـافوا

للحياة إضافات ثمينة كانوا عشاقا محبين للإنسانية لكن دائرة عشقهم اتسعت فشملت إلى جوار حبيبة القلب حب النوع الإنسانى كله وحب القيم الدينية والأخلاقية والمثاليات . ولا عجب فى ذلك لأنك لن تجد أبدا كارها للإنسان يقدر على الحب الحقيقى والعطاء المخلص لأحد من البشر ، ولأنه كلما ازدادت مساحة الحب فى الحياة ضاقت مساحة الشر والغدر والخديعة والظلم .

وقديما قال الكاتب والشاعر الأمريكى هنرى ثورو إن « الإنسان المجرد من المشاعر والذى لا تحركه إلا غرائزه هو ابن عم أشجار الصنوبر وأحجار الصخور ! » .

وهذا صحيح إلى حد كبير .. وكلما اتسعت مساحة العناء والقسوة والشر فى مجتمع ما كان ذلك دليلا على أن عدد « أبناء عم » أشجار الصنوبر وأحجار الصخور ، فى هذا المجتمع قد تخطى حاجز الأمان !

وكلما زاد العطف الإنسانى وعلت قيم العدل والرفق والرحمة والتكافل والمشاركة كان ذلك دليلا على كثرة عدد أصحاب القلوب الحكيمة الذين يؤمنون بخيرية الحياة ويتعاملون مع البشر بفروسية المُحب النبيل .. وقيمه الأخلاقية والمثالية .

وهل كانت الأديان السماوية كلها فى جوهرها إلا دعوة للحب والرحمة والعطف والعدل والسلام ؟ وهل كان الأنبياء والمصلحون جميعا إلا محبين للبشر والإنسانية وقادرين على العطاء لهم والتضحية واحتمال الأذى من أجلهم ؟ وكل ذلك فى النهاية من « أحوال الحب » الصادق .. وإن اختلفت المجالات .. وتنوعت أساليب التعبير .. وتعددت الأقنعة !

عبد الوهاب مطاوع

قالوا عنه !

الحب هو أن تهرب مع شخص واحد .. من تفاهة الأشخاص الآخرين !

إبيل بونار (كاتب فرنسى)

الحب هو الاستمتاع برؤية شخص يعجبنا ويحبنا والاستمتاع «بإدراكه» بكل الحواس .. وبكل الطرق الممكنة !

الأديب الفرنسى ستاندال

حين يتحاب اثنان فلن يسعدهما شيء أكثر من أن يعطى كل منهما للآخر حياته وأفكاره وعصارة نفسه .

الأديب الفرنسى جى . دى . موباسان

لكل إنسان رائحة خاصة لا تشمها إلا حبيبته !

د . محمد فتحى

لا اعتدال فى الحب وليس فى الحب وسط ولا بين بين وحيث يكون السأم تكون الكراهية !

ميشيليه (مفكر فرنسى)

الحب تجربة حية فريدة لا يعانيها إلا من يعيشها .

الأديبة الفرنسية سيمون دى بوفوار فى كتابها عن الجنس الآخر

تحاببنا .. ونحب .. وسوف نحب !

عبارة نقشت على شاهد قبر يضم زوجين متحابين بناء على طلبهما قبل أن يودعا الحياة هما الروائى الانجليزى تشارلس كنجسلى وزوجته

الحب الحقيقى صداقة اشتعلت فيها نار العاطفة !

من أمثال الشعوب

أحبك لأنى أحب الله !

الفريد تنيسون (شاعر إنجليزى)

الحب دواء وداء وجنة وجحيم وأشواك وأزهار .

من أمثال الشعوب

من علاماته أن ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من نفسه وجميع خاصته !

الإمام الفقيه ابن حزم الأندلسى

١

٣٠ قصة حب واقعية

٣٧

حفل الزفاف

أنا يا سيدى شاب عشت تجربة فريدة وأود أن أضعها أمام قرائك ليستفيدوا منها مثلما أستفيد أنا من تجارب الآخرين . فقد نشأت فى أسرة ميسورة الحال .. ووالدى ضابط شرطة وصل إلى أعلى رتبها.. وهو ابن «باشا» سابق أما والدتى فسيدة مجتمعات مثقفة جدا ، ولى شقيقة وشقيق يشغلان الآن وظيفتين محترمتين.. وأنا الابن الأكبر لأبوى.. وقد نشأنا جميعا فى جو أرستقراطى يهتم كثيرا بالشكليات والتقاليد وكل شىء فيه بمواعيد ونظام .. وصداقاتنا العائلية كلها من نفس المستوى..

ولأسباب لا أعرفها حتى الآن وجدت نفسى لا أميل كثيرا إلى هذه الحياة.. ولا أجد نفسى فى صداقات الشبان والفتيات من وسطنا الاجتماعى.. فاتجهت صداقاتى كلها إلى الشبان البسطاء المكافحين مما جعلنى موضع نقد من أفراد أسرتى الذين اتهمونى بأنى لا أحافظ على مستواى الاجتماعى !

ولأن أبى قد ورث عن أبيه ميراثا ضخما فلقد كنا نعيش حياة مترفة وعندما التحقت بكلية الطب كانت لى سيارة بويك كبيرة أذهب بها إلى الكلية وكثيرا ما رجوت أبى أن يستبدلها لى بسيارة صغيرة لكيلا أشعر بالحرج من زملائى وأساتذتى فكان يرفض بإصرار وكنت أتعمد تركها بعيدا نسبيا عن مبنى الكلية..

وأثناء دراستى بالكلية ارتبطت عاطفيا بإحدى زميلاتى شدتنى إليها ببساطتها ولمست فى أعماقها حنان الدنيا فضلا عن جمالها وذكائها وكانت متفوقة وكنت أيضا متفوقا وتعاهدنا على الارتباط الأبدى بإذن الله وجاء يوم التخرج ونجحنا نحن الاثنين بتقدير عال.. وجاءت اللحظة التى ينبغى أن أحول فيها حلمنا إلى حقيقة وفاتحت أسرتى برغبتى فى خطبتها ودعوتها لزيارتنا فجاءت ورآها أبى وأمى وأخوتى وأعجبوا جميعا بجمالها وهدوئها وذوقها فى اختيار ملابسها ..

وبعد الزيارة سألنى أبى عن مهنة أبيها وما إن أجبته حتى انفجرت

بـراكين الغضب فى أعماقه وهـب واقفا يحطم بيـديـه الأكواب التـى أمامـه ويعلن بكل إصرار أن هـذا الـزواج لن يتم أبدا.. فهـل تدرى لماذا؟ لأن والـد حبيبتى.. حـلاق نعم حـلاق وأقولها بكـل فخر واعتـزاز لأنـه رجل شريف مكـافح أدى واجبـه تجاه أسرتـه وحقق ما لم يحققـه بعض «البـاشـوات» فأهدى إلى الحيـاة ثلاثة أطباء ومهنـدسا معماريا وضابطـا رغم انه لم ينل حظا كافيا من التعليم.

وانحازت أمى إلى جانب أبـى وانحاز معهما شقيقى وشقيقتى، ووجدت نفسى وحدى أتسـاءل ما ذنبى أنـا وفتاتى فى أن يُحرم كل منـا من الآخر.. وأنا الـذى لم أعرف للدنيـا معنى إلا بعد أن أحببتهـا؟ وقررت أن أدافع عن حبى وحيـاتى وتوجهت إلى بيت حبيبتى وقـابلت أباهـا.. وأعطيته صـورة صادقة عن الموقف ففـوجئت به بعد أن عرف بمعارضـة أسرتى يرفض هو أيضا زواجى من ابنته ويقسم انه لن يسمح بذلك أبدا لأنه لا يرضـى لنفسه ولا لأسرتـه أن يقال عنهـم انهم قد «ضـحكـوا على» وخطفـونى من أسرتى، وحين رأى تمسك ابنته بى أعلن بكل وضـوح انه سيتبرأ منها لـو تزوجتنى على غير إرادته وإرادة أسرتى.

ووجدنا نفسينا حائرين.. أسرتى تـرفض بسبب نظرة اجتماعية بالية.. وأسرة حبيبتى ترفض دفاعا عن كرامتها.

وقررت بعـد تفكير طويل أن أضع حـدا لهذا العذاب فـاصطحبت فتاتى ذات يوم ومعى صـديقان إلى مكتب المأذون وأخرجنـا بطاقتينا وطلبنـا منه عقد زواجنا.. وحين قال لى قل يا سيدى: قبلت زواجك على سنة الله ورسوله وعلى الصداق المسمى بيننا وعلى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنـه.. انهمرت دمـوعى ودموعهـا ودمـوع صديقىَّ.. وخـرجنا من مكتبـه زوجين أمام الله والنـاس لنواجـه قدرنـا وحدنـا بلا سنـد إلا الله سبحانـه وتعالى، ولم تتأخـر المتاعب طـويلا فما إن علم أبى بما حـدث حتى طردنى من البيت وسحب منى السيـارة فخرجـت من البيت أحمل حقيبة مـلابسى الصغيرة وفى جيبى سبعة جنيهـات هى كل ما بقى معى بعـد أجر المأذون، وما إن علم أبوها بما جرى حتى طردها هى أيضا فـخرجت من البيت ومعها حقيبة مـلابس صغيرة وأربعة جنيهـات، ووجدنـا نفسينا فى الشـارع بلا

مأوى.. وكنا فى شهر فبراير ولم يبق سوى شهر على تسلم عملنا كطبيبى امتياز حيث سيتقاضى كل منا أربعين جنيها، وكانت ليلة طردنا ليلة شديدة البرودة.. فجلسنا فى محل نحتمى داخله من الصقيع ونفكر فيما سنفعل.. وكلما مرت ساعة ولم نجد مأوى ازداد خوفنا.. حتى جاء الفرج ونجحت فى الاتصال بأحد أصدقائى واقترضت منه خمسين جنيها وذهبنا إلى إحدى اللوكاندات الشعبية الرخيصة.. وحين احتوتنا الغرفة المتواضعة لأول مرة.. كان كل منا يعرف فى أعماقه ان أمامنا أياما صعبة لن يخفف منها سوى عطف كل منا على الآخر وحمايته له.. وعشنا فى هذه اللوكاندة فترة تسلمنا خلالها العمل فى المستشفى، ثم وفق الله أحد أصدقائى فى أن يجد لنا شقة من حجرتين على الطوب الأحمر فى بيت صغير فى زقاق ضيق بأحد الأحياء الشعبية، وكانت هدية من السماء لأن صاحبها كان فى حاجة إلى نقود فقبل تأجيرها لنا بلا مقدم ولا خلو بخمسة وعشرين جنيها، وفرحنا بها فرحة كبرى وأسرعنا ننتقل إليها.. واشترينا أول أثاث عرفناه لبيتنا وكان مرتبة من الاسفنج ووسادتين ومكتبا خشبيا صغيرا وكرسيين ووابور جاز.. وبرادا وكوبين وحلتين فقط لا غير!

وفى هذا العش الهادىء عشنا حياتنا سعداء بوجودنا معا لا يزعجنا فيه شىء سوى كثرة الفئران والحشرات وكانت زوجتى قوية الارادة فتعاهدنا على أن نبنى حياتنا دون مساعدة من أحد.. وكانت أيضا مدبرة فكان مبلغ الخمسة والخمسين جنيها التى تتبقى لنا بعد دفع الايجار تكفينا طوال الشهر للأكل والمواصلات ولكن بلا أى ترفيه أو شراء ملابس، وأحبنا جيراننا البسطاء.. وأحببناهم وكانوا يشفقون علينا من شظف حياتنا ويتعجبون من سوء حالنا ونحن طبيبان حتى قال لى أحدهم مرة بتلقائية غريبة «كنا فاكرين ان الدكاترة كلهم أغنياء لكن ياما فى الحبس مظاليم!»

وخففت عنا صداقاتهم بعض صعوبة الحياة فكانت جاراتنا يعرضن خدماتهن على زوجتى بشهامة صادقة فتطلب منها جارة مثلا ملابسنا لكى تغسلها مع غسيلها لأننا طبيبان مشغولان بالعمل.. وتتطوع أخرى بشراء حاجيات البيت لها.. وتصر ثالثة على أن تشاركها تنظيف الشقة بهمة، وأنا أتذكر هذه الأشياء البسيطة الآن.. لأنى كثيرا ما وجدت فيها

تعـــــويضـــــا لنا عن جفاء أهلنا وقسوتهم علينا فى هذه الأيام الصعبة رغم علمهم بكل ظـــروفنـــا، ففى مقـــابل هـــذا العطف مـــن الجيران البسطـاء.. لم يحاول أحد من أهلنـــا زيارتنا أو الســؤال عنا.. بل ولم يتركونـا أيضا فى حالنا ففوجئت فى إحدى الليالى وأنا وزوجتى نائمين بعد يوم شاق فى العمل بأربعة وحـوش يقتحمون شقتنا، ويحطمون المكتب والكـرسيين ويمزقون المرتبة الوحيدة التى ننام عليها وكتبنـا وأوراقنا ويسبوننا بأفظع الشتائم.. بحجة انهم يفتشون الشقة! ثم خـرجوا ورئيسـهم يهددنى قائلا: أنتم لسة شفتم حاجة.. عشـــان تبقى تتحدى الباشا! يقصد أبى الذى كـان قد ترقى وقتها إلى رتبة اللواء!

وخرج الـرجال الأربعـة.. وانحنينا نحن نلملم الاسفنج الـذى تفزز من بطن المرتبـة ونعيد حشـوها ونخيطهـا.. ونجمع كتبنا الممـزقة.. ونحـاول إصلاح المكتب والكرسيين.. ثم غلبنا التعـب فنمنا على المرتبة وقد أمسك كل منا بالآخر بقوة كأنه يحتمى به ممـا تخفيه له الأيام.. وبالفعل فلقد انتابنى الاحســاس بأن أبى لن يـــدعنـــا فى حـــالنـــا.. وتحققت مخاوفى حين أبلغنى صديق لى بأن أبى يدبر أن يلفق لـزوجتى قضية آداب! إن هذا ما حدث والله العظيم ولم يرجع أبى عن نيتـه إلى بعد أن اقسم له صـــديقى بأنه سيقنعنى بتطليقها راجيا منـه الا يفعل ذلك لكيلا «أعاند» وأتمسك بها أكثـر لو حدث لها مكروه، وأصبحت مهمة صديقى هى أن يـزوره كل عدة أيام ليطلب منه الصبر.. حتى ينجح فى إقنـاعى بالطـلاق وذلك بهدف إضاعـة الوقت لعلـه يهدأ وينســـانى قليـلا.. وخـلال ذلك جاءت فترة التجنيـد وأمضيت عـامـا لا أتقاضى فيه سوى ستـة جنيهات كل شـهر وكنت أعمل لهذه الفترة ألف حســاب لكن الله لم ينسنا فـوجدت زوجتى عمـلا فى مستوصـف قـريب من البيت وأصبحت هى التى تتولى الانفاق على الأسرة..

وانتهت فترة التجنيـد وخرجت مـن الجيش لأجد زوجتى مصممـة على تسجيل الماجستير لى ولها فظننت أن عقلهـا قد أصـابه الجنون! فقـد كنت أنتظـر بفـارغ الصبر انتهــاء فترة التجنيـــد لكى نبحث عن عمل فى الخـارج ونهرب بعيدا عن قســوة الأهل وتربصـهم بنـا، لكنها صممت وقـالت لى اننا

متفوقان وقد صمدنا للضيق والشدة والمضايقات فلماذا لا نكمل مشوارنا العلمى ثم نحقق بعد ذلك أحلامنا.

واستجبت لاقتراحها مرغما ومعجبا بها وبقوة إرادتها فى نفس الوقت وسجلت أنا وهى للماجستير.. وبدلا من أن نستريح بعد كل ما لقيناه.. بدأنا نستعد لفترة أخرى أشد قسوة ومرارة.. لأن الماجستير يحتاج إلى تكاليف وإلى كتب وإلى عناء كثير..

وبدأنا نذاكر للماجستير.. وقاسينا من الضيق والحاجة أشد مما قاسيناه فى بداية زواجنا.. ويكفى أن أقول لك ان طعامنا خلال الشهرين الأخيرين من الدراسة كان لا يتجاوز الخبز والدُّقة والملح والماء تقريبا، وأننا كثيرا ما قاسينا الجوع فى ليالى المذاكرة الطويلة.. ولم نكن نجد ما نسكته به سوى الماء، ومازلت أذكر حتى الآن أنى أسرفت ذات ليلة فى شرب الماء لكى أتقى الجوع فانقلبت معدتى وتقيأت وشعرت بالجوع أكثر وأكثر ولم نجد بدا من التضحية ببضعة قروش فخرجت فى الليل أبحث عن شىء يؤكل..

ورغم ذلك كنا سعداء.. ولم نشك يوما.. ولم نندم ولم أر زوجتى مرة باكية.. أو حزينة.. أو غاضبة لأى سبب من الأسباب.. بل كنت كلما رفعت رأسى عن الكتاب.. متململا وجدتها تنظر لى بعينيها الجميلتين والابتسامة الحبيبة تغطى وجهها.. فأبتسم لها ثم أحنى رأسى مرة أخرى على الكتاب.. وقد زال ضيقى!

وكلّل الله جهودنا بالنجاح فحصلنا على الماجستير فى زمن قياسى خلال عامين فقط.. لكن أزمتنا لم تنفرج بل عشنا عاما آخر بعد الماجستير نعانى من شظف العيش وننام فوق المرتبة وليس فى حياتنا أية نسمة راحة حتى وفقنى الله بعد جهد جهيد فى الحصول على عقد عمل لى ولزوجتى فى إحدى الدول العربية ولأول مرة بعد ٥ سنوات من العناء عرفت حياتنا أول لحظة راحة.. فعشنا فى شقة جميلة وعرفنا النوم على الفراش.. وعرفنا التليفزيون بعد أن كنا قد نسيناه.. وعرفنا الطعام الجيد بعد أن كنا قد ودعناه منذ ٥ سنوات وخلال عامين كنا قد تمكنا من شراء شقة تمليك فى أحد أحياء القاهرة وأثثناها.. واشتاقت نفسى للعودة إلى بلدى بعد أن وجدنا لأنفسنا

فيها مأوى كريما، لكـن حبيبتى «المجنونة» خرجت على مـرة أخرى بطموح جـديد هـو أن نحصل على زمـالـة كلية الجراحين الملكيـة بلنـدن.. وبنفس المنطق: نحن متفـوقان.. وقـد مضت أيـام الشدة ولـدينا الآن النقـود التى تسمح لنا بالانفاق على الـزمالة.. الخ.. وباختصار فقد حصلنـا على الزمالة من لندن بتوفيق من الله.. وبجدّنا واجتهادنـا وبعد الحصول عليها تعاقدنا للعمل فى دولة أخـرى بمرتبين خياليين وتقـدمنا فى عملنا فأصبحت مـديرا فنيـا للمستشفى الـذى أعمل به وأصبحـت زوجتى مديـرة للقطـاع الطبى بالشركـة التى تعمل بها.. ورزقنا الله بطفلـة جميلة لم أتـردد فى أن أسميها باسم شريكة كفاحى وشقائى وسعادتى أى باسم زوجتى..

وبعـد ٣ سنوات من الغـربـة.. عدنـا إلى القـاهرة فى اجـازة.. وفى داخلى تصميم على شىء لم أصـارح به زوجتى إلا بعـد وصولنا لمصر بـاسبوع.. هو أن نحتفل بزفافنا الذى لم نحتفل بـه يوم تزوجنا منذ ٨ سنوات لأن من حق حبيبتى أن ترتدى ثوب الزفاف الأبيض الـذى لم ترتديه وأن أرتدى أنا أيضـا بدلـة الفـرح التى لم يكن لى مثلهـا حين تزوجت.. وصممت ونفـذت وتحديت الجميع وأقمت حفـل الـزفـاف فى نـادى الشرطـة! ودعـوت كل أصدقائى الـذين وقفوا إلى جوارنا فى وقت الشـدة.. وتصدر الحفل جيرانى البسطـاء فى شقـة الطـوب الأحمر فـرحين منـدهشين ودخلت القـاعـة مع زوجتى بثوب الزفـاف وأمامنا المشاعل.. والشموع وفرقـة الزفة.. وطفلتى تجرى بين أقدام المدعـوين وتضحك سعيدة وهى لا تدرى انـه حفل زفاف أبويها! ونمت ليلتها قرير العين شاكرا لربى نعمته التى أنعمها علىّ..

انتى أكتب إليك الآن لأنى سعيـد وراض عن كفاحى لأقـول لكل إنسان ان الصبر والكفاح يحققـان للإنسان مـا يريده لنفسـه وأن على كل إنسان الا ييأس من رحمة الله لأن لكل شدة نهاية ولكـل ضيق آخر وعلينا فقط أن نـؤدى واجبنا تجاه أنفسنـا ثم نسلم الأمر للخـالق جل شأنـه ليختار لنـا ما يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله..

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول:

منـذ زمن طويل لم أتلق رسـالـة واحدة كـرسـالتك هذه لا يطلب فيهـا كـاتبها شيئـا سوى أن يضع تجربتـه السعيدة أمـام الآخرين ليستفيـدوا

منهـا، ولا عجب فى ذلك لأن من يكتب عن نفسـه يميل بـه قلمـه غـالبـا إلى النجوى وبث الهموم كأننا نردد جميعا مع المتنبى قوله:

ليت شعرى هل أقول قصيدة   فلا أشتكى فيهـا ولا أتعتبُ ؟

لكنك قلت « قصيـدتك » يا صـديقى فلم تشك فيهـا ولم « تتعتب» رغم ما لقيتـه من شقاء فى حيـاتك ولذلك فلقـد سعدت بها كثيرا ودهشت لحفل الـزفاف المؤجل منـذ ٨ سنوات ولم أعجب لـه لأن من حق من يشقى أعظم الشقـاء أن يسعد أيضـا أعظم السعادة، كما لم يخف عنى معنى «مغـزى» اختيارك لنادى الشرطة بالذات لإقامـة هذا الحفل الغريب فيه كأنك تريد أن تبعث بـه إلى أبيك رسـالة تقـول لـه فيهـا انك قـد صمدت لعـدوانـه عليك وكافحت ونـجحت وحققت لنفسـك السعادة التى أردتها باختيـارك لشريكة عمرك..

والحق ان زوجتك تستحق هذا الحفل وأكثـر.. لأنها من بانيات الـرجال وقد دفعتك خطـوات واسعة إلى الأمام بإرادتها الصلبة وبصبرهـا وكفاحها معك وإخلاصها لك ولأنك أيضا وجدت معها جنتك الحقيقية وأنتما ترقدان فوق حشيـة الاسفنج فى شقة الطـوب الأحمر.. وسوف تجدهـا معها دائما بإذن الله وسوف تحقق معها الكثير والكثير أيضـا..

وبالـرغم من تقديسى دائما لـرمز الأب واعترافى لـه بحقه فى أن يحجب موافقته على زواج ابنه وفقا لما يراه من اعتبارات، إلا انى فزعت من أن تصل معـارضته لـزواجك إلى حد استخـدام الأساليب البـوليسية الكـريهة معك لإكراهك على الانفصـال عنها..

فلقد كان يكفيه أنه طردك من بيتـه وحرمك من معونته وقبض عنك يده وتـركك تقاسى شظف العيش وتغـالب الجوع والحرمـان مع زوجتك، نعم كان يكفيه كل ذلك ثم يدعك لتخـوض تجربتك وفقا لاختيارك، أما أن يطلق عليك وحـوشه ليقضـوا مضجعك، ويهدد بتلفيق قضيـة مـاسة بـالشرف لزوجتك فهذا هـو الجُرم الذى ما كان ينبغى له أن يرتكبـه فى حق ابنه أبدا.. ذلك أن الأب لا يملك لابنه الـرشيد فى النهـاية سـوى النصح والارشاد، فإن لم يمتثل لنصيحته فليـدعه لحياته ولمصيره وربما كـان الأقرب إلى الرحمة ولمعنى الأبوة بعد ذلك أن يمـده من بعيد بمعونته حتى ولـو تمسك بموقفه

الرافـض منه، أمـا أن يطارده بهذا الشكل المفـزع فهذا هـو التجبر وغرور السلطـة بعينهما إذ ماذا كـان يملك أن يفعل لـو لم يكن فى موقع يسمح لـه بإرسال الوحوش إلى بيت ابنه!

فلنترك على أية حال هـذا الحديث المؤلم.. ودعنى أقل لك بعد كل ذلك ان الأيام تأسو الجراح وان أيام الشقـاء قد مضت بخيرها وشرها.. وأنتما الآن زوجان سعيـدان وشريكان ناجحان متفـوقان ولستما فى حاجة إلى معـونة أحـد لكنكما فى حاجـة بالتأكيـد إلى أن يكون لكما أهل وأقـارب، فالانســان الوحيد الذى تشغله رحلة الكفاح عن نفسه.. يبحث حين تستقر سفينته عن أهله، وقد يتلمس أقاربه البعيدين لينتسب إليهم ويجدد صلاته بهم..

أنتما لستما فى حـاجة إلى البحث عن الأهل والأقـارب لأنهم موجـودون والحمـد لله لكن ظـروف حيـاتكما قـد بـاعـدت بينكم، فلماذا لا تستكمل سعـادتك بأن تفتح صفحـة جديـدة حتى مع من أسـاءوا إليك وظلمـوك؟ ولم لا تستعيد صلاتك بأسرتـك وتستعيد زوجتك صلاتها بأسرتها وأنتما الآن زوجان تفخر بهما أية أسرة! بل ولماذا لا تتيح لأسرتك فرصة أن تعرف زوجتك على حقيقتهـــا.. وطفلتك التى لم تـــرهـا حتـى الآن؟ إنك ان فعلت فســوف يكـون ذلك تأكيـدا جـديـدا لاستقـامـة خلقك وعلى انك من ذوى النفوس الكبيرة التـى لا تؤثر فيهـا الصغائر ولا الأحقـاد، فلم لا تفعل لكى يعـرف من أساءوا إليك أى جـرم ارتكبوه فى حقك حين بـاعدوك وطـاردوك لغـــير شىء ســوى لأنك قـد وجدت نعيمك وسعـادتك مع هـذه الشريكـة الرائعة !

٢

٣٠ قصة حب واقعية

الطريق الطويل



سيدى .. أكتب إليك هذه الرسالة من « استراحة » صغيرة فى الطريق الذى أقطعه كل يوم إلى عملى الشاق فأنا شاب فى السابعة والعشرين من عمرى تخرجت فى كلية الهندسة منذ عامين ، وقبل انتهاء دراستى بثلاثة أعوام ارتبطت عاطفيا بزميلة لى وهى فتاة رائعة جميلة اختار كل منا الآخر وتعاهدنا على أن نكمل معا مشوار الحياة . ولأننى إنسان مستقيم وواضح فلقد طلبت منها يوم إعلان النتيجة أن تقدمنى لأسرتها وزرت الأسرة وتعرفت بالأب والأم والأشقاء واختليت بأبيها وقلت له إننى شاب لا يملك إلا مستقبله وإنى يتيم لا أملك سوى معاش أبى وقد سعيت لهذا اللقاء لكى أدخل البيوت من أبوابها وإنى أريد إذا قبلنى خطيبا لابنته فى المستقبل أن أقرأ الفاتحة معه وأقدم لها دبلة الخطبة وبعد أن أعمل أواصل خطوات الزواج ، فاستمع إلى باهتمام شديد ووعدنى بأن يعطينى الجواب بعد عشرة أيام ..

وعدت إلى بيتى سعيدا وصارحت أمى بما حدث فأنا ابنها الوحيد إلى جانب شقيقتين متزوجتين وأعيش معها فى شقة مقبولة . وقبل انتهاء المهلة بيوم اتصلت بفتاتى لأعرف الجواب فوجدتها حزينة لأن أباها لم يرحب بى! وسألت عن الأسباب .. فقالت لى أن وجهة نظر أبيها هى أننى شاب طيب مستقيم لكنى لا أملك شيئا ولا أمل لى فى إيجاد شقة أو فى المساهمة فى تكاليف الزواج .

سمعت صوتها الحزين ينعى إلى أحلامى بهذه الكلمات فأحسست بأن الدنيا تدور بى .. نعم لا أمل لى فى شقة خلال فترة قصيرة .. لكن ألست إنسانا من حقه أن يكون له عش أحلامه مع الفتاة التى اختارها ، كنت غارقا فى أفكارى فلم أتنبه إلى صوتها وهى تنادينى .. وتسألنى هل مازلت أسمعها .. فاستردت نفسى سريعا وقلت لها نعم أسمعك .. وسأحضر إلى أبيك الآن وأناقشه . وفى تصميم من يدافع عن حياته أسرعت إلى بيتها .. وفوجىء بى أبوها .. فقلت له بلا مقدمات : إننى لم أحضر لأعرف جوابك

لأنى قد عـرفته لكنى جئت لأدافع عن حياتى وأملى .. فلقـد تـخرجت فى كلية الهندسـة وسوف أجد عملا وسأسعى للسفـر للخارج وأنا مـرتبط بابنتك ولا أتصور لنفسى حياة بعيدا عنها .. وهى كذلك .. وأنا أعرف عنك أنك أب رحيم وحريص على سعادتها .. فلماذا لا تمنحنا فـرصة لكى نحقق أحلامنا معا ؟ .. إنها صغيرة فى السن وأنا فى مقتبل حياتى .. والحياة ممتدة أمامنا.. فماذا يضيرنـا أن نكـافح عـدة سنوات لبنـاء بيتنـا ؟ وسمعنى الأب وهـو متحرج وصمت طـويلا حتى أشفقت عليه من حيرتـه ثم تكلم أخيرا فقال لى إنه يـوافق على ارتبـاطى بابنتـه بشرط عدم إعـلان الخطبة الآن وبشرط ألا أحضر لـزيارتها فى البيت وأن أبـدأ بالبحث عن عمل فى الخارج .. وألا أعـود إليه إلا ومعى عقد العمل .. فإذا جئت به أعلن خطبتنا وخرجت وأنا لا أدرى هل نجحت .. أم فشلت فى تحقيق أحـلامى فكيف أجـد عمـلا فى الخارج .. وأين هو هذا العقد السحرى الذى يفتح لى الأبواب المغلقة .

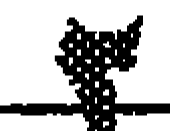
واستمر اتصـالى بها تليفونيا وعـرفت منها أن أباها وافق مضطرا لكيلا يكون قـاسيا معها .. لكنه مقتنع بأنـه لا أمل لنا وأن من الأفضل أن يبحث كل منـا عن مستقبله فى طـريق آخـر .. فلم يغير ذلك من تصميمى .. وقبلت عمـلا بسيطا فى مكتب خـاص لا يـدر علىّ سـوى ١٥٠ جنيها ورغم شـدة حاجتى إلى النقـود فقد حرمت نفسى منهـا وبدأت أدخر حـوالى ١٠٠ جنيه كل شهر .. وواصلت رحلة البحث عـن العمل فلم أترك شركة لم أتصل بها . وأحس صـاحب المكتـب الـذى أعمل معـه بمشكلتى فسألنـى عن ظـروفى فرويتها له بأمـانة فوعدنى بتقديمى لمقاول محاجـر من معارفه سيعطينى مـرتبا أكبر وتسلمت عمـلا جديـدا لـديه بـ ٤٠٠ جنيه فى الشهر .. وبـدأت الكفـاح الحقيقى .. فأصبحت أخرج من بيتى فى الخامسـة صباحـا فأركب الأتوبيس إلى ميـدان المحطة بالجيـزة حيث تنتظرنا سيـارة نقل فأركبها إلى مـوقـع العمل .. وهنـاك أعمـل كل شىء وأى شىء .. أشـارك فى قطع الأحجار.. وأقـوم بإصـلاح سيارات النقل .. وإصـلاح موتـورات المناشير التى تستخـدم فى قطع الحجـر .. وأراقب العمال .. وأركب سيـارة النقل لأحضر المازوت والبنـزين الـذى يحتـاجـه العمل .. ثـم أعـود إلى بيتى فى العاشرة مساء لأستلقى على السرير بلا حـراك وأنام وفى يوم الجمعة أذهب



إلى بيت فتاتي رغم « التعليمات » فلا يجد الأب مفرا من استقبالي فأرى فتاتي ونواصل أحلامنا ثم وافق الأب أخيرا على التخلي عن شرط « عقد العمل » وأن أقدم دبلة الخطبة بغير احتفال ، فقدمتها وسعدت أنا وخطيبتي بذلك سعادة كبرى ، وواصلت عملي .. وكلما مر شهر وقبضت مرتبي أعطيت أمي جزءا منه ووضعت الباقي في مظروف المدخرات .. وأنا أحسب كم بلغت .. فلا أجد للطريق نهاية لكني لا أفقد الأمل ومن ناحية أخرى فقد وجدت خطيبتي عملا مرهقا بعد اشتغالي بحوالي سنة وبدأت تدخر كل ما تتقاضاه منه لكي تساهم به في مقدم الشقة التي نحلم بها .. وفجأة ونحن نحصي الجنيهات كل شهر .. ونتبادل التشجيع .. تعرضت خطيبتي لتجربة عائلية أثرت فيما بعد على علاقتنا أثرا كبيرا . فلقد عاد قريب لها لم يزر مصر منذ ٤ سنوات من الخارج ، وزار بيتها محملا بالهدايا وجلس في الصالون يتحدث بالآلاف .. ويحكي عن الشقة التي حجزها في مصر ودفع ثمنها بالدولارات ثم تساءل فجأة عن الدبلة التي في يدها .. وأبدى دهشته لأنه لم يعرف بخطبتها وأظهر شيئا من خيبة الأمل لأنه كان يعتقد أنها غير مخطوبة ! وبعد هذا اللقاء تكررت زياراته لهم وأحدث ظهوره قلقا في محيط الأسرة لأنه جاء ليقيم في مصر لمدة سنة يحصل خلالها على الماجستير في الطب ثم يعود لعمله .. وقد جاء منتويا أن يتزوج خلال هذا العام .. ويعود بزوجته إلى مقر عمله وتقدم لخطبة خطيبتي .. فرفضت لارتباطها بي ، لكنه أصبح يمثل أمام الأب الحل المثالي لكل المشاكل وصهرني الألم لكني لم أتكلم وآلمني ذات مرة أنها عبّرت عن خواطرها بطريقة عفوية فقالت لي ذات مرة : لماذا لم تكن واحدا ممن يعملون بالخارج هل من يتزوجن عرسانا جاهزين أفضل أو أجمل مني ؟ ورغم أني متأكد من أنها لم تكن تقصد سوى الفضفضة فلقد حزنت .. وقررت أن أعطيها الفرصة للتراجع إذا أرادت ليس إشفاقا عليها فقط .. وإنما أيضا لأني قد بدأت أحس باليأس ، فالعمل يزداد إرهاقا .. وظهري أصبح يؤلمني من قلقلة سيارة النقل كل يوم لمدة ٣ ساعات ذهابا وإيابا فوق المدق الصحراوي وصارحتها بذلك .. فاتهمتني بالجنون وانصرفت غاضبة ووجدت نفسي لا أتصل بها تليفونيا .. وأتخلف عن الذهاب إليها

يوم الجمعة لمدة ٤ أســابيع متوالية ، فلم تتصل بى ومع الأيـام بدأت لسعة الألم تخف قليلا لكن صـورتها لا تفارقنى إلى أن كـان يوم ، نـزلت فيه من الأتوبيس فى ميدان المحطـة فى الساعة السادسة صبـاحا لاتجه إلى السيارة فسمعت صوتا ينـاديني : يا باشمهندس .. يا بـاشمهندس ، فالتفت ورائى فـوجـدتها تقترب منى بـاسمـة .. فتـوقفت منـدهشـا ثم أسرعت إليهـا .. ولم أشعـر بنفسى إلا وأنا أمسـك بيديها مبتهجـا وقـالت لى أنها تريـد أن تذهب معى إلى العمل هذا اليـوم لأنها فى أجازة .. فقدمتها للعمال وانحشرت فى كـابينـة السـائق معى ومعـه، وانطلقت السيـارة بنـا والجميع سعـداء لسعادتى .. وفى الطـريق عرفت منها أن قـريبها لم يقتنع برفضهـا وحاول كثيرا أن يقنعهـا بعدم جـدوى انتظـارهـا لى وأبدى استعـداده لتلبيـة كل مطـالبها ، وأنها مـرت بلحظات لا تنكـر أنها راجعت نفسهـا فيها .. لكنهـا لم تتردد واختارتني لنـواصل معا رحلـة الألف ميل بعد تفكير طـويل وقد انتظرت ذهـابى إليها من الأسبوع الأول لتصـارحنى بذلك لكنى احتجبت عنها .

امضيت يوما سعيدا فى الموقع وشاركتنـى العمل بيديها وتناولنا الغداء فى استراحة الطريق .. وكـان يوما من أجمل أيام حيـاتى لكن القصة لم تنته بعد يا سيدى فخلال شهر العذاب هـذا .. كانت الأفكار السوداء قد أفسدت على حياتى وتساءلت طويلا ما جـدوى العمل إذا كان لا يحقق لنا أهدافنا فى الحياة .. إن العمل الشريف شاق ومرهق وعائده قليل ، فكيف يصنع الناس الثروات .. وكيف يـدفعون أثمان الشقق وفى هذه الأثنـاء دعانا المقـاول أنا وأربعة من العمال الـذين يعملون معه للغـداء فى بيته فى العمرانية بـالجيزة بمناسبـة نجاح ابنـه فى الاعداديـة وهناك قـدمنا لأسرتـه ومن بينهـا ابنته الكبرى التى تقترب من الأربعين ودميمـة وغير متعلمـة .. وفى الصـالـون المذهب حكى لى قصتهـا بطـريقـة خـاصـة .. وكيف كـانت قليلـة البخت وتـزوجت من « ولد ابن حـرام » تعذبت معـه عشر سنوات أنجبت خـلالها ولدين .. ثم طلقها وسافر ليعمل مقـاولا للأعمال الصحية فى دولة عربية .. ولم يعد مـن يومها لأنـه مدين لـه بمبلغ كبير من المال فعاشت وحيـدة مع ابنيها فى المنزل الذى يملكه وهو منزل من دورين .. الخ .



وأحسست فى حديثه بشىء ما لم يفصح عنه.. لكنى فهمته وتلقيت الرسالة.. ولا تلمنى إذا قلت لك أنى لم أوصد الباب بل تركته مواربا !

إننى أرجو ألا تتسرع فى الحكم على فلقد هزتنى تجربة العريس الجاهز الذى ظهر فى حياة خطيبتى إلى درجة كبيرة.. فاهتزت ثقتى فى أشياء كثيرة وسألت نفسى : لقد كادت خطيبتى تضعف تحت وطأة الظروف لولا حبها لى فمن يضمن لى ألا تضعف مرة أخرى إذا واجهت امتحانا أصعب ؟

ثم ألمح لى «ريّس العمال» وهو صديق قديم للمقاول عن الموضوع.. وحثنى على التفكير فى مستقبلى مؤكدا لى أن كل شىء جاهز.. ولاينتظر سوى موافقتى فلم أعده بشىء.. ووقعت فريسة للحيرة. إن هذا المقاول رجل طيب ويحتاج إلىّ ويثق فىّ ولو سددت باب الحديث فى هذا الموضوع فلن يؤثر ذلك على عملى معه كما انى أستطيع أن أعمل مع غيره لو أردت.. وقريبا سأحصل على وظيفة أكثر استقرارا لكنى اعترف لك وبداخلى إحساس بالذنب.. اننى اهتززت فعلا أمام هذا العرض.

وساعدنى على ذلك.. ما حدث من خطيبتى حين اهتزت هى الأخرى أمام إغراء مماثل. إننى أحبها ولا أتخيل لنفسى حياة إلا معها.. لكن الطريق طويل ياسيدى وصعب فما رأيك ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لست فى حاجة إلى رأيى ياصديقى.. لأنك لست جادا فى حيرتك هذه بين فتاتك وبين هذا الحل «السينمائى» لمشكلتك الذى تفكر فيه، فأنت أكثر تمسكا بفتاتك وأكثر رغبة فيها مما يبدو من كلماتك الحائرة فى نهاية رسالتك.. لكنك فقط «تنتقم» منها بأفكارك هذه .. كأنك تريد أن تقول لنفسك : لقد فكرت هى للحظات فى أن ترتبط بغيرى زهدا فى الكفاح.. فلماذا لا أفكر أنا أيضا فى الارتباط بغيرها لنفس السبب؟

ولا بأس بذلك فى بعض اللحظات فمن حقنا أن نزفر.. وأن نتوجع وأن نصرخ وأن نضيق بأوضاعنا التى تفرض هذا التمزق على الشباب الراغب فى تحقيق أحلامه.. فتدفعه إلى التساؤل أحيانا عن جدوى العمل الشريف، لكنه ليس من حقنا أن نحول هذه الزفرات العابرة إلى استسلام لحلول انهزامية كهذا الحل الذى فكرت فيه، أو إلى كفر بقيمة العمل الشريف الجاد

وقيمة الكفاح من أجل بناء المستقبل ذلك أن هذا الحل ليس فقط حلا انهزاميا لكنه أيضا حل « انتهازى » تبيع فيه أحلامك بلا ضرورة وبلا ثمن أيضا !.. إذ ماذا يربطك بهذه السيدة لكى تفكر فى التخلى عن خطيبتك والاقتران بها ؟

لا شىء بالتأكيد .. فلا حب .. ولا ماضى مشترك ولا اهتمامات متبادلة ولا تقارب ثقافى واجتماعى.. ولا حاضر جميل ولا مستقبل واعد بالسعادة .. فماذا إذن يغريك بها ؟

الشقة والاستقرار المادى؟ انك لا تكافح من أجل جدران الشقة الصماء.. وإنما من أجل شقة تجمع بينك وبين فتاتك التى تنصهر نفسك ألما إذا تصورت فراقها، فإذا كانت المسالة مسالة شقة فأنت تقيم مع والدتك وحدكما وتستطيع إذا أردت اختصار الطريق أن تتزوج فتاتك فى شقتها كما يفعل كثيرون من الشباب الآن، وإلى أن تنجح فى الحصول على مسكن مستقل.

أما الاستقرار المادى فسوف تصل إليه من غير هذا الطريق فأنت شاب مكافح وارادتك قوية.. ومثلك يحقق أحلامه بساعده وليس بالزواج من سيدة ليست من عالمه ولا يجمعها به سوى رغبته فى اختصار الطريق ولو أردت أن أروى لك عن تجارب مماثلة لم تورث أصحابها سوى التعاسة لما اتسعت المساحه لذلك، لكنى ساقول لك فقط أنك لست فى ظروف تبرر لك أن تتصرف بطريقة «أنا الغريق فما خوفى من البلل»؟ لأنك لست فى حاجة ملحة إلى الزواج لمجرد الزواج.. وإنما أنت فى حاجة إلى الزواج ممن اخترتها واختارتك ومشيت على طريق الأشواك من أجلها وهى فتاة تستحق أن تكافح من أجلها وتمثل بالفعل شبابك وأحلامك.. وبراءتك وكفاحك الشريف أما الأخرى فلن تكون سوى رمز لانهزامك وانهيار أحلامك - ثم عفوا - وانتهازيتك أيضا! كما أنك أيضا تظلم فتاتك بتصور أنها قد ضعفت أمام الاغراء.. ولو أرادت أن تضعف حقا لاستجابت للحل الجاهز وتخلت عنك بلا ندم لكنها لم تفعل ذلك وجاءتك تسعى بابتسامة سعيدة لكى تواصل الكفاح معك فكيف يليق بك وأنت الشاب الأمين المكافح أن تحطم أحلامها على هذا النحو ؟



إننى مازلت أعتقد أن هذا التردد ليس سوى سحابة عابرة سوف تنقشع سريعا إن لم تكن قد اختفت بالفعل.

ولقد وضعت أقدامك على أول الطريق فإذا كان صعبا وطويلا ومريرا فإنه أيضا الطريق الصحيح رغم كل ذلك وهو سنة الحياة.. أن يبدأ الانسان صغيرا ثم يكبر وأن ينسج خيوط أحلامه بالعرق والدموع والكفاح المضنى. لكى يصل فى النهاية إلى السعادة! ولسوف تصل إليها وتحقق ذات يوم كل أحلامك ويجىء يوم تنظر فيه إلى الوراء وتتذكر بحنين ذكريات هذه الأيام المشحونة بالكفاح وساعتها سوف تتعجب كثيرا من أنك قد فكرت ذات مرة فى أن تهدر سعادتك كلها فى لحظة ضعف بشرية عابرة!

٣

٣٠ قصة حب واقعية

خاطر فى الليل



سيدى .. لن أقول لك : إنى ترددت كثيرا فى الكتابة إليك كما يقول كثير من القراء.. وإنما سأقول لك : إنى كتبت لك بالفعل أكثر من عشر رسائل، ولم أكمل قط أية رسالة منها فأنا ياسيدى مهندس شاب عمرى ٣٥ سنة تزوجت منذ عشر سنوات زواجا تقليديا عن طريق الأسرة، وعلى عكس مايتصور البعض عن الزواج التقليدى فلقد كان زواجا موفقا والحمد لله، وبالرغم من أننا لم نكن نعرف بعضنا قبل الزواج.. بل ولم أرها إلا حين دعيت لرؤية فتاة مرشحة للزواج منى فى بيت بعض الأقارب، فلقد تفاهمنا منذ اليوم الأول الذى أغلق علينا فيه باب شقة الزوجية.. وازددنا فهما لبعضنا البعض مع مرور الأيام.. ثم بدأ هذا الحب الهادىء الرزين يتسلل إلى قلبينا رويدا رويدا.. ويجمع بيننا بالرباط المتين، حتى تحولنا بعد أقل من عام إلى عاشقين متيمين يحب كل منا الآخر ويخاف عليه.. وعلى مشاعره وأحاسيسه وخلال السنوات الأربع من الزواج جاء الأبناء ورزقنا بطفلين ومضت الأيام هادئة سعيدة.. وليست لى حياة بعيدا عن زوجتى، فأنا أعود من عملى فى الظهر فألازم أسرتى حتى اليوم التالى.. ونمضى اليوم كله معا فى البيت.. أو نخرج معا نحن الأربعة لنشترى متطلبات البيت.. أو نزور أسرتى.. أو أسرتها أو بعض الأقارب.

وذات صباح خرجت زوجتى لتشترى بعض الأشياء للبيت وحدها فصدمتها سيارة مسرعة وسقطت على الأرض وفرت السيارة بالطبع فنقلها المارة والجيران إلى المستشفى وحين عرفت بما حدث أسرعت إليها هناك فعرفت أن عمودها الفقرى قد أصيب فى الحادث.. وقال لى الأطباء أن زوجتى قد أصيبت بشلل نصفى لكنهم طمأنونا وأكدوا لنا أنه شلل وقتى وسوف، يزول تدريجيا مع العلاج وجلسات العلاج الطبيعى، وخرجت زوجتى من المستشفى بعد معاناة طويلة. وبدأنا رحلة العلاج الطبيعى لكن التحسن للأسف كان بسيطا جدا ولفترة محدودة توقف بعدها ومازال الأمل قائما مع استمرار العلاج، فكيفنا حياتنا على هذا الأساس..

ولم ينقص حبنـا ذرة واحـدة بل ازداد قـوة ومتـانـة.. فحبيبتى الآن قـد أصبحت فى أشـد الاحتيـاج لى وإلى حبى ورعايتى بعـد أن أطعمتنى حبهـا وحنانها طوال سبع سنوات وأصبحنـا نمضى معظم الأوقات معا كما نفعل قبل الحادث. فأبدأ يـومى فى الصباح بمسـاعدتها على الانتقـال إلى الكرسى المتحرك ثم تتحـرك هى بنشاط لاعداد الافطار والشـاى ونجلس على مائدة الافطار ومعنا الطفلان فنشرب الشاى ونتبادل الأحاديث والابتسامات.. ثم تتحـرك إلى غرفـة النوم لتعـد لى ملابس الخروج وتصر على مسح حـذائى وتلميعـه.. وتقـدم لى المشط لأسرح شعـرى وتشرف على كل شئونى كما كانت تفعل قبل الحادث وتجمع الملابس لتضعها فى الغسـالة.. ثم تودعنى بـابتسامتهـا الحلـوة وبقبلتها الـرقيقـة وأنا ذاهب إلى عملى وتظل تـرقبنى بجوار الباب إلى أن أختفى فى السلم ثم تعود إلى شقتها وتدبر شئون حياتنا بحبها الكبير للنظافة والجمال ولأنها من هؤلاء الذين منحهم الله حب الناس لهم فإن كل جيراننا وأقـاربنا يتسـابقون إلى تلبية مطـالب البيت لها، وكل جارة تحرص على أن تسألها عن حاجتهـا قبل النزول إلى السوق، ولا تعود جارة إلى شقتهـا إلا إذا طرقت بـابها لتسألها : هل تريـدين شيئا ؟ فتقـابل الجميع بابتسامـة الشكر والعرفان.. وتعطى من قلبهـا وحنانها لهم جميعا فما من جـارة عندهـا شكـوى من شىء أو حزينـة لشىء إلا وتأتى إليهـا لتبثهـا همهـا وتسألها الرأى فتسمـع لها باحترام وتهون عليهـا ولا تبـوح بأسرارهـا حتى لى شخصيا.. وعنـدما أعـود إلى بيتى فى الظهر أجـد شقتى نظيفة ومنسقـة.. وينبعث منهـا شذا أعواد البخـور الجميلة التـى تشعلها لتغطى على رائحة المطبخ بعد الطهى، ولأجد الطعام جاهزا والسفرة معدة.. وطفلىَّ فى أجمل الملابس المتاحة لنا يذاكـران والمسجل يذيع موسيقى عربية قديمة وزوجتى قـد بدلت ملابسها وسرحت شعـرها وتعطرت بل ووضعت بعض الروج الخفيف على شفتيهـا.. وقبل أن أضع المفتاح فى البـاب لأفتحه أجد البـاب قد فتح وحـده وزوجتى تجذبه لتستقبلنى بأجمل ابتسـامة، ثم تقودنى إلى غرفـة النوم لأبدل ملابسى ثم إلى المائدة لنتنـاول الطعام ثم إلى غرفة المعيشة لنشرب الشاى أمام فيلم الظهر فى التليفزيون فإذا غفوت لمدة سـاعة بعـد الغـداء وصحوت وجـدت شـاى العصر جاهـزا واقترحت علىَّ

زوجتى بحماس أن أخرج وحدى لزيارة أسرتى أو لدخول السينما.. أو للجلوس فى المقهى أو للقاء بعض الصحاب.. فإذا رفضت لاعبتنى الطاولة أو الشطرنج أو تفرجنا معا على التليفزيون وحولنا طفلانا حتى ننام مطمئنين.. وقد لاحظت أنها قد أصبحت أكثر رعاية لى بعدما حدث كأنى الذى أصبت فى الحادث وليست هى .. كما لاحظت أيضا أنها أصبحت كالطيف الخفيف لاتريد أن تثقل علىَّ فى أى شىء.. ورغم كل ذلك فإن نفسى تنازعنى أحيانا ويطيش بى التفكير إلى آفاق بعيدة !

ولا أعرف كيف أحست هى بما يدور داخل نفسى فعرضت على بطريقتها اللطيفة فى الحديث أن أتزوج عليها أرملة أو مطلقة تتفهم ظروف وتقدر مشاعر زوجتى بل لقد طلبت منى أن أطلقها وأتزوج غيرها وأبدأ حياتى من جديد بعيدا عنها إذا كان وجودها فى حياتى هو العقبة أمام تحقيق سعادتى فأفهمتها أن كل ذلك لا يدور فى تفكيرى مطلقا وأننى لن أتزوج عليها أبدا وسأبقى دائما إلى جوارها، ومع ذلك فإن نفسى لا تهدأ ياصديقى.. ولا أكف عن التفكير فيما صارحتك به .. ومازالت هذه الأفكار تساورنى من حين لآخر أن الأمل فى العلاج مازال قائما لكنه بطىء.. فهل أتزوج عليها بغير أن أشعرها بذلك وهل سترضى هذه الزوجة الثانية بأن تحيا فى الظل نصف زوجة لرجل يحب امرأة أخرى مريضة لا تستطيع أن تستغنى عن خدماته وحبه فى ظروفها القاسية.. وأين هى هذه الزوجة الثانية التى تقدر كل هذه الظروف السابقة ؟ وهل من حقى أن أفعل ذلك أم أنى لو فعلت أكون قد أخطأت فى حقها خطأ جسيما ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

حين قرأت رسالتك كدت أعتذر عن عدم الاجابة عن تساؤلاتها متمثلا فى ذلك بموقف الإمام الشافعى حين سئل مرة عن مسألة فى الفقه فسكت فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ؟ فقال لا أجيب حتى أدرى هل الفضل فى سكوتى أم فى جوابى ؟ !

ومع الفارق الكبير بين الحالتين فلقد احتجت أنا أيضا إلى فترة صمت كافية حتى أدرى بأى الرأيين أجيب ؟ ولأنى مضطر للاجابة بكل أسف فإنى أقول لك نعم من حقك أن تفعل ما تريد ياسيدى إذا كنا نتحدث فقط

عن «الحقوق» وعن المنطق العقلانى المجرد وإذا أسقطنا كل الاعتبارات الأخرى.. لكن السؤال الأهم هو هل هذا هو التصرف المثالى فى مثل حالتك ؟ اننى لن أسارع بالاجابة عن ذلك لكنى سوف أسألك سؤالا واحدا أرجو أن تغفره لى، وأن تضعه نصب عينيك دائما وأنت تختار لمستقبلك معها : ماذا لو كنت أنت ـ لا قدر الله ـ الذى تعرض لهذا الحادث الأليم فاقعده فى البيت ومازال يواصل العلاج ويأمل فى الشفاء كما تفعل زوجتك الآن ؟ هل كنت ستسعد كثيرا بهذه «الخواطر» التى تلح على زوجتك وبهذا الحديث عن الحقوق وعن المنطق العقلانى المجرد ؟ أم أنه كان سُيدمى قلبك بالتأكيد ويشعرك بقسوة الحياة ومرارتها ؟ لا تقل لى : إن موقفك كان سيختلف لأنك كنت ستعرض عليها من البداية أن تعفيها من الارتباط بك ايثارا منك لسعادتها على سعادتك كما نرى فى أفلام السينما القديمة ولست أنكر عليك أنك كنت ستفعل ذلك فعلا، لكنك ستفعله وأنت تنتظر من شريكة حياتك التى تحمل لها كل هذا الحب ويربط بينك وبينها طفلان جميلان ألا تكتفى بالتفكير فى «حقوقها» فقط وأن تفكر أيضا فى واجباتها» كزوجة مخلصة وكأم وكمحبة وأن ترفض بلا تردد عرضك الكريم هذا ؟ بل وكنت ستحس بالرضا فى أعماقك حين ترفض هى مناقشة الأمر من البداية وتؤكد تمسكها بك، ولو قبلت هى عرضك «السخى» هذا وأشادت بواقعيتك وعقلانيتك ثم تحررت من ارتباطها بك وتركتك فى محنتك وانطلقت إلى العالم الواسع لتستمتع بحياتها وشبابها لشقيت أنت بذلك أكبر الشقاء.. ولكرهت غدر الأيام وانعدام الوفاء. فلماذا لا يقبل الانسان لنفسه ما يقبله للآخرين لو تبادل معهم الأدوار ؟ ولماذا يفلسف لنفسه دائما ما يرضيها.. ويرضى نوازعها ولا يقبل هذه «الفلسفة» نفسها إذا تعارضت مع سعادته وحقوقه هو ؟!

ياصديقى تمسك بزوجتك هذه .. ولا تفقد الأمل فى العلاج وتغير الأحوال .. واسعد بما بين يديك فإن حديثك عنها سوف يثير لواعج كثيرين من أزواج «الصحيحات» اللاتى لا يقدمن لأزواجهن بعض ما تقدمه لك هذه الزوجة الرائعة رغم ظروفها الصحية، وصدقنى لو قلت لك : إننى قد حلقت معك فى سماوات علا من الحب والرومانسية والتفاهم والتعاطف



والجمال، وأنت تــروى عن زوجتك التى تــودعك بــابتســامــة وتلقــاك بابتســامة.. وتجمل حياتك وبيتك رغم ظــروفها القاسية، لكنك ــ سامحك الله ـ صدمتنى بتساؤلك الغريب هــذا والذى لن أجيبك عنه وإنما سأذكرك فقط بأن الحيــاة لا تستقيم لو تصرف فيهــا كل إنسان على ضوء مــا يحقق رغباتــه ونوازعــه وحده بــلا أى اعتبار آخــر وفى حالتك هذه فــإن لزوجتك المحبة عليك حقوقا ينبغى ألا تنساها ولأبنــائك عليك حقوقا لابد أن تتذكرها دائما.. وسأذكرك أيضــا ياصديقى بأن «الدنيــا زوج خؤون» لا أمان لها .. ولا عهد ولا ذمــة أيضا ! وعلينا أن نحتمى من غــدرها بألا نظلم غيرنــا فيها بقدر الإمكان.

٤

٣٠ قصة حب واقعية

النظرات الخفية

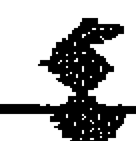


أكتب لك لأنى فى حاجة ماسة للتعرف على رأيك والحلول المقترحة والممكنة لعلى أجد فيها مخرجا من المأزق الذى وقعت فيه مؤخرا. أما أنا فطبيبة حصلت عقب تخرجى على دبلومتين فى مجال تخصصى وعلى درجة الماجستير من بريطانيا مع درجة الزمالة منها أيضا، وأوشك الآن على الانتهاء من مناقشة رسالة الدكتوراة تحت إشراف إحدى كليات الطب التابعة لجامعة بنسلفانيا الأمريكية، وقد تزوجت منذ عشر سنوات وعينت بالكلية التى تخرجت فيها ووقف زوجى إلى جوارى وساندنى كثيرا بالتشجيع المادى والمعنوى حتى حققت النجاح الذى أردته لنفسى وحصلت على الماجستير والزمالة وبدأت الإعداد للدكتوراة، وحقق زوجى أيضا نجاحه وحصل على وظيفة مرموقة وبدأ التحضير للدراسات العليا فى مجال دراسته النظرية ودرس الكمبيوتر وراح يحلم بالهجرة لأمريكا التى سبقت أختى الوحيدة بالهجرة إليها وراحت تحثنا على اللحاق بها، لكن والدى اعترض على هجرتنا وراح يطالبها هى بالعودة بعد أن لم يبق له من أسرتنا سواى وسواها، وفى هذه الظروف تلقيت موافقة كلية طب عربية على عملى فيها، وتحمست للسفر وخوض التجربة واعترض زوجى فى البداية بشدة لعدم اقتناعه بألا يكون له عمل فى تلك الدولة العربية سوى مرافقتى كمحرم لى كما تقضى نظمها، لكنى استطعت بعد جهد كبير إقناعه بأننا نحتاج لهذا السفر لما سيكون له من أثر ايجابى على مستقبلنا.. ولأنه سوف يساعدنا على الهجرة لأمريكا فيما بعد، فقبل ذلك بعد عناء، أما أبى فلقد سكت وهو غير راض عن فراق من بقوا له من أحباب فى الحياة على حد قوله، وأسرها فى نفسه ضدى غفر الله لى، ولم يخفف من حزنه سوى تأكيدى له اننى سأدعوه من حين إلى آخر لأداء العمرة والحج، وهكذا غادرنا القاهرة منذ خمس سنوات وبدأنا حياة جديدة.

ولم أحس بالغربة كثيرا فى وجود زوجى الحبيب معى والطفلين الصغيرين وخططنا لحياتنا فى الغربة بحيث تكون عملا ودراسة فى النهار

واستمتاعا واستقرارا عائليا فى المساء، فى سعادة وانسجام «وأفراح» أسرية أسبوعية نحييها بأنفسنا خاصة ونحن أسرة تتذوق الفن وتقدره، فزوجى رسام موهوب، وأنا أعشق الموسيقى والغناء وأجيدهما، كما أجيد العزف على العود والأورج، وقد أحضرت معى من مصر العود واشترينا «أورج» جديدا من حيث نقيم، واهتممنا بفرش عشنا بأثاث جميل ووفرنا به كل مانحتاج إليه.. واشترينا سيارة لأول مرة فأصبحت حياتنا سهلة وميسورة «وأفراحنا» ولياليلنا وأمسياتنا رائعة وسعيدة، وفى كل اجازة نعود إلى مصر.. ونضيف إلى خطواتنا على طريق تحقيق أحلامنا المشتركة خطوة جديدة، فاشترينا شقة للعيادة التى أعتزم افتتاحها فى القاهرة بعد العودة، وأخرى فى نفس العمارة للمكتب الذى سيفتتحه زوجى لممارسة عمله الخاص أيضا، بعد العودة، واشترينا سيارة فى مصر، ثم ركزت فى الفترة الأخيرة على إنهاء رسالة الدكتوراة.. وبدت لى ولزوجى الحياة بهيجة وسعيدة وواعدة بكل جميل، فزوجى هو أخى وحبيبى وصديقى وشريك أحلامى، وقد وافقته فى ارتداء الخمار بمجرد عملنا فى هذه الدولة العربية تجنبا للمشاكل رغم أنى كنت محجبة من سن عشر سنوات وأعلم جيدا أن الشرع لايفرض الخمار وتغطية الوجه، فإذا بكل شىء ينهار فجأة، وإذا بى أفقد زوجى الحبيب ووالد أطفالى الذين أصبحوا ثلاثة بسبب صبى طائش كان يقود سيارة والده وتمت الاجراءات الكئيبة ودفعت أسرة الجانى الطائش الدية وإن كانت أموال الدنيا لا تعوضنى عن خسارتى فى زوجى ، ووجدت نفسى فجأة أرملة وأنا فى السادسة والثلاثين من عمرى ، وقضيت أجازتى السنوية بعد الحادث المؤلم وأنا لا أكاد أعى ما حدث أو أستوعبه ثم تمالكت نفسى ونظرت إلى مستقبلى ومستقبل أطفالى وأعدت ترتيب أوراقى وقررت الاستمرار فى العمل بالدولة العربية لعام دراسى آخر أركز فيه على إنهاء رسالة الدكتوراة ويحصل خلاله ابنى على الابتدائية ثم أرجع لمصر ، خاصة أن وضعى المالى ممتاز ولا أحتاج للاستمرار فى الغربة أكثر من ذلك .

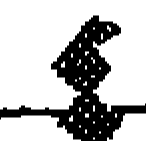
وبدأ العام الدراسى ، وأقبلت على عملى ودراستى بهمة وصبر، فإذا بجهة عملى تطالبنى بتحديد موقفى بعد رحيل زوجى عن الحياة فإما أن



أجد لنفسى محرما بديلا وإما إنهاء عقدى وترحيلى ، وقد جاء هذا التحرك المفاجىء بعد طول صبر علىّ بناء على « فتنة » من زميلة بالكلية اكتشفت فيما بعد أن زوجها كان يداعبها ويقول لها إنه يتمنى أن يتزوجنى لكى يكون محرما لى ويحل مشكلتى ومشكلته ، فتخوفت الزميلة هذه من أن تنقلب الدعابة جدا وتنبهت الكلية إلى أنى مازلت بلا محرم ، وتلقيت منها هذه المطالبة وتداولت الأمر مع طبيبة غير مصرية وزوجها وتناقشنا فيه طويلا ، فانتهينا إلى أنه لا حل هناك للموقف إلا البحث عن رجل شهم وكريم يقبل أن يعقد قرانه علىّ لمجرد الحصول على وثيقة الزواج وتقديمها لجهة عملى دون علاقة زوجية فعلية . لكن أين أجد مثل هذا الرجل المضمون .. ولم تطل حيرتى كثيرا ، فقد سمع صديق لزوج زميلتى بقصتى وأبدى استعداده لتقديم هذه « الخدمة » لى على غير معرفة بى تأثرا بظروفى ، وعلمت أنه يشغل مركزا مرموقا فى مؤسسة كبرى ويعمل بمشروع يبعد عن المدينة التى أعمل بها بـ ٨٠ كيلو مترا ويقيم فى سكن خاص بالمشروع فى نفس الموقع ، ويعيش وحيدا طوال العام إلى أن يأتى الصيف فتجىء إليه زوجته وأولاده من مصر ، وتحريت عنه فجاءتنى المعلومات عنه مطمئنة للغاية ، والتقينا فى بيت الزميلة غير المصرية دون أن أرفع الخمار عن وجهى وعلمت منه أنه مرتبط جدا بزوجته وحريص عليها خاصة أنها رفيقة دربه ومريضة بمرض لا يؤثر على علاقتها الخاصة به . كما أنه يحب أولاده جدا ويحرص على مصلحتهم ولولا رغبته فى مساعدة مصرية من بلاده لما قبل الاقدام على هذه المخاطرة التى قد تسبب له مشاكل كثيرة إذا علمت بأمرها زوجته وطلب منى فى النهاية أن يظل هذا الأمر سريا بيننا وشكرته على ذلك وطلبت منه أن تنتهى هذه العلاقة الصورية بيننا بمجرد استعدادى للعودة النهائية لمصر ، وأن تبقى علاقتنا طوال الشهور الباقية على الصيف فى حدود علاقة الخطيب بخطيبته ، ولكن دون أعباء مالية عليه من هدايا ومجاملات وخلافه ، وتكرر اللقاء مرة أخرى فى بيت الزميلة الطبيبة وزوجها وشعرت بارتياح داخلى كبير لشخصية هذا الرجل الذى لم يطلب حتى ولو على سبيل التعارف مع من ستحمل اسمه أن أرفع الخمار السميك عن وجهى ليستطيع تمييزى إذا

رآني صدفة فى مكان آخر ، وأحسست أنه يريد مخلصا مساعدتى دون أن يفرض نفسه علىّ ووجدته رجلا وقورا هادئا دمث الأخلاق مهيبا يبدو أكبر من سنه ، وتم عقد القران فى القنصلية وتوثيق العقد وقدمت الوثيقة لجهة عملى ورفعت عن صدرى حجرا ثقيلا ، وانتظمت حياتى مرة أخرى وتفرغت لأطفالى ودراستى للدكتوراة وشعرت بالأمان لاستظلالى بظل رجل حتى ولو كان فى زواج صورى ، فإذا بشكوى أخرى إلى جهة عملى وللجوازات بأن زوجى لا يقيم معى فى عش الزوجية ولا يعيش فى نفس المدينة التى أقيم بها مما يخل بشرط المحرم وتناقشت مع زوجى « المؤقت » ومع زميلتى وزوجها فى ذلك . فعرض الرجل مشكورا أن يؤجر شقة صغيرة بجوارنا فى نفس المدينة ليزورنا على فترات متقاربة وكان عرضا كريما منه ومكلفا له من الناحية المادية ، لكن كيف ابرر زيارته لى أمام أطفالى وجيرانى ومعارفى ؟ لقد فكرنا فى الأمر طويلا وانتهينا إلى أنه لا يصح فى النهاية إلا الصحيح وبالتالى فلابد من خطوة « شجاعة » هى إعلان زواجنا فى حفل صغير .. فى بيتى لا يحضره أبنائى وأقدم فيه « زوجى » لزملائى وزميلاتى على أن أمهد الأمر لأولادى الذين رتب لهم زوج زميلتى رحلة خارج المدينة مع أولاده فأقدم لهم زوجى بعد عودتهم كقريب وصديق قديم لأبيهم وسوف يرعانا ويهتم بأمرنا إلى أن نعود لبلادنا فى الصيف ، وفى هذا الحفل الصغير رفعت الخمار عن وجهى لكى يرانى زوجى لأول مرة فما إن رآنى حتى اضطرب اضطرابا واضحا وراح يختلس النظرات الخفية لى ويدارى اضطرابه ويتحكم فى انفعاله بجمالى الذى لم يتوقعه . وشعرت بكل ما أحس به وبأنه قد تولدت لديه مشاعر جديدة تجاهى وارتحت لأثر جمالى عليه بل وسعدت بذلك وتوقعته وعند منتصف الليل انتهى الحفل وبدأ الحاضرون ينصرفون وهمّ زوجى بالانصراف معهم حسب الاتفاق السابق .

لكننى وبكل « شجاعة » رفضت أن يغادر مسكنى ودعوته بإصرار للبقاء وتمضية الليل معى لأنى أصبحت من حقه أمام الله والناس ويجب أن يمارس حقوقه المشروعة علىّ حتى يكون الزواج كاملا ، واقتنع الرجل بعد قليل من الحرج وتمت الخلوة الشرعية بيننا وأمضى الليلة فى بيتى



خاصة فإذا بكل شيء ينقلب رأسا على عقب بعد هذه الليلة ونشأت مشكلتي الحالية التي أكتب لك عنها الآن : فقد شعرت باقترابي الصاروخي من هذا الرجل الذي بدأت علاقتي معه كمجرد وسيط فقط لحل مشكلة المحرم وبدأ هو يأتي إلينا عصر كل يوم أربعاء ويغادرنا صباح السبت إلى عمله فإذا بي أجد نفسي غارقة حتى أذني في الارتباط به ورافضة الاستغناء عنه أو اعتباره مجرد حل مؤقت لمشكلتي في العمل . كما كانت الفكرة في البداية فلقد أحببته .. نعم أحببته يا سيدي وأحبه أولادي أيضا الذين اجتذبهم إليه بسرعة كبيرة لما يتمتع به من حنان جارف واستطاع الرجل خلال وقت قصير أن ينسينا مأساتنا بفقد زوجي ووالد أطفالي ، وأصبحت الفترة التي يقضيها معنا كل أسبوع فترة سعيدة كلها « مودة وانشراح » لي ولأولادي فنخرج معا للنزهة والتسوق وشراء الهدايا ويرفض قبول ثمن ما يشتريه لنا رغم اتفاقنا السابق على ألا أكلفه أية أعباء مادية وأعادني الرجل للحياة وأعاد الحياة إليّ فرجعت صبية مراهقة تحب ابن الجيران وأنجزت خلال شهرين فقط ما تبقى لي من رسالة الدكتوراة وبدأت في المراجعة وقد تعلق بي هو أيضا وأحبني ويريد أن يستمر في ارتباطه بي مع احتفاظه بزوجته ويريد أن يجمع بيننا لأنه يراني كما يقول « جوهرة » لا يجوز التفريط فيها خاصة أنه لن يتحمل بسببي أية أعباء مادية بل ربما شاركته في أعماله إذا رجعنا لمصر عودة نهائية ذات يوم وهو يقول : إن الجمع بين زوجتين يحبهما أمر سهل عليه رغم أن الحب لا يتجزأ لأنه يعطي كل حبه للزوجة « الحاضرة » معه في هذه اللحظة وبذلك لا يتجزأ الحب ولا تناقض مع حبه لكل منا !

هذا هو تفسير حب الأم أو الأب لكل الأبناء في وقت واحد في رأيه لكن المشكلة تتمثل في صعوبة إقناع زوجته الطيبة المريضة بقبول هذا الوضع .. بل إنه لا يستطيع حتى مجرد إبلاغها به لأنه يعرفها جيدا ويعرف عصبيتها رغم طيبتها ويعرف أنها قد تدمر حياتها بلا مبالاة بأي شيء لأن عزة نفسها فوق كل اعتبار والآن فقد اقترب موعد عودتي لمصر في الصيف . كما اقترب موعد حضور زوجته أيضا وأولاده قبل رجوعي .

ولم نجد حلا بعد للمشكلة وأريد منك ومن كل صاحب رأي أن يبدي

رأيه فى مشكلتى ويجيبنى عن تسـاؤلى لماذا ترفض الزوجة المصريـة رفضا قاطعـا أية فكـرة لزواج زوجها من أخـرى، إذا كان اللـه قد أبـاح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة لحكمة رآها .. وإذا كـان ذلك قانونا إلهيا وليس من صنع البشر ولم يجيء عبثا ؟ ولماذا يترك معظم النـاس كل ذلك ويتمسكون فقط بقاعـدة « ولن تعدلوا » ناسين أن فى الرجـال كثيرين يخشـون ربهم فى تصرفاتهم وهم رجال محترمون راشدون عادلون ؟

إن المرأة المؤمنـة الكيســة .. الفطنـة يجب ألا يحزنها هــذا الأمـر على الإطلاق نعم .. قد تسألنى هل تقبلين أن يتـزوج زوجك الحالى من ثالثة إذا رأى أنـه غير مكتف بك وبـزوجتـه الأولى .. وهل سـترحبين بـذلك وتقبلينـه بنفس طيبة ؟ وقبل أن أجيبك عن هذا السؤال أريـد أولا أن أناشد الناس من حولنا أن يقلدوا الأوروبيين فى الايجابى فقط مـن سلوكهم ، الا وهو الثقة فى بعضـهم البعض وأعنى بـذلك أن زوجى لو رأى أنـه يحتاج إلى امـرأة أخرى وفى ظروف إنسانية ليتزوجها ، فلابد أن ذلك مفيد لها مادام لم يقصد بذلك لـذة أو شهوة عـابـرة ولم يقصد غير وجـه الله مـادام لن يـؤذى زوجاتـه الأخريـات فلن أمانع فـالزوج « كما أمـر الله » ليس حكـرا على واحدة كما علمنا الأوروبيون والملحدون والأنـانيون وضعفاء الإيمان منا . إننى أبحث عن قاض عادل ينصفنى فهل تكون أنت ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نحن لا نقلد الأوروبيين يا سيدتى فى نظـرتهم لتعدد الزوجات المشروع وإنما نراه البديل الأخلاقى لتعدد الخليـلات الشائع عندهم ونسلم بحكمته عنـد الضرورة الشرعية وبشرط عـدم الغـدر والخداع وعدم التخفى بـه عن الـزوجـة الأولى لكيـلا يهدر أحـد حقها فى قبـول الأمـر الـواقع أو رفضـه والحصول على الطـلاق ، على أننا لا نعتبره كذلك « أمرا إلهيـا » كما تقولين أنت وإنما أمر مباح وليس مفضـلا ولا مندوبا إليه إلا للضرورات المحددة فى الشرع فضـلا عن أنه يتوقف على حاجـة الرجل إليه وقدرته عليه ، ومشروط بما هو أصعب من كل ذلك وهو العدل !

فإذا أردت أن تعــرفى من الـذى نقلـده فى ذلك .. حقـا .. فهو الـرسـول الكريم ﷺ الذى تزوج السيدة خـديجة واكتفى بها كزوجة منفردة وهو فى

عنفوان شبابـه ما يزيد على العشرين عـاما رغم انتشار تعدد الـزوجات بلا قيـود ولا حدود فى عصره قبل أن ينظمـه الإسـلام ويقيده وهـو الذى كـره أيضـا لابنتـه فاطمـة أن يتزوج عليهـا على بن أبى طالب مـن جويريـة بنت عمرو بن هشام حين ذهبت إليه فاطمة الزهراء باكية تقول له :

« يقولـون إنك لا تغضب لبناتك فأقبل على المسجد مغضبـا وصعد على المنبر وقال للحاضرين : إن بنى هشام بن المغيرة قد أستاذنوه فى أن يزوجوا ابنتهم عليا ثم صاح « ألا وإنى لا آذن .. ثم لا آذن .. ثم لا آذن .. إنما فاطمة بضعـة منى يريبنى مـا رابها ويـؤذينى ما آذاهـا وإنى أتخوف أن تفتن فى دينها » فإذا كـان عليه السـلام قد تـزوج بعد وفـاة السيدة خديجة ، فقد تـزوج سـودة لترعى أبنـاءه واختارهـا كبيرة فى السن ثم تـزوج بعـد ذلك توثيقا لروابطه مع قومه وعشيرته وترضية لنفوس بعض أصحابه ولإبطال حكم التبنى ولخدمـة أهـداف الـدعـوة زيجات قـد لا يقبل بعضـهـا غيره ولا تدفع إليها شهوة .. ولا رغبة .

ولأنه بشر سوى فلم يخفق قلبه لأحد من نسائه بعد السيدة خديجة إلا السيـدة عـائشـة وحـدها ، فكـان يعـدل بين زوجـاتـه فى العطـاء والمبيت ويستغفر ربه فيما لا حيلة له فيه من عـدم العدل فى مشاعره بينهن ويقول «اللهم هذا جهـدى فيما أملك ، ولا طاقـة لى فيما تملك ولا أملك» أى فى قلبه وعاطفته ومشاعره .

هذا هـو « الإنسان » العظيم الـذى نقلده يـا سيدتى والـذى تتمثل فيه الطبيعة الإنسـانية السوية من وحـدانية المشاعـر العاطفية وعدم قـابليتها للتجزئة أو الشراكـة ، بل أن حجة الإسلام الإمـام أبا حامد الغـزالى قد فسر الآية الكـريمة التى أشرت إليها « ولن تستطيعـوا أن تعدلوا بين النسـاء ولو حرصتم » بأنها تعنـى ولن تعدلوا فى شهـوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك بالضرورة التفاوت فى الوقاع !

فإذا كان زوجك قد خـرج علينا بنظرية جديـدة فى قدرة الإنسان على أن يحب امرأتين بنفس القدر فى وقت واحد لأنـه يكون منصرفا بكل « حبه » إلى الزوجة « الحاضرة » معه فهذا فتح جديد فى أسرار النفس البشرية أدعوه إلى تسجيله فى الشهر العقارى باسمه مع تغيير طفيف فى الكلمات بحيث يقول:

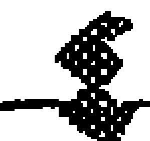
إن الـرجل يستطيع أن ينصرف بكل « رغبتـه » إلى الـزوجـة الحاضرة معـه وليس بكل حبـه لأن غاية مـا يستطيعه الـرجل فى هذه الحالـة هو أن يحب امرأة.. « ولا يكـره أخرى » ولأن الحب لا يعـرف إلا الوحـد انية إذ لم يخلق الله جل شأنــه لأحد من قلبين فى جوفـه كما علمنا القرآن الكـريم على لسان الصادق مع نفسه ومع العالمين ﷺ .

وعلى أية حـال فلن أطيل الحديث فى هذا الأمـر الذى ناقشتـه مرارا من قبل كما أنى لن أسألك السؤال الـذى تتوقعينه منـى لكنى سأسألك سؤالا آخر هو هل لـو كان زوجك الراحل لايزال على قيـد الحياة وتعيشين معه فى وئام وسلام فى أسرة صغيرة متحـابة ثم عـرضت لإحدى زميـلاتك مشكلة مشـابهة لمشكلتك .. هل كنت تقبلين أن يقـدم زوجك ووالد أطفـالك هـذه « المسـاعدة » الإنسـانيـة التى قدمهـا لك زوجك الحالى ؟ وهل كنت تـرحبين بنفس راضية بأن يستمـر زواجه لـلأخرى بعـد أن اكتشف كل منهما حبه للآخر ورغبته فى الاستمرار معـه إلى مالا نهاية لأن زواجهما لم تدفع إليه « شهوة عابرة » وإنما ظروف إنسانية فيها « فائدة » للزوجة الأخرى ؟

أريـد جوابـا صادقـا منك .. فهل تقـدرين عليه ؟! إنك تعـرفين الجواب الصادق ياسيدتى .. وتعرفين أيضا بما لك من ثقافة وعلم وهو أن مأساتنا كبشر هى أن مـواقفنا من « العـدل » و«الحق» قد تتغير أحيـانا بـاختلاف مـواقعنـا منهما وباختـلاف مـا يصيبنـا من ضرر أو نفع منهما فإذا كنـا المتضررين بهما فهما « الظلم » و « الغـدر » و «الأنـانية » . لامراء فى تلك . وإذا كنا المستفيدين بهما فهما الحق والعدل اللذان يتعامى عنهما « مقلدو الأوروبيين » و« الأنانيـون » و«ضعاف الإيمان » ولا عجب فى تلـك فقديما قال الأديب الفرنسى أنـدريه موروا « كل ما يتفق مع ميولنا ورغبـاتنا يبدو فى نظـرنا حكيما ومعقـولا . أما مـا يناقض رغبـاتنا وأهـوائنا فهـو مجافٍ للحكمة والعدل ويثير غضبنا » .

وخـداع النفس آفـة أخرى مـن آفات البشر ، « ومن النـاس . كما يقـول الروائى اليابانى كنزابورو ـ من يقفـز من خدعة إلى خدعة طوال العمر كما تفعل الضفدعة » .

ولـو أنصفت لما خدعت نفسـك ولما نعيت على المرأة «المصرية» رفضهـا



القـاطع لأية فكـرة لأن يتزوج زوجهـا عليها كأنك لم تكـونى لتفعلى نفس الشـىء وربما بضراوة أشد لو كان زوجك الـراحل قد تزوج عليك أو فكر فى ذلك.

ان تحديـد الخطأ هـو أول خطـوة على طـريق العـلاج فإذا أردت حـلا لمشكلتك فلابد أن تسلمى بأنك قد ورطت نفسك فى مشكلـة عاطفية وعائلية واجتماعيـة معقـدة لأنك لم تتصرف التصرف الوحيـد السليم، الـذى كـان منتظـراً منك بعـد رحيل زوجك عن الحيـاة مـادامـت نظم المجتمع الـذى تعيشين فيـه لاتسمح لك بالبقـاء فيـه دون زوج أومحرم وهو العـودة إلى بلدك وبدء حيـاة جديدة فيه ثم الارتباط إذا أردت بعـد ذلك بمن لازوجة له ولا أبناء.

لقد كـان هذا هو الاختيار الـوحيد السليم فى مثل ظروفك هـذه بدلا من التحايل على القانون للاستمرار حيث أنت والتورط فى هذه المشكلة.

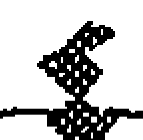
وأرجو ألا تقولى إنك كنت «مرغمة» على البقـاء من أجل رسالة الدكتوراة وحصول ابنك على الشهادة الابتدائيـة، كأنما كان يتعذر عليك ذلك لو كنت قـد سلمت بأقدارك واكتفيت بما حققت فى غـربتك خلال السنـوات الخمس الأخيرة وهـو كثير ويضمن لك حيـاة كـريمـة فى بلـدك، لكنك لم تفعلى ذلك للأسف وبسبب هـذه «الاستماتة» فى البقـاء فى الغربـة بلا مبرر ولا دوافع ضرورية ملحـة، فلقد تورطت فى خطأ الـزواج الصورى تحايلا على تقـاليد المجتمع الـذى تعيشين فيه، ثم تـورطت فيما هـو أشد وأنكى وهـو تحول الـزواج الشكلى إلى زواج حقيقى والـوقـوع فى حب رجل متـزوج ولـه أسرة لاتقبل ولن تقبل شراكتـك لها فيـه، وهـاأنت قـد نسيت الآن حتى مبررات زواجك الصـورى هذا وهما «الـدكتـوراة» و«الابتدائيـة» ورحت تخططين للاستمرار فى الغربة إلى مالانهاية بعد أن حللت مشكلة المحلل، وللاستمرار فى زواجك الحالى بعد أن وقعت فى حب زوجك كما تقـولين. ولااعتراض لأحد على استمـرارك فى الغربـة كما تشائين فمن حق كل انسـان أن يعيش حيث تطيب له الحيـاة مادام ذلك متاحـا له ومشروعا.. لكن مـالاحق لأحد ولالك فيه هو أن تعـرضى أسرة هذا الرجل للاضطراب والقـلاقل وزوجته الطيبة المريضة لما سـوف يدفعها إلى حـافة الجنـون ويحكم على زواجها وأسرتها

بالانهيار وتعرضى أبناءه للتمزق بين أبويهم والتعاسة والشقاء.

انك تطلبين فى النهـايـة رأيـا عـادلا فى مشكلتك.. ورأيى الـذى لن ينـال رضـاك هو أن تـرجعى إلى نقطة البـدايـة فى خطتك التى وضعتها للبقـاء فى الغربـة عاما آخـر بعد رحيل زوجك وتلتزمى بها بأمـانة وشرف وتنسحبى من حياة هـذا الـرجل الـذى قـدم لك خـدمتـه «الجليلـة» وأتـاح لك هـذا الاستمـرار، وترجعى إلى بلـدك مكـرمة معـززة «ومكتفيـة» بما حققت من «رحلـة الغربـة».. وبما عشت من أيـام سعيـدة دافئة مع هـذا الـرجل، ثم تبدئين حياة جديدة فى بلـدك.. ولن يطول بك الوقت إلا وستجدين من «يعيد إليك الحيـاة ويعيدك للحياة» بـلا اعتداء على حق أحـد فيه، ولامشـاكل مع زوجته وأبنـائه، تماما كما وجدت زوجـك الحالى الذى «أعادك للحيـاة» بعد شهور قليلة من وفـاة زوجك الأول، هذا هو رأيى الذى لن تسعـدى به لكنه الرأى الـوحيد الـذى أراه لك للأسف إذا كنت راغبـة حقا فى أن تكـافئى هذا الـرجل على عطائه لـك.. فلقد قـدم مـاكنت فى أشد الحاجـة إليـه،، وأحسن عشرتك وأسعد أيـامك عاما دراسيا كـاملا وليس من العدل أن تكـافئيه على ذلك بتهديـد استقرار حياتـه، مع زوجته وأبنائه الـذين لن يتخلى عنهم أبدا ولابتعـريضـه لهذه المحنـة التى ستـؤثـر سلبيـا على حيـاتـه ومستقبلـه وأوضـاعه العائلية والاجتماعية.

والحب الحقيقى عطـاء وتضحية لمن نحب يـاسيدتى وليس أخـذاً فقط وأنـانيـة، وأنت تعيبين على الأخريـات «أنـانيتهن» فأحـرى بك أنت أيضـا ألاتكـونى واحدة منهن، وألا تنظـرى للأمـور من ثقب الابرة الضيق الـذى لاتـريـن منـه إلا رغبـاتك وأهـــواءك.. ولن أقـول «ومصلحتـك» أيضـا فى الاستمرار فى الغـربة ومـواصلة جنـى الثمار بلا حـاجة مـاسة ولاضرورة ملحة.

لقد كنت على وشك أن أنصـح زوجك بأن يواجه زوجتـه بالأمـر الواقع ويتحمل تبعات ذلك فإمـا أن تقبل به وتستمر معه.. وإمـا أن تنفصل عنه.. ويتمزق الأبنـاء بينهما لكنى راجعت نفسى فى ذلك وساءلتهـا ولمصلحة من تنهدم هذه الأسرة المستقرة ويشقى أبناؤهـا.. وتتعرض هذه الزوجة الطيبة المريضة لجزاء سنمار وطعنة الغدر، ولا شىء يـربط بينه وبينك فى النهاية



سوى وثيقة زواج صورى بدأ سريا ويمكن أن تنفصم عراه فى أية لحظة وبلا خسائر كبيرة على الجانبين ، بل وحتى لو كانت الخسائر كبيرة فهى خسائر شخصية فى النهاية ولا تنسحب إلا عليك وعليه وحدكما ، ولا تمتد إلى أبناء أبرياء أو زوجة لا ذنب لها فى أقدارك كما هو الحال لو تمزقت أسرة هذا الرجل..

إذن فكلاكما قادر على التضحية باعتباراته الشخصية حرصا على استمرار هذه الأسرة المهددة وكلاكما قادر على النسيان أيضا بلا عناء كبير بدليل «عودتك للحياة» سريعا بعد رحيل زوجك الأول بشهور قليلة وبدليل نظرية زوجك العجيبة عن «الزوجة الحاضرة » و«الحب الذى لا يتجزأ» ..

والحب الحقيقى ياسيدتى إنما يمتحن بالتضحيات.. فهل تحبين هذا الرجل حقا ؟ وهل أنت قادرة على أن تقدمى له هذه التضحية العادلة بالانسحاب من حياته دون أن تكبديه وتكبدى زوجته وأبناءه الآلام والمعاناة ؟

أم أننا لا نحب الحديث عن التضحية إلا إذا كانت مطلوبة فقط من غيرنا ؟

٥

٣٠ قصة حب واقعية

الحبال الواهية

أنا طبيبة شابة عمرى ثلاثون عاما ، وقد سبق أن كتبت لك من قبل لأستشيرك بشأن أستاذى الأستاذ الجامعى الذى كنت أعد رسالتى العلمية تحت إشرافه ، والذى كنت أعتقد أنه معجب بى ويريد الارتباط بى ، فنما حبى له تحت السطح وتعملق حتى تمكن منى تماما وهو يشجعنى ويقربنى إليه ولكن دون أن يتورط معى فى كلمة أو عبارة صريحة تحسب عليه أو أستطيع تفسيرها كوعد منه بالارتباط بى . وقد نصحتنى وقتها بالابتعاد عنه وقلت لى إنه لا يحمل لى أية مشاعر عاطفية ولا يفكر فى الارتباط بى ذات يوم لكنه كأى رجل يسعده أن يجد من يحبه ويتعلق به . وقلت لى أيضا أنه ليس من الأمانة أن يوهمنى بما لا يعتزم الإقدام عليه حتى يحتفظ بحبى وتعلقى الشديد به إلى مالا نهاية مما يضيع علىّ فرصتى فى السعادة مع غيره وقد أثبتت لى الأيامَ صدق حكمك بعد شهور ، فلقد جعل أستاذى منى أضحوكة بين زملائى وتحدث ساخرا عن غرامى به وسخر منه ومنى بلا رحمة أمام بعض الزملاء ، فتركت الماجستير التى كنت أعدها تحت إشرافه وانتقلت بها إلى جامعة أخرى ، وعانيت من الألم النفسى ماكاد يدمرنى ويشوه كل أفكارى عن الحياة . ومررت بفترة عصيبة من حياتى إلى أن بدأت أتماسك من جديد وأغير كل حياتى فانتقلت للعمل فى مستشفى جديد لا يعمل به هذا الأستاذ الجامعى ولا يتعامل معه حتى لا يتصادف أن أراه أو يرانى وتفرغت لعملى ولرسالة الماجستير ولحياتى العائلية حتى بدأت أنسى ما تعرضت له من مهانة وإيلام فى تلك الأيام العصيبة ، إلى أن جاء يوم وحدثت مشكلة طارئة فى المستشفى بشأن معمل التحليل الخاص به ، وكلفتنى إدارة المستشفى بالتحقيق فيها وحلها ، فقمت بزيارة المعمل عدة مرات وتحدثت إلى كل العاملين به فلفت نظرى شاب يحمل مؤهلا متوسطا يعمل فنيا للتحاليل ولمست فيه الأمانة والجدية والاستقامة ، وقد حصل على رقم تليفونى واتصل بى فى البيت وأبلغنى بما حرص غيره من العاملين بالمعمل على اخفائه عنى وأبدى لى

استياءه من عدم الأمانة والتسيب وكثرت اتصالاته بى من حين لآخر ليبلغنى بما يهمنى أن أعرفه وعلمت منه أنه حاول الاستذكار من جديد للحصول على الثانوية العامة بمجموع يؤهله للانتساب إلى إحدى الكليات الجامعية ، وبعد فترة من التعامل اليومى معه وجدت نفسى أعرض عليه مساعدته فى مادتى الكيمياء والطبيعة وتكرر لقاؤنا فى مكتبى بالمستشفى حتى تأكدت من إعجابى بأخلاقياته لكن أبى انزعج من اتصاله بى فى البيت لطلب مساعدتى له فى دراسته . وقال لى أنه ليس من مستواى الثقافى أو الاجتماعى وطالبنى بعدم الاتصال به واحترمت رأى أبى . ولكن هذا الشاب طلب منى بعد ذلك كتابا فى الكيمياء كنت قد أشرت له عن وجوده لدى فقدمت له الكتاب وفوجئت به يصر على أن يهدينى كتابا فى الأدب اشتراه خصيصا ليكون ردا على هديتى له ، وأخذت منه الكتاب شاكرة فوجدت بين صفحاته رسالة قصيرة مهذبة يسألنى فيها هل هناك أمل ولو بنسبة واحد فى المليون فى أن أبادله مشاعره ذات يوم ويقول لى أنه إذا كان الجواب بالنفى فإنه لن يتصل بى مرة أخرى وسوف يترك العمل بالمستشفى ويبحث عن عمل آخر كما يرجونى أيضا فى هذه الحالة أن أعفيه من اتصالى به حتى لا يتعلق بحبال الأمل الواهية إلى مالا نهاية .

والمشكلة التى أواجهها الآن يا سيدى هى أننى أريده بالفعل ولكن بعد أن يصل إلى المستوى الذى لا اضطر معه إلى الدفاع عن ارتباطى به أو تبريره لأسرتى أو للآخرين وهذا المستوى يبدأ بنجاحه فى الثانوية العامة وانتسابه إلى إحدى الكليات الجامعية وهو على استعداد لأن يفعل أى شىء وكل شىء متاح أو مستحيل لإرضائى . كما أنه يحبنى حبا جارفا يخيفنى وأخشى أنه إذا لم يوفق فى الحصول على الثانوية العامة أن تضيع فرصته معى مما سوف يسبب له بكل تأكيد أزمة نفسية شديدة . كما أنى إذا توقفت عن إعطائه الأمل فى إمكان الارتباط بى ذات يوم وعن الاتصال به فلسوف يترك عمله أو يهمل دراسته .. فماذا أفعل ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

أسوأ ما يفعله الإنسان هو أن يكرر مع الآخرين ما سبق أن بكى منه بمرارة حين ارتكبه البعض ضده من قبل !

ويبدو يا آنستى أننى مضطر الآن لأن أقول لك « عنك » ما سبق أن قلته لك عن أستاذك الجامعــى الذى استمتع بحبك له عـدة سنوات كـان خلالها يشدك إليــه بحبال الأمل الواهيــة كلما ارتخت أو بدا له أن مشاعـرك تجاهه قـد فترت أو أن اليأس منــه قـد بـدأ يتسرب إلى نفسك ، ولست أتهمك بأنك تفعلين بهذا الشاب ما سبق أن فعلــه بك الأستاذ الجامعى عمدا أو عن وعى كامل بما تفعلين ، لكنى أتصور أن عقلك الباطـن هو الذى يدفعك بغير وعى غالبا إلى محاولـة تجربة هذا « الاحساس » الذى طالما ارتـوى منه أستاذك السابق معك فاشتقت إلى تذوقه ومعـرفة كنهه .. وهو إحساس « المحبوب » المسيطر الـذى يتفانى آخـر فى السعى لنيل حبـه وإرضائه بعد أن جـربت طويلا إحساس المحب الذليل ضعيف الإرادة مع من يحب .

ومن سوء حـظ هذا الشاب أنــه قد صـادفك بعد اجتيـازك لهذه المحنة المؤلمة ، فأتاح ذلك لعقلك الباطن الفرصة لإجـراء هذ التجربة العكسية معه والتعـرف على ما يشعـر به الطـرف الآخر فيهـا .. فكأنما تريـدين بغير أن تعرفى بماذا كان يحس أستاذك السابق وأنت تذبحين قرابين الحب بين يديه ولست أتهمك بسوء النية ولا بالرغبة فى إيلام هذا الشاب الطيب فى كل ذلك .

لكنى أقول لك فقط إنك تكـررين معه نفس التجربـة التى آلمتك وتركت بصماتها الغـائرة على شخصيتك وحيـاتك حتى تـركت عملـك ورسـالتك وانتقلت بهما إلى مجال جديد . كما أقول لك أيضا انك لا تحملين لهذا الشاب من المشاعر العاطفية جزءا من المليون مما يحمله لك هو من احاسيس نقية وجارفة حتى ولو حملت له بعض الإعجاب بأخلاقياته .

لهذا كلــه فإن فرصتك معـه ضعيفة للغـاية ورهينـة بعوامل وظـروف تعليمية واجتماعية ليست تحت سيطرتك ولا يتسع العمـر لتداركها بعد أن بلغت الثلاثين من عمرك ، ولو كنت قد استشعـرت من رسالتك حبا صادقا حقيقيـا لهذا الشاب لنصحتك بأن تـرفعى من مستواه الثقـافى والاجتماعى وتكملى معه المشـوار الطويل رغم مـا يكتنف ذلك من صعوبـات وتعقيدات اجتماعية أنت فى غنى عنهـا ، لكنى للأسف لم استشعر فى حديثك عنـه هذا « الحب البانى » الـذى يبنى الطرف الآخر ويرتفع بـه إلى أقصى ما تسمح به قـدراته وملكاته من درجـات ، وإنما ألمس فيها فقط إعجابـا بشخصيته

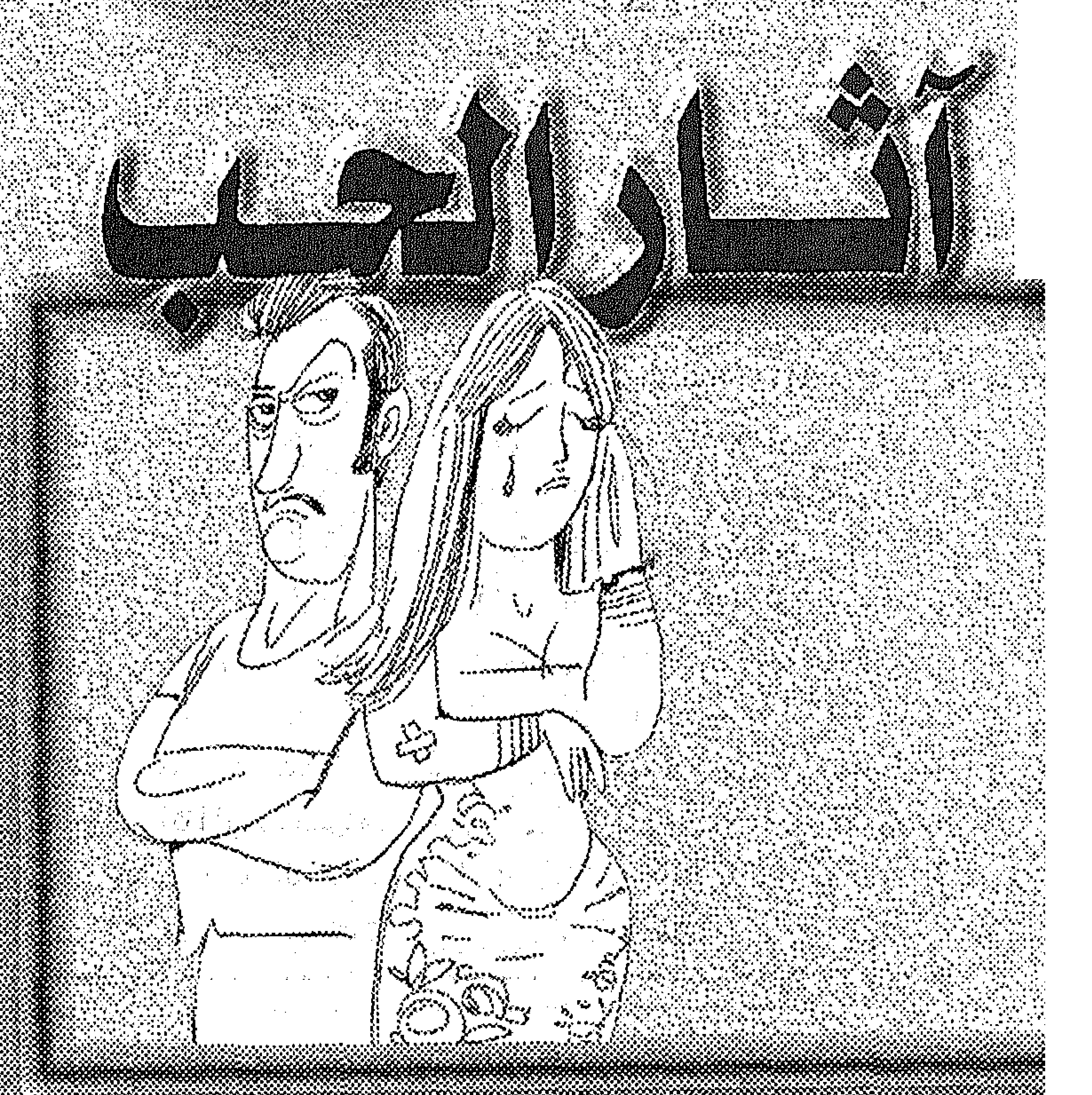
لا يكفي وحده لتجـاوز ما بينكما من تفاوت ثقـافى واجتماعى كما ألمس فيه أيضـا شيئا من التعـويض النفسى الذى تستشعرينه وتستمـدينه من حب هذا الشاب الجارف الذى أعاد لك بعض اعتبارك وثقتك بنفسك واحساسك المفقود بـالجدارة ، وهذان العاملان لا يكفيـان وحدهما لبناء حيـاة سعيدة وواعدة بالأمان والاستقرار على المدى الطويل يا آنستى .

لهذا فإنى أنصحك بأن تطلقى سراح هـذا الشاب من أسر حبـه لك قبل أن يتمادى فى الحلم والأمل فى نيلك والفوز بحبك ، وقبل أن تتضـاعف الآثار النفسية المؤلمة لانهيار البناء بعد أن يكون قد ارتفع وعلا وناطح السحاب ، ولن يكون ذلك صعبا عليك الآن إذا حرصت على احترام مشـاعر هذا الشاب وكرامته .. وتوقفت عن بث الأمل فى نفسه ولسوف يكون ذلك مؤلما وجارحا إذا تأخر كثيرا عن مـوعده أو إذا تم بطريقة قـاسية تؤلم المشاعـر أو تؤذى القلوب البريئة .. فلا تترددى أمام هذا ولا ذاك .. وشكرا .

٦

٣٠ قصة حب واقعية

آثار الحب



منذ فترة طويلة وأنا أفكر فى الكتابة إليك لأروى لك قصتى وأختتمها بنداء للآخرين للاستفادة من تجربتى ، فأنا سيدة فى السادسة والثلاثين من عمرى نشأت بمدينة ساحلية فى أسرة مكونة من أب موظف كبير وأم ربة بيت وشقيق وشقيقة . وحين بلغت مرحلة الصبا لفت جمالى الأنظار فبدأ الخطاب يطرقون باب أبى فخطبت لمهندس من أبناء المدينة عن طريق الصالون ، وفرحت بالدبلة الذهبية والهدايا ومجاملات خطيبى الذى بدا مبهورا بجمالى ، وفى هذه الفترة أعير أبى للعمل بالخارج وتوفيت والدتى عقب زواج شقيقتى الكبرى فعشت مع شقيقى وحدنا فى مسكن الأسرة ترعانا سيدة عجوز ويرجع الينا أبى فى الأجازات الصيفية وحصلت على الثانوية العامة بمجموع ضعيف فالتحقت بمعهد فوق المتوسط لمدة سنتين ، فما أن بدأت الدراسة حتى تغير خط حياتى فجأة .. فلقد تعرفت فى المعهد بزميل لى اقترب منى على الفور وأحسست تجاهه بضعف عجيب ، ولم يلبث أن صارحنى بحبه ورغبته فى الارتباط بى ففقدت كل مقاومة وغرقت فى حبه وتركزت كل آمالى فى الحياة فى الارتباط به ، وصممت على فسخ خطبتى للمهندس الذى فوجىء بجفائى له وبذل المستحيل ليعرف سر تحولى المفاجىء عنه حتى يئس منى ففسخ الخطبة وانصرف عنى حزينا ورجع أبى فى الاجازة الصيفية فتقدم له فارس أحلامى فلم يصمد لأى اختبار أمامه ، فالفتى صغير السن يكبرنى بعامين فقط . ولا يملك مالا يتزوج به .. ولا وظيفة له انتظارا لأداء الخدمة العسكرية فرفضه أبى بإصرار ومنعنى من الخروج والاتصال به وحان موعد رجوعه لعمله فخشى لو تركنى فى بيت الأسرة ألا أنقطع عن رؤيته، فأبعدنى إلى بيت شقيقتى المتزوجة وشدد عليها أن تراقبنى وتمنعنى من كل اتصال بفتاى ، وسافر مطمئنا إلى ما فعل فلم يمض على سفره أسابيع حتى كنت أنا وفتاى قد حزمنا أمرنا على الزواج بغير علم أبى لنضعه أمام الأمر الواقع وفى اليوم المحدد تسللت من بيت شقيقتى إلى بيت شقيق فتاى الأكبر حيث تم عقد

القران ، ثم ركبنا القطار إلى القاهرة وأقمنا فى شقة مفروشة حقيرة حتى انتهت إجازته ورجع للوحدة العسكرية وخرجت أنا للعمل لأواجه الحياة فزوجى لا يعمل .. وما بقى معنا من نقود لا يصمد لأيام فبدأت العمل فى محل تجارى ثم تنقلت بين عدد كبير من الأعمال حتى أنهى زوجى تجنيده وعين عن طريق القوى العاملة بوظيفة حكومية صغيرة ، وأنجبت طفلى الأول ونحن نتشارب كؤوس الحب والعطف والحنان ، وأنا فى قمة السعادة رغم أننى قد أصبحت مقطوعة من شجرة بعد أن قاطعنى أبى بمجرد علمه بزواجى وانقطع عنى شقيقى وشقيقتى وكل أهلى ، ورغم الضيق المادى الشديد الذى كنا نعيش فيه واضطرارى أحيانا للعمل فى عملين صباحا ومساء كل يوم لكى أوفر مطالب الحياة ونسعى إلى الحصول على مسكن بالايجار .

ومضت السنوات بحلوها ومرها ، وأنجبت ولدا وبنتا . وفقد زوجى وظيفته الحكومية لعدم انتظامه فيها فواجهنا المستقبل بلا معاش ولا تأمينات ثم بدأ زوجى يعمل بالفنادق، لكننى لم أتوقف عن العمل لكى نستطيع الحصول على مسكن خاص بنا، فعملت فى صيدلية، وفى مكتب مأذون، بل وعملت أحيانا كتاجرة شنطة أشترى البضائع من بورسعيد وأبيعها للسيدات فى القاهرة حتى استطعنا بجهد مرير أن نحصل على سكن مستقر، وتصورت اننى قد بلغت أخيرا شاطىء الأمان.. فإذا بفارس أحلامى الذى بعت أبى وأسرتى من أجله يتكشف لى عن شخص آخر تماما، لاصلة له بالشاب الحنون الرقيق العاطفى الذى عرفته فى المعهد.

فلقد بدأ زوجى يسهر حتى الصباح ويتركنى وحيدة مع الطفلين.. ويبيت خارج البيت بالأيام.. ويشرب.. ويكذب.. ويعاملنى بعصبية شديدة عند العتاب، ولايطيق أن أعاتبه فى شىء.. أو أذكره بتضحياتى من أجله أو بأننى لم يعد لى أهل سواه وأبى مازال على مقاطعته لى منذ سنوات ثم أصبح لايتورع عن إيذائى بالضرب المبرح عند كل شجار بيننا، حتى امتلأ جسمى بالكدمات والدوائر السوداء والزرقاء، وحتى ضربنى ذات مرة فى رأسى فأصابنى بفقدان مؤقت للذاكرة عانيت بسببه من النسيان والتوهان فترة طويلة، وإلى الحد الذى أصبحت فيه مشكلتى عند الخروج

للعمل هى كيف أخفى آثار الضرب الوحشى عن عيون الناس فأرتدى النظارة السوداء من أكبر مقاس، وألف الإيشارب حول عنقى، وأضع الكريم والبودرة فوق البقع الزرقاء فى يدى ووجهى.. وتسألنى ولماذا تحملت كل ذلك.. وأجيبك ولمن ألجأ إذا لم أحتمله وأبى يقاطعنى، وشقيقى وشقيقتى المتزوجان لايدريان عنى شيئا ولاأريد إطلاعهما على شىء من أمرى حتى لاأسمع الرد الوحيد المتوقع وهو أليس هذا من بعتنا من أجله؟!

فكانت النتيجة اننى واصلت التحمل إلى النهاية.. وان كنت قد فقدت صبرى مرة أو مرتين حين اشتد ايذاؤه لى فشكوته للشرطة، وقام الضابط بتسوية الأمر وديا وهدده بالإيذاء لو عاد لضربى.. وواصلت الحياة معه.. وتحملت كل شىء ماعدا خيانته لى وعبثه مع فتيات أخريات، إذ كلما لمست شيئا من ذلك أصابنى الجنون أن يعرف أحد غيرى ـ وأنا من بعت أهلى وعشيرتى كلهم من أجله ـ فيتجدد النزاع بيننا ويعود لاستعمال العنف الشديد معى..

ومنذ أسابيع تشاجرنا معا لنفس السبب فضربنى بقسوة حتى عجزت عن النوم على ظهرى من الآلام المبرحة، واعتزلته واكتفيت برعاية أطفالى وإعداد الطعام وشئون البيت، فإذا به يرجع للتحرش بى بعد ثلاثة أيام ويهم بالاعتداء علىّ فصحت فيه بلهجة مريرة أرجوه ـ من فضله وكرمه ـ ألا يضربنى قبل أن يشفى جسمى من آثار الضرب السابق!! فخجل من نفسه وتراجع.. بل وحاول الاعتذار لى لكننى لم أعد أقبل منه اعتذارا.. لقد كرهت حياتى وكرهت كل شىء بل اننى أشعر أحيانا بأننى أكره أولادى أنفسهم لأنهم السبب فى احتمالى لكل ماااحتملت حتى الآن، كما اننى أفكر كثيرا فى طلب الطلاق وأعلم جيدا انه لن يمنحه لى إلا عن طريق المحكمة وأخشى مصيرى ومصير أولادى لأنه فى النهاية يتكفل بنفقات الأسرة والأولاد، ولايبخل عليهم.

وبسبب عدم احساسى بالأمان معه رجعت للعمل مرة أخرى، وأصبح كل همى هو أن أدخر أجرى منه وأشترى به مصوغات ذهبية لأجد ماأواجه به المستقبل المجهول، أما أبى فقد صفح عنى منذ أسابيع فقط وبعد ١٦عاما من القطيعة وبدأ يحاول أن يعوضنى عما عانيته من حرمان،

وصارحنى بأنه قد حفظ لى حقى فى ماله كاخوتى لكنه لن يسلمه لى أبدا وهو على قيد الحياة حتى لايستولى عليه زوجى أو يبدده.

وهو لايعلم على أية حال شيئا عما أعانيه مع فارس أحلامى القديم من ضرب وهوان وخيانة.. واستهتار بمستقبل الأولاد فزوجى لايدخر لأولاده شيئا ويريد أن يشترى سيارة ليتفسح بها مع العابثات ويريد أن يركب تليفونا فوريا ببضعة آلاف من الجنيهات لكى يحرقن دمى كل يوم بالاتصال به وقد منعته بما استطعت من قوة من شراء السيارة وتركيب التليفون وهددته بالانتحار لو فعل فرضخ مؤقتا لإرادتى لكنه لم ييأس بعد .

وتسألنى إذن لماذا أكتب إليك الآن.. فأقول لك لأن جاراتى يستدعيننى كل حين لأحكى لبناتهن قصتى مع فارس الأحلام الحنون وخروجى على طاعة أهلى لكى أتزوجه وكؤوس المر التى تجرعتها معه طوال السنوات الماضية، حتى لايصدقن الشباب المخادع.. ولايخرجن على طاعة أهلهن، وقد أعدت رواية قصتى للمرة الألف منذ أيام فى بيت إحدى جاراتى فخطرت لى فكرة أن أكتب إليك لكى تنشر رسالتى وتقرأها كل الفتيات وأقول لهن فيها: لاتبعن آباءكن أبدا من أجل رجل بوهم الحب.. فليس فى الوجود رجل واحد يستحق أن تبيع فتاة أباها وأمها واخوتها وتهجرهم من أجله، أما الحب والرقة والحنان والأحلام الوردية.. والرجل الذى لاأطيق الحياة بدونه.. فكلها أكاذيب وأوهام تتبدد خلال ٣ أو ٤ سنوات على الأكثر بعد الزواج، فإذا واصلت الفتاة بعد ذلك حياتها مع زوجها الذى هجرت الأهل إليه فمن أجل أولادها.. ولكى لاتثير شماتة الأهل فيها.. ثم أخيرا لأنها أصبحت مرفوضة من الأهل فلمن تلجأ بعد أن هجرتهم وأنكروها.. أرجوك اكتب هذا الكلام على لسانى بكل قوة بل إنه إذا استشارتك فتاة تريد أن تهجر أهلها لتتزوج بمن تحب كما فعلت أنا، فوفر عليك جهد النصح والإقناع والكلام الهادئ الحكيم لمن هم أحق بجهدك وتعبك منها واستدعنى من بيتى على الفور لكى أسحبها من شعرها أمامك إلى أقرب حمام وأريها آثار الحب القديمة والحديثة على جسمى كله وعلى وجهى الذى اختفت منه ملامح الفتاة باهرة الجمال التى كانت.. وعلى مظهرى

الذى أصبح كمظهر الشغالات، ولك علىّ بعد ذلك ألا ترجع إليك هذه الفتاة مرة أخرى أبدا، وشكرا لك إن فعلت ذلك.. واستدعيتنى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

مابجسمك ياسيدتى ليس من آثار الحب، وإنما من آثار الحمق والطيش والجنون. بل أنى لاأتردد فى أن أقول لك أيضا أنه من آثار طبيعة النفس البشرية التى قد تميل أحيانا - إلا من عصم ربى - إلى الاجتراء على الآخرين إذا أمنت سوء العاقبة من جانبهم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فى مثل حالتك، وفى الأحوال المشابهة فليفسر لى أحد لماذا نلتمس دائما أعذار العصبية والانفعالية لأنفسنا فى تهورنا على الأعزاء الذين نأمن ردود أفعالهم تجاهنا، ونعتصم فى نفس الوقت بضبط النفس مع الآخرين الذين لا نأمن ردود أفعالهم ضدنا، إذا تهورنا عليهم بالإيذاء البدنى، مع أننا قد نلقى منهم استفزازات أشد عشرات المرات مما قد نلقاه من الأعزاء الضعفاء؛ ومع أن الشخصية فى كلا الحالين واحدة، ولم تفقد بعد سمات عصبيتها ولا انفعاليتها فى التصرف ؟

هل هناك تفسير آخر سوى أننا نعلم جيدا أننا لو استجبنا للطبيعة العدوانية الكامنة فى داخلنا تجاه الآخرين، فسوف يردون لنا الصاع صاعين بنفس الطريقة.. ونعلم جيدا أيضا أن أعزاءنا الذين نطلق عقال وحشيتنا العدوانية تجاههم لن يستطيعوا أن يردوا على الإيذاء البدنى بإيذاء مثله .؟

لا تفسير سوى ذلك مهما أجهد أهل الانفعالية والعدوانية مع الزوجات والأبناء أنفسهم فى البحث عن أى تفسير آخر ؟

وظروفك ياسيدتى كانت ومازالت ظروفا مثالية للضعف والاستضعاف، فلقد قطعت كل جسورك بأبيك وأخوتك وأهلك جميعا، والتصقت بفتاك فارس الأحلام القديمة وبدلا من أن يكون ظهيرك فى الحياة بعد أن فقدت كل نصير أدمن الاجتراء عليك بالإيذاء الوحشى عند كل خلاف وهو آمن تماما من كل رد فعل عكسى، فلا أنت قادرة على أن تردى عليه العنف بالعنف ولا أنت قادرة على الاحتماء بأهلك وعشيرتك

واستنصارهم عليه ولا أنت قادرة على هجره وحرمانه من استقرار حياته وحياة أطفاله فيتحفظ بعض الشيء فى عنفه معك .

وهذا هو درس تجربتك الحقيقي.. فالحب لا شأن له برضوض جسمك ولا بما تردت إليه أحوالك مع فتى الأحلام القديمة لأن الحب صنو الرحمة العطف والرفق والحنان، لا صنو العنف والضرب والإيذاء وكسور الظهر وندوب الوجه، أما درس التجربة فهو أن أصل البلاء كله فى اجترائك على الخروج على طاعة أبيك وأنت فتاة دون العشرين من عمرها لتتزوجى فتى لم يبلغ الثانية والعشرين من العمر، ضاربة عرض الحائط بكل شيء وطاعنة قلب أبيك فى مقتل بلا رحمة وبغير أن تستنفدى معه كل الوسائل لنيل رضاه وتصبرى عليه حتى يعدل عن رأيه ولو صبرت عليه عاما أو عامين أو ثلاثة لنلت بغيتك ولما خسرت رضا أبيك لكنها آفة الطيش والتعجل وفقدان البصيرة، وإذا كان بعض الرجال الذين يتزوجون فتيات القلب بهذه الطريقة المعيبة قد يحفظون لزوجاتهم تضحياتهن الجسيمة من أجلهم ويحيطون بهن طوال العمر بالحب والرعاية .. ويسعون بكل جهد لاعادة روابطهن بأسرهن، فإن الكثرة منهم للأسف قد يجدون فى ظروف زوجاتهم حين يفتر الحب أو ينهزم أمام صعوبات الحياة وتحولات المشاعر، ما يغريهم بألا يتحفظوا معهن فى فعل أو تصرف وهم آمنون تماما إلى أن البحر وراءهن ولا سبيل أمامهن سوى الاحتمال والصبر على ما جررن على أنفسهن من وبال، ولا عجب فى ذلك فقديما قال الإمام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه «ستحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من معاص» وأية معصية أشد من خروجك على طاعة أبيك بهذه الخفة والطيش وأية أقضية أخف وطأة من معصيتك من حالك مع زوجك المحبوب الآن .

أما الشخص الآخر الذى تكشف لك فيه بعد معاشرتك له فليس أمرا خارقا للمألوف، لأن شخصية ابن العشرين أو الحادى والعشرين التى استهوتك وتصورت أنك قد عرفت كل قسماتها ليست غالبا هى الشخصية النهائية للانسان التى ترافقه بقية العمر، وانما هى الشخصية الملائمة وقتها لحداثة سنه وقلة تجاربه واختباراته فى الحياة وهى دائما قابلة للتحولات بعد اكتساب النضج والخبرة والتفاعل مع خبرات الحياة السلبية

أو الايجابية لهذا فمن مألوف الحياة فى دولة كالولايات المتحدة مثلا حيث ينتشر إلى حد كبير زواج المراهقين، أن يتهدم هذا الزواج بعد ثلاث أو أربع سنوات على الأكثر ويعيش المطلقون الصغار رجالا وفتيات بضع سنوات بلا زواج، ثم يتزوجون زواجا ثانيا وهم فى أعقاب الثلاثين أو بعدها فيكون هذا الزواج هو الزواج الحقيقى الذى يستمر حتى نهاية الرحلة. أما الزواج الأول فهو زواج العاطفة الهوجاء التى لامكان لأحكام العقل فيه، فإذا كان زواجك قد استمر فلأننا والحمد لله لانجترىء على الانفصال طلبا للسعادة الشخصية وحدها دون النظر إلى مسئوليتنا عن الأطفال الذين جئنا بهم إلى الحياة برغبتنا نحن وليس بإرادتهم، وهذا هو تفسير هذا الإحساس الخطير الذى تشعرين به من حين لآخر تجاه أطفالك إذ تعتبرينهم المبرر الوحيد لاستمرار الزواج وتحمل الإيذاء البدنى والمعاناة النفسية وهو إحساس غير ناضج ولا سليم على أية حال لأنك وحدك المسئولة عن اختيارك .

٧

٣٠ قصة حب واقعية

موعد الزيارة



هذه هى رسالتى الثانية لك وأرجو ألا «تكرهها» كما كرهت رسالتى الأولى ورفضت الرد عليها.. وقبل أن استطرد فى رسالتى أذكرك بوقائع الرسالة الأولى فقد رويت لك فيها اننى منذ سبع سنوات تعرفت على سيدة أجنبية ودعوتها للإقامة مع أسرتى فى القاهرة لمدة أسبوعين على أن نرد إليها الزيارة فى بلدها ونقيم فى بيتها. فيما بعد، وبالفعل جاءت السيدة الأجنبية ومعها أطفالها فى موعد الزيارة واستقبلتهم فى المطار لكنى بدلا من أن أصطحبهم إلى بيت الأسرة، كما كان الاتفاق فقد توجهت بهم إلى شقة مفروشة استأجرتها لمدة أسبوعين مدعيا للضيفة الأجنبية أن أسرتى على سفر خارج القاهرة، وخلال زيارة السيدة للقاهرة وفيما بين جولاتنا فى منطقة الأهرام والمتحف وخان الخليلى حكت لى عن نفسها وشكت لى كثيرا من زوجها وحدث بيننا مالا تحمد عقباه، وانتهت الزيارة ورجعت السيدة إلى بلدها فلم يمض شهران حتى كتبت لى أنها حامل فأسقط فى يدى ولم أدر ماذا أصنع، وبعد شهور أخرى أبلغتنى أنها قد وضعت مولودا ونسبته إلىّ وأرسلت إلى شهادة ميلاده، واستشرت فى ذلك بعض رجال الدين فكان منهم من حرم نسبة الطفل إلىّ ومنهم من قال لى انه من لحمى ودمى ودعانى إلى التوبة والاستغفار ثم الزواج من هذه السيدة زواجا شرعيا بعد أن طلقت من زوجها، وبالفعل فقد بدأت أعد نفسى للسفر إلى البلد الذى تقيم فيه والزواج منها والعمل هناك، لكن قد واجهتنى بعض الصعوبات، وجاءتنى خلال ذلك فرصة للعمل فى دولة عربية فسافرت إليها وكتبت للسيدة الأجنبية معتذرا عن عدم اللحاق بها وواعدا بألا يطول غيابى عنها أكثر من عام واحد أجمع خلاله بعض المال قبل السفر إليها. وبدلا من أن أركز جهدى على ذلك فعلا إذا بى أتعرف على فتاة مصرية وأتقدم لخطبتها بعد تعارف سريع بين العائلتين فى القاهرة وعن هذا التطور فى حياتى كتبت لك رسالتى الأولى وسألتك عما تشير علىَّ به فى حياتى هل أمضى فى الخطبة والزواج من هذه الفتاة أم أفى بوعدى للسيدة الأجنبية

وأسـافر إليهـا وأتزوجهـا، وتـرقبت ردك على صفحة بـريد الجمعـة لكنك فيما يبدو كرهت رسالتى وأحسست أننى شاب فاسد ولايرجى له صلاح، فلم تعن بالـرد على تساؤلى فكان أن تزوجـت الفتاة التى خطبتها وسافـرنا للدولـة العربيـة وأنجبنا مـولودا جميـلا، ونظرا لأن ارتبـاطى بها قـد جاء سريعا وفى أجـواء لاداعى لشرحها، فلم أشعـر يوما اننـى أحب زوجتى هذه مع أنها طيبة جدا، وقد رجعنا معـا هذا الصيف من الدولة التى أعمل بها فى اجازة وبعد أيام من رجوعنا تذرعت لها بأن لدى موعدا لتسجيل الماجستير فى جامعـة بإحدى العـواصم الأوربية، وسـافرت إلى الدولـة التى تقيم بها السيدة الأجنبية ووجـدتها فى انتظارى بالمطار ومعهـا أطفالها وطفلى.. فإذا بى أجـده صـورة طبق الأصل من مـولـودى الآخـر من زوجتى المصريـة، وقضيت مع السيدة بضعة أيام وسافرت واعدا بقرب اللقاء مرة أخرى.

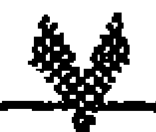
اننى أشعـر انك تريـد أن تمزق رسـالتى عنـد هذا الحد لكنى أرجـوك الصبر علىّ لأننى فى حاجة شديدة إلى مسـاعدتك، فأنا الآن فى طريقى لإنهاء عملى فى الدولة العـربية مع نهاية هذا العـام ولا أحمل أى مشاعر من الحب لزوجتـى الطيبة، ولا أعلم كيف ستكـون حياتى إذا قـررت السفر للـدولة الأوربيـة والزواج من أم الطفل والاستقـرار هناك، ومـا يشغلنى حقا هـو مصير طفلى من زوجتى الحالية فى حالة الطلاق، لهذا فإنى أرجوك أن تشير علىّ بما تـراه الأصلح والأفضل لى وبأن تجيبنى عن السؤال الـذى يشغلنى وهو هل اعترافى ببنوة طفل السيدة الأجنبية حلال أم حرام؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

اما اننى قـد كرهت رسالتك الأولى وعـزفت عن الرد عليهـا فهذا صحيح تمامـا، وأما اننى كـدت أمزق رسـالتك الثانيـة هذه ضيقـا بها وبما فعلت بنفسك وبحيـاتك، فهـذا صحيح أيضا، فإذا كنت قـد عـدلت عن رغبتى فى الاهتمام بها وقررت نشرهـا، فليس ـ وعفوا لذلك ـــ عن تعاطف معك وإنما عن رغبة فى أن يتعلم غيرك من الشباب درس تجربتهـا الذى يذكرنى بمطلع تلك القصيدة الأمريكية التى تقول:

متعة الحب لحظة

شجن الحب يدوم إلى الأبد!



ولكى يعرفوا لأقدامهم قبل الخطو موضعها، حتى لا يتورطوا فى سلوك لا أخلاقى متعته باللحظات، وأشجانه وهمومه قد تصاحبهم بقية العمر!

فها أنت تواجه أو تعانى من «شجن» ذلك الحب اللحظى الذى ستستمر فى حياتك بذيوله وتبعاته ما بقى هذا الطفل على قيد الحياة.. وما بقيت أنت.

وعلى أية حال فإننى أقول لك أنك قد أخطأت بسلوكك غير الملتزم مع هذه السيدة الأجنبية وأخطأت مرة أخرى بزواجك المتسرع المتعجل قبل اختبار المشاعر والتأكد منهاوكأنما كنت تهرب به من مواجهة مشكلتك الأساسية، وأخطأت مرة ثالثة بالسفر إلى السيدة الأجنبية وتجديد صلتك بها وإحياء وعودك الكاذبة لها، فلا تكرر الخطأ.. ولا تضاعفه بطلاق زوجتك الطيبة وتشريد طفلك منها، إذ لا ذنب له ولا جريرة فى تعجلك الزواج من أمه.. ولا فى حكاية مشاعر الحب هذه التى لا تشعر بها تجاهها.. وكن رجلا يتحمل تبعات تصرفاته وأفعاله بأمانة كما يفعل الشرفاء الذين لا يسمحون بأن يدفع غيرهم ثمن أخطائهم. وصارح السيدة الأجنبية بأنك لا تستطيع الهجرة اليها والاقامة معها.. لأنك لا تستطيع ذلك فعلا ولا ترغب فيه ولا تأمن لحياتك مع مثل هذه السيدة لكنك تخدع نفسك بالأمل فيها، وأعلن لها استعدادك للاعتراف ببنوة طفلك منها ولو تطلب ذلك منك أن تعقد قرانك عليها لفترة ثم تطلقها مع انه لا يتطلب ذلك ومع انى أشك فى قبولها عقد قرانك عليها لمجرد تصحيح الأوضاع حيث لا يعنيها هذا الأمر كثيرا ولا تحتاج إليه فى مجتمعها.. وإنما الاعتراف هناك مسئولية أدبية وانسانية فقط والتفت إلى زوجتك وحاول اعادة اكتشافها من جديد ولابد انك سوف تجد لديها ما تحبها من أجله خاصة حين تصرف ذهنك نهائيا عن التردد بين مواصلة الرحلة معها وبين قطعها واللحاق بالسيدة الأجنبية التى لو سافرت اليها وتزوجتها لما ضمنت سعادتك معها ولما تيقنت من قدرتك أو حتى من قدرتها هى على استكمال رحلة الحياة معا.. فأنتما فى النهاية غريبان لم يكد أحدكما يعرف الآخر جيدا أو يحكم على مدى تقبله للحياة معه. أما نسبة ابنك إليك فلا شىء فيها من الناحية الدينية لأنه ابنك حقا وصدقا بغض النظر عن الظروف الأخرى وهو ما يعرف بالاستلحاق أى أن تلحق باسمك ونسبك

من اعترفت ببنوته الصحيحة، واعترافك ببنوته من الرجولة وتحمل المسئولية عن أخطائك، اما ذروة الأمانة حقا فهو أن تصارح أمه الأجنبية بأنك غير قادر على الوفاء لها بوعدك بالهجرة اليها والاقامة معها.. وصدقنى انها لن تصدم فيك كثيرا لأنها أكثر واقعية مما تظن.. ولأنها قادرة على رعاية نفسها، وقد كانت تستطيع لو أرادت أن تتخلص من الجنين لكنها لم تفعل لأنها أرادته وتستطيع رعايته وأطفالها دون معاونة منك. اما الشرف فيقضى أن تمهد الجو من الآن مع زوجتك لابلاغها تدريجيا بقصة ذلك الطفل لكيلا تفاجأ به يطرق عليها بابها بعد بضع سنوات باحثا عن أبيه أو راغبا فى التعرف عليه وعلى اخوته، وسوف يحدث هذا بالتأكيد بعد سنوات لن تطول. فحاول أن تمهد لهذا الأمر من الآن.. وسوف تتفهم زوجتك الوضع وستعينك عليه وحاول أيضا أن تكفر عما فعلت بالجدية والالتزام الخلقى والدينى فى حياتك.. والوفاء لزوجتك ولطفلك منها وحبذا لو استطعت أن تؤدى إلى طفلك الآخر من الأجنبية بعض الحقوق المادية أو حتى أن تقدم له بعض الهدايا والتذكارات فى المناسبات المختلفة.. ويكفى هذا القدر الآن.. وشكرا.

٨

٣٠ قصة حب وقصة

قلب العاصفة



نشأت فى أسرة صغيرة بين أب لا يعـرف إلا إصـدار الأوامـر بسبب نشأته العسكرية وحتى بعد أن تقاعد وعمل بالأعمال الحرة منذ سنوات طويلة .. وأم لا حول لها ولا قوة وشقيقين يكبراننى بعدة أعوام .. ورغم ان حياتنا كانت ميسورة مادياً إلا أنها كانت جافة من الناحية العاطفية فليس بيننا وبين أبينا سوى علاقة تلقى الأوامر والالتزام بتنفيذها حرفياً وإلا فالويل لنا جميعاً .

وفى هذا الجو العائلى الصارم حصلت على الثانوية العامة ، ورشحنى مجموعى للالتحاق بكلية التجارة بجامعة الاسكندرية .. وطرت فرحاً حين وافق أبى على أن أسافر إليها لأقيم بها مع جدى إلى أن ينجح فى نقلى لكلية التجارة بجامعة القاهرة فى العام الدراسى التالى .

وسعد جدى بذلك كثيراً نظراً لوحدته بعد وفاة جدتى وسافرت إلى هناك وبدأت حياتى الجامعية الجديدة محمّلة بأوامر أبى وتعليماته الصارمة وكان أهمها هو عدم الاختلاط بالطلبة وعدم الاختلاط بأى إنسان يقل مستواه الاجتماعى عن مستوانا .. وعدم التأخر خارج البيت عن ساعة معينة مهما كانت مواعيد الدراسة ، لكى يتصل بى تليفونياً من القاهرة ويتأكد من عودتى . والتزمت بكل هذه التعليمات حرفياً .. وبدأت أتردد على الكلية كل يوم وأعود إلى بيت جدى فأجد عنده كل ما حرمت منه طوال حياتى من الحنان والفهم والأبوة الحقيقية .

ومضى عامى الأول بسلام وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت وهمّ أبى بأن ينقل أوراقى إلى جامعة القاهرة فتوسل إليه جدى بتحريض سرّى منى أن يدعنى أتم تعليمى الجامعى معه لأنه وحيد ويحتاج إلى صحبتى . وقبل أبى ذلك بعد تردد طويل .. وسعدت بذلك وحرصت فى نفس الوقت على ألا أبالغ فى إظهار سعادتى به حتى لا أستثير ضيق أبى .

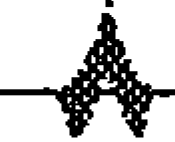
فيصمم على نقلى .. وبدأت عامى الثانى سعيدة وفى بدايته أوصى جدى صديقاً له بأن يقوم ابنه الطالب بالسنة النهائية بكلية الطب بالمرور علىّ كل

صباح بسيارته الصغيرة المتهالكة ليصحبنى إلى الكلية حتى أتجنب مضايقات المواصلات .. وقام الشاب بهذه المهمة بترحيب ، فأصبح يصطحبنى إلى الكلية فى الصباح ، ويحاول أن ينهى دراسته فى موعد يتلاءم مع موعدى ليعيدنى إلى البيت وخلال رحلتىْ الصباح والمساء .. نمت بيننا عاطفة شريفة قوية وتعاهدنا على الزواج بعد انتهاء دراستى .

وتخرج فتاى قبلى بعامين .. ثم تخرجت أنا وانتهت اقامتى بالاسكندرية وعدت إلى القاهرة لأنتظر اليوم الموعود الذى سيجىء فيه مع أبيه وجدى ليطلبوا يدى من أبى .. وجاء بعد أيام إلى بيتنا واستقبلهم أبى بترحاب .. ثم بدأ جدى الحديث فإذا بأبى يرفض فتاى بلا تردد وبكلمات قاسية تشعره بالعجز والهوان وضآلة الشأن ، مؤكدا له أنه لا يجد فيه المواصفات التى يريدها فى زوج ابنته وأنه لا يحق له أن يطمح فى الزواج منى لأن امكانياته لا تؤهله لذلك .. ثم أنهى حديثه بجفاء شديد كأنه يطرد الجميع .. وصُدم الشاب وأبوه صدمة مذهلة ليس للرفض فى حد ذاته وإنما لهذه اللهجة المهينة .. وأحس جدى بالحرج الشديد أمام صديقه ، وطالب أبى بالتروى قليلاً واستشارة صاحبة الشأن فى الأمر فاصر أبى على موقفه .. ولم يلن حتى بعد أن صارحه جدى بأن « البنت والولد » يحبان بعضهما البعض منذ ٣ سنوات ومتعاهدان على الزواج !

وغادر جدى بيتنا حزينا مع صديقه وانصرف فتاى والعرق يتصبب منه .. وكنت قد سمعت كل الحوار عن قرب فأسرعت ألحق بفتاى على السلم لأطالبه بألا ييأس .. وقلت له إنى رشيدة وأستطيع إذا يئسنا فى النهاية أن أتزوج بغير موافقة أبى لكنه ازداد حزنا .. وطالبنى بالاهتمام بنفسى ثم ودعنى قائلاً : «لا إله إلا الله » ..

وانصرف الضيوف مهزومين وعاد جدى إلى الاسكندرية مكتئبا ، ورفض أن يقضى معنا عدة أيام .. وسعى أبى بعدها لإلحاقى بالعمل بإحدى الشركات الاستثمارية بالقاهرة وعينت بوظيفة مناسبة وتمنيت أن يشغلنى العمل عن حلمى القديم فوجدتنى أزداد استغراقا فيه .. ومضى عامان طويلان لم أتوقف خلالهما عن الأمل فى أن ينجح جدى فى إقناع أبى بالتنازل عن موقفه ، لكنى يئست من ذلك تماما حين توفى جدى وودعته



بـاكيـــة حنانه وعطفه . وبعد وفاته بشهور تقدم لى شاب مرموق وجد فيه أبى كل مـا يطلبـه فى زوج ابنتــه من أسرة .. وثراء .. وصـــلات اجتماعيـة واسعـة فـــوافق عليـه وتحمس لــه وأقنعنى بـه وشـاركتــه فى ذلك أمي وشقيقاى . والتقيـت به من بـاب الرغبـة فى تغيير حياتى ووجـدته جـذاباً ومهذباً ، ورغبت فى ألا أخدعه فحكيت لـه قصتى كاملة .. فقال لى انه يعتبر ذلك دليـلا على اخــلاصى وأن الـزمن ســوف يخلق بيننـا من الــروابط مـا ينسينى هذه التجـربـة بكل آثارهـا.. وحـاول جاهـدا أن يشغلنى عن ذكرياتى .. واستجبت لمحاولاته بـاخلاص وشغلت معه بالاعداد للزواج .. وتم الزفاف بالشروط التى رآها أبى لائقة بمركزه وثروته .. وأقيم الحفل فى فندق كبير توافد عليه رجال الأعمال وخصصت فيه مائدة رئيسية لضيوف الشرف من المسئولين الـذين تُنشر صـــورهم فى الجرائد ، ووقف فخـورا بتشريفهم الحفل وتـزوجت .. وبدأت حيـاتى وكلى رغبة فى السعـادة وبدء صفحة جديدة فى حياتى ، وعشت شهورا أحاول استشعار السعادة وأبذل جهـدا مخلصاً لإسعـاد زوجى .. ورفضت أن أنجب قبل أن يستقر بنيـان حياتى الزوجية .. ومضى عام من زواجى لم أختلف فيه يوما مع زوجى .. ولم نتشاجر ورغم ذلك فقد فاتحنـى زوجى بعد أيام من مرور العام الأول بأنـه يحس بـأن قلبى ليس معـه لهذا فهـو يـــرى من الأفضل أن ننفصل صديقين كما بدأنـا حياتنا صديقين ووافقته على ذلك وأكدت لـه أن هذا هو نفس احســاسى .. فتم طـلاقى بهدوء وعدت إلى بيت أبـى مجللة بـالفشل وأبى ينظر إلىّ شذراً !

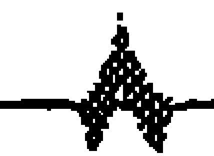
وبعد عام آخر قررت الشركـة التى أعمل بها نقل عدد من موظفيها ذوى الخبرة إلى فرع الاسكنـدرية لبـدء نشاط جـديد فيه .. فتقـدمت سراً بطلب لنقلى إليه .. وفوجىء أبى بصدور قرار النقل وأراد أن يتدخل لإيقافه ، لكن أمي نجحت ربما للمرة الأولى فى حياتها فى إثنائه عن رأى له .. وتوسلت إليه أن يـدعنى أسافـر إلى هنـاك لعلى أنسى فشلى فى زواجى ، مـؤكدة لـه انها سترسل معى سيدة لـلإقامة معى ولحراستى ! ووافق أبى مضطـرا وعدت إلى المدينة التى غادرتها منذ ٥ سنوات فتـاة تحلم بالسعادة والهناء مع من تحب .. وعـدت اليها مطلقـة فـاشلـة تحطمت أحـلامها .. وبـدأت حياتى العمليـــة بها بجدية .. ولم أسع للاتصال بفتاى السابق .. ومع ذلك فلقد

كنت احس احساساً غامضاً بأني سألتقي به من جديد !

ومضت حيـاتي بين الشركـة والبيت .. وانتظـار تليفـون « التمام » المسـائي من أبي كل يوم ، إلى أن وجـدته أمـامي فجأة ذات يوم ينظـر إليّ صامتاً .. وأنظر إليه بكل لهفة الدنيا وتحدثنا فأخبرني أنه يعرف بوجودي بالمدينـة منذ شهور وأنـه لم يحاول الاتصال بي لأنـه تزوج عقب زواجي بشهـرين من ابنـة أستاذه بـالكليـة لكنـه فشل في المقاومـة ، فجـاء إليّ .. ووجدت نفسي أروي لـه كل ما مر بحيـاتي منذ لحظـة وداعه لي على سلم البيت بالقاهرة .

وتكرر لقاؤنـا لعدة أسابيع فروى لي أنـه يعمل مع صهره في مستشفاه وفي عيادتـه الخاصة .. وأنه حاول جـاهدا أن يسعد زوجتـه لكنها لا تكف عن تذكيره كل يوم بأنه لولا أبـوها لكان الآن مجرد طبيب بإحدى الوحدات الريفية وأنه بفضله الآن طبيب في مستشفى وعيادة ويستعد للحصول على الماجستير !

ولم يطل تـرددنـا بعـد ذلك .. فقـد أمسكني ذات يـوم من يـدي واصطحبني إلى مكتب مأذون وعقـدنـا قـراننا وعـدت إلى البيت زوجـة لـه وليكن مـا يكـون .. وكـان أول مـا فعلت هـو أن اتصلت بأمي وأبلغتهـا بالخبر ، وتركت لها مهمة إبلاغ أبي .. ولم يتأخـر الانفجار عن موعده فقد جاء صوتـه في التليفون بعد قليل يُرعـد ويعلنني أنه لن يعترف بهذا الزواج أبـدا وأنـه سـوف يحرمني من كل شيء .. فلم أزد على أن قلت لـه من بين دموعي : قل لي مبروك يا أبي لقـد تزوجت من الإنسان الوحيـد الذي أردته ولم أرتكب جرماً ولم أفعل شيئـا يغضب ربي .. وقد جربت حظي مع غيره وفشلت .. ولكن بـلا جدوى .. ومثلما يحدث في ليـالي شتـاء الاسكندريـة حين يـرعد الـرعد ثم تتلـوه العـواصف والبروق .. اكفهرت سماؤنـا فجأة وعصفت الريـاح .. فقد اتصل أبي بصهر زوجي وأبلغه بـزواج زوج ابنته مني واستدعي الأستـاذ الجامعي زوجي وحاول أن يعالج الأمر في البـداية بالحكمـة فأبلغه بأنه يفهـم دوافعه لهذا الزواج ، لكنـه يرى أنه في النهـاية مجرد نزوة ولهذا فهو يطلب منه أن يطلقني بهدوء قبل أن تدمر هذه النزوة حياتـه العائلية والعمليـة ومستقبله العلمي .. وحـاول زوجي أن يدافع عن نفسـه .. ثم توقف حين بدأ صهره يهدده بأنه سوف يفقد عمله في



المستشفى وفى العيادة وسيفقد عونه له فى الحصول على الماجستير .. وبأنه لن يجد عملاً له فى هذه المدينـة مادام على قيد الحياة ، وفهم زوجى الموقف جيدا قال لصهـره أنه سيخلى على الفـور مكتبه فى المستشفى وفى العيـادة وسـوف ينسى مـوضـوع الماجستير وسـوف ينسحب بهدوء معترفـا لـه بفضله .. أما عن العمل فإن الأرزاق بيد الله وحده .

وذهب زوجى إلى المستشفى والعيـادة وأخـذ متعلقاتـه الشخصيـة ثم طلق ابنة أستاذه وجاء إلىّ .. فهونت عليه الأمر وأكدت له أن المستقبل ممتد أمـامـه .. وأن راتبى يكفينا نحـن الاثنين إلى أن يجد عملاً آخـر .. وعشنـا حياتنـا رغم ذلك سعداء لكن العـاصفة امتدت لتجتـاحنى أنا أيضـا .. فقد اتصل صهر زوجى بمـدير الفرع الـذى أعمل به وأبلغه أنى أسىء معـاملة العمـلاء مما يهدد الفـرع بفقـدهم .. وبأنى كنت على عـلاقة بـزوجى قبل الـزواج ولم أتزوجـه إلا بعـد أن افتضح أمـرنا وأن ذلك يسـىء إلى مركـز الشركـة .. الخ ، ففـوجئت بإيقـاف عن العمل والتحقيق معى .. ولم أهتـز كثيراً لأنى واثقـة من براءتى .. لكنـى اكتشفت أن نفوذ صهـر زوجى أكبر مما تصورنا .. فالتحقيق الـذى كان من الممكن أن ينتهى فى أيام طال بفعل فاعل لكى يستمـر مفتوحا إلى ما لا نهاية ويسـىء إلى سمعتـى ومركزى .. ولم يترك زوجى مكانـا فى الثغر لم يذهب إليه بـاحثا عن عمل ، وكلما ذهب إلى مستشفى خاص أو إلى عيـادة تلقاه المسئول بالترحاب فى البـداية وطلب بيانـاته ووعده بالـرد خلال أيام .. ثم تمر الأسـابيع ولا يتصل بـه أحد .. وأبى أغلق أبواب رحمته نهائيا فى وجهى فـلا اتصال ولا سؤال ، وقد حرّم علىّ أمى وشقيقىّ الاتصـال بى .. وكلما اتصلـت أنـا بـه تليفـونيـا وسمع صـوتى وضع السماعـة بهدوء رافضـاً أن يستجيـب إلى نـداءاتى لـه بأن يسمعنى .. مجرد أن يسمعنى قبل أن يغلق « السكة » .

ومازلت أنـا وزوجى نعيش على ما بقى من مـدخراتنـا لكن هذه ليست المشكلة .. وإنما أسألك مـا جريمتنا يـاسيدى لكى يقـاطعنى أبى .. هكذا وبلا رحمة ومـا جريمتنا لكى يتعرض زوجى لكل هـذه الحرب الشرسة فى رزقـه وعملـه ومستقبله العلمى وأتعـرض أنـا معـه لنفس الحرب فى عملى ومستقبلى .

اننى رغم كل شىء أحب أبى .. ولا أريـد منـه شيئا ولا « أنظـر » إلى

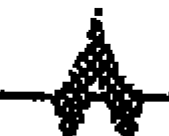
ما لـه ولا أنتظره ، لكنى أريـد عطفه وحنـانه واعترافـه بى كابنـة وزوجة لشاب شريف طيب يتفانى فى اسعادى . ويكفينا أننا نتنفس الحب والتفاهم والرضـا ، وحين نلتقى بعد يـوم طويل مفعـم بالخيبة فى العثـور على عمل لزوجى وبالمضايقات والهمسات التى أسمعها فى عملى الذى مازلت موقوفة عن ممـارسته ، ننسى كل مـا لاقينـاه من أهوال فى يـومنـا ولا نتذكـر إلا سعادتنا وحلمنا القديم الذى تحقق بعد كل هذه المعاناة .

فماذا يُغضب الآخرين منا فى ذلك ياسيدى .. وماذا نفعل لكى نعيش فى سـلام ونمارس حقنـا فى الحيـاة .. بـلا حـروب فى الـرزق والمستقبل .. وبلا ضغوط نفسية من جانب أبى ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

لكل اختيـار فى الحيـاة تبعـاتــه التى نتحملهـا راضين بها لأنها جـزء لا يتجزأ من هذا الاختيـار .. فمادمنا قد اخترنا بملء ارادتنـا حياتنا ونحن نعرف تمامـا ما سوف نـؤديه من ضريبة لهذا الاختيـار فليس من حقنا أن نشكو منها .. أو نستهولها .

وكما أن للشقاء ضحـاياه .. فإن السعادة أيضاً قـد يكون لها فى بعض الأحيان ضحايا هـم هؤلاء الـذين نختار نحن سعادتنا على حسابهم .. فإذا مـا تحركوا ضـدنا دفـاعا عن أنفسهم أو ثأروا منـا فليس علينا سـوى أن نصبر ونحتسب ونلتمس لهم بعض العذر فيما يفعلون ثم نأمل بعد ذلك أن يداوى الـزمن كل الجراح .. وأنتما الآن ياسيدتى فى قلب العاصفـة وفى قمة هيـاجهـا .. وأفضل مـا تفعـلان هـو أن يتشبث كل منكما بـالآخـر حتى لا تقتلعكما رياحهـا الهوجاء إلى أن تهدأ وتخمـد بعد حين ، فلكل عـاصفة مهما طـالت نهاية .. ولكل حـرب مهما كانـت ضاريـة من يوم تضع فيـه أوزارهـا ، وينصرف بعده كل إنسـان إلى حياتـه الخاصة .. وكل أملى هـو ألا يكون لزوجك من زوجته الأولى أطفال يـدفعون ثمن هذا الاختيار طوال العمر .. لكى تصفـو لكما الحياة بلا مـرارات .. أما أبـوك فلا تيأسى من محاولة استرضـائه إلى أن يرضى ذات يـوم ولسوف يفعل لـو كان ذا قلب حكيم بعد أن لمس بالتجربة المريرة كيف أشقاك برفضه المتعسف لفتاك من البـدايـة ، وبإصراره على تـزويجك وفقـا لاعتبـاراتـه هـو وبغير حسـاب لـلاعتبـارات الخاصة بك أنت .. ولو أوتى من الحكمة شيئاً قليلاً لما وقف



دون أحلامك منذ البداية ، ولعرف أن من تختارينه ويختارك هو أنسب الأشخاص لمشاركتك رحلة الحياة ، مادامت معايير الاختيار السليمة متوافرة فيه ، ومادمنا قد رضينا خُلقه ودينه كما أمرنا بذلك الرسول الكريم .. ومن عجب أن بعض الآباء خاصة من ذوى الثراء يتجاهلون هذه الحقيقة مع أنها قديمة قدم التاريخ بل وأقدم منه أيضا . ففى نشيد الإنشاد بالتوراة رفضت راعية الغنم سليمان الحكيم وتاجه وعرشه لأنها كانت تفضل عليه راعيا اختارها واختارته .. أما سليمان الحكيم فقد كرهته لأنه اختارها ولم تختره .. وأما راعى الغنم فقد تغزلت فيه فى نشيد الإنشاد غزلا يعجز خيال الشعراء عن تصوره .. وقالت عنه عبارتها الشهيرة « حبيبى مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائى » فإذا أنّت « أحشاء » الفتاة على فتى ترضى دينه وخُلقه وتتوافر فيه الحدود الدنيا من التكافؤ معها .. فلماذا نقف فى طريق سعادتها المشروعة معه ؟ ولماذا ندفعها إلى الزواج منه بغير وليِّها - وهو جائز بالمناسبة عند فقهاء الحنفية - وأولياؤها على قيد الحياة وأوْلى بشهود زواجها ومباركته ، فقولى كل ذلك لأبيك ياسيدتى .. ولسوف يرجع إلى نفسه ذات يوم .. وربما تَفكَّر فى دلالة ما حدث ورضى به تكفيراً له فى الدنيا عن خذلانه لأبيه الشيخ حين جاء يتشفع عنده فى خطبتك لابن صديقه فلم يرع له حقا .. وأحرجه أمام صديقه وابنه بهذه الطريقة الأليمة .

ولعله يعفو إذن عن خروجك على طاعته سداداً لدين أبيه هذا عنده .. ولعله عرف بذلك أن الحياة ديون .. وأنه قد جاء وقت سداد هذا الدين لأبيه ، لأن « من عقَّ أباه عقه ولده » كما جاء فى الحديث الشريف .. كما لعلك أنت أيضا تعرفين ذلك فلا تقصرى فى استرضائه إلى أن يعفو عن خروجك على طاعته . أما زوجك فليواصل الكفاح إلى أن يجد عملاً آخر ، وليعتصم بالصبر على ما يناله من أذى صهره وليتجنب استثارته مهما فعل .. فلقد آثر سعادته على حساب ابنته وعلى حساب أبيها أيضا وهو أستاذه وصاحب فضل عليه ، وليُؤد حقوق زوجته الأولى كاملة وبلا مماطلة وبأقصى كرم تسمح له ظروفه .. وعليك أنت أيضا أن تساعديه فى ذلك .. لكى تندمل الجراح وتهدأ النفوس .. وتشرق عليكما السماء ذات يوم قريب صافية بلا غيوم ، إن شاء الله .

●● بعد ٣ شهور ●●
هدوء العاصفة !

لا أعرف هل تذكرني أم لا ، انني السيدة التي كتبت لك رسالة منذ أكثر من ٣ أشهر تحت عنوان « قلب العاصفة » وتفضلت بإبداء الرأى والمشورة فى قصتى علىّ بأن لكل اختيار فى الحياة تبعاته التى ينبغى أن نتحملها راضين بها وقلت لى أننا الآن فى قلب العاصفة وقمة هياجها وأن أفضل ما نفعله هو أن يتشبث كل منا بالآخر لكيلا تقتلعه الرياح الهوجاء إلى أن تهدأ العاصفة ولابد أن تهدأ بعد حين وتمنيت ألا يكون لزوجى أطفال من زوجته الأولى يدفعون ثمن اختيارنا لسعادتنا على حسابهم حتى تصفو لنا الحياة بلا مرارات وطالبتنى بألا أيأس من محاولة استرضاء أبى إلى أن يرضى ذات يوم، واليوم أكتب لك لأشكرك على نصائحك التى عملنا بها وشدت من أزرنا ولأطمئنك إلى أن زوجى لم ينجب من زوجته الأولى أطفالا والحمد لله ولأزف إليك بشريين سعيدتين فى حياتنا .. الأولى هى أنى حامل فى شهرى السادس وأن الطبيب قد أخبرنى أننى سأرزق بتوءم ان شاء الله ، والثانية انه بعد نشر الرسالة قرأها طبيب فاضل يملك مستشفى فى الدولة التى يدرس بها شقيقاى وعرف منهما أننى شقيقتهما فأبدى استعداده لأن يوفر لزوجى عملا فى مستشفاه وأن يساعده فى دراسته العليا وبالفعل أرسلنا أوراق زوجى إليه .. وسوف يتسلم عمله خلال أيام بإذن الله لكنى لم أشأ أن أكتب إليك بهذه الأخبار السعيدة إلا قبل سفرنا من مصر بيومين خوفاً من أن يعرف صهر زوجى أو أبى بالخبر عند نشر الرسالة فيحاولان منعنا من السفر بطريقة أو بأخرى ، وقد تعلمنا مما تعرضنا له من أهوال خلال الشهور الماضية أن نتعلم الحذر ، وأن نفوذ صهرى أكبر مما كنا نتصور ، وحين يصل إليك خطابى هذا نكون قد حططنا الرحال فى بلاد الغربة غريبين فى بلاد غريبة ــ كما يقولون ــ لكن الحب يجمعنا .. والأمل يضىء قلوبنا بحياة هادئة سعيدة وقد قررنا أن نؤدى العمرة شكرا لله بعد ولادتى بإذن الله أما أبى ياسيدى فقد عملت بنصيحتك وحاولت بشتى الطرق كسب وده لكنه أصر على ألا يعترف بزواجنا وألا يسمع لى أو يفتح لى باب الرحمة وظل طوال الشهور

الماضية يضع سماعة التليفون بغير كلمة واحدة بمجرد أن يسمع صوتى ولا يرد على خطاباتى وتوسلاتى لـه بأنى لا أريد شيئاً سوى حبه ورضاه وهأنذا أغـادر مصر هاربةً منـه ولا يدرى إلا الله متى نعـودإليها لكن وكما قلت لى فى ردك يجب علىّ أن أتمسك بزوجى حتى لا يفقد كل منـا الآخر بعد أن فقدنـا من فقدنا ، وسوف أواصل الكتـابة إليك من الخارج لأطمئنك على أخبـارى .. وأطمئن منك أيضـا على أخبـار مصر وفى النهـايـة أجـد نفسى عاجـزة عن شكرك لكن لى عندك طلبا آخـر هو أن توجـه كلمة لأبى ليصفح عنى ولا يقطع ما بينـى وبينه إلى الأبد فأنـا ابنته مهما حـدث وأحبه مهما فعل معى ولن أكره شيئـا فى الحياة أكثر من أن يجىء اليـوم الذى يسألنى فيـه أطفالى عن جـدهم فلا أدرى بماذا أجيبهـم به ، وختـاما لك سـلامى وتحيتى .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

مـا نحصل عليـه بثمن رخيص ننظـر إليـه غـالبـا بـدون اهتمام أمـا ما نحصـل عليه بالثمـن الغالى فهـو وحده الذى يستحـق البقاء والاهتمام والتكريم هكذا كتـب ذات يوم الكاتب الانجليزى تومـاس بين .. وهى كلمة صادقة تنطبق بـدقة على قصتك وعلى مواقف كثيرة فى الحياة ، ولقـد كانت العـواصف الهوجـاء التى هبت عليكما جـزءا من هـذا الثمن الغـالى الـذى حصلتما به على سعادتكما لهذا فهى جديرة بالاهتمام والرعاية والاستمرار لكيلا تذهب معاناتكما بلا طائل ، واستمرار جفاء أبيك لك بعد كل ما جرى هو أيضـا جزء مـن هذا الثمن الغـالى .. وإن كان بـاهظاً وقـاسياً ولا مبرر لاستمراره . لقد هـدأت حدة العاصفة من حولكما .. لكنهـا لم تخمد نهائيا بعـد ، لا تنسيا أبـدا يـاسيدتى هـذا الثمن الغـالى لكى تـدركا دائما قيمـة السعادة وأهمية استمرارها وحمايتها من صدأ الاعتياد وفتور الأيام .

أمـا أبـوك فـلا تكفى مرة أخـرى عن محاولـة استمالتـه واسترضـائه ولا تفقـدى الأمل فى ذلك مهما أبـدى تجاهك من جفـاء .. واكتبى إليـه من الخارج فى كل مناسبـاته العائلية وفى الأعياد ، وابعثى إليـه بصورة طفليك القادمين بـإذن الله لعلها تحرك مشـاعره وتـذكره بما يحاول عبثـا تجاهله وهو أنك ابنتـه وأنه أبـوك مهما صنعت تصاريف الأيـام ، ولا تتوقفى عن

الكتابة إليه ولو لم يرد على رسائلك لأنك إنما ترجين رضاء ربك قبل رضائه ولابد أن يلين قلبه ذات يوم . والكلمة الوحيدة التى أوجهها له بناء على رغبتك هى : ياسيدى لقد قضى الأمر وتزوجت ابنتك على سنة الله ورسوله وهى تنتظر الآن طفلين سيجيئان إلى الحياة بعد أسابيع . وهى لن تتخلى عن زوجها الذى اختارته وسارت معه على طريق الأشواك وتوثقت روابطها به بالحمل فماذا يجدى الآن إصرارك على قطيعتها سوى أن تحرم نفسك من ابنة تتحرق شوقاً إلى رضائك عنها ولا تطلب منك شيئاً سوى ذلك ؟ ياسيدى إن العدل والرحمة والحكمة تطالبك بألا تغلق أبواب قلبك فى وجه ابنتك .. وبألا تقطع ما بينك وبينها ، فلقد أطاعتك ابنتك فى زواجها الأول الذى تم بمعاييرك أنت فشقيتْ به ، ثم تزوجت على غير ارادتك بمن أرادته منذ البداية وأعيتها كل الحيل فى اقناعك به ، فسعدتْ معه وحملت منه ولم يفرق بينهما شىء .. وأقدمت على ذلك لأنها كانت تعرف جيدا أنها لن تحصل على موافقتك مهما فعلت .. وهى تعترف لك بأنها أخطأت فى ذلك لكن عذرها أنها لم تستطع أن تدع فرصة السعادة تفلت من بين يديها مرة أخرى .. فهل يستحق ذلك كل هذا العقاب القاسى ؟ وألا تحن إليها وتئن عليها أحشاؤك كما تحن هى إليك وتئن عليك أحشاؤها ؟ ياسيدى ان قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل لهم رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا لهم شيئا ذا قيمة فلماذا تريد أن تحرم نفسك من ابنة شابة سعيدة فى زواجها ومن ابن شاب جديد « زوجها » ويحمل لك مشاعر الاحترام والتهيب ويتحرق لنيل قبولك ورضاك ومن أحفاد صغار سوف يأتون من عالم الغيب فيمثلون امتدادك وتواصلك مع الحياة؟ هل حقا تريد أن تحرم نفسك من كل هذه « النعم » التى يتلهف غيرك على بعضها ؟

ومن تعاقب سوى نفسك إذا أصررت على أن تحرمها من كل ذلك ؟ ياسيدى ان الله يغفر الذنوب جميعا فكيف لا تتسع رحمتك لما فعلت ابنتك بعد كل ما جرى ؟

اننى أنصحك بأن تترقب أول رسالة تصل إليك من ابنتك .. وتعلن صفحك عنها لكى يهدأ خاطرك وتصفو حياة ابنتك من الكدر .. وتهنأ قلوب أمها وشقيقيها وزوجها ويتضاعف احترامك انت فى عيون الجميع . فهل تفعل ذلك حقا ؟!

٩

٣٠ قصة حب واقعية

سنوات الانتظار

أنا فتـاة فى السادسـة والعشرين من عمـرى، نشأت فى أسرة بسيطة بين أب يعمل موظفا بإحـدى الوزارات، وأم طيبة مغلوبة على أمرهـا، وثلاثة من الأشقاء.

ومنذ طفولتى أدركت أننا نعيش حيـاة غير هادئة، فأبى شديد العصبية ويثور لأتفه الأسباب، وكثيرا ما كان يضربنا قبل ذهابنا للمدرسة.

ومنذ طفولتى أدركت أيضـا أنه يكافـح لإعالتنا وتعليمنا وأنه يعمل عملا آخر فى المساء ليحاول تلبية مطالبنا.

ورغم ظـروف حياتنـا البسيطة فقـد واصلنا جميعـا دراستنا بتفـوق، وبلا مشاكل، وكنت أنا بالذات متفوقة فى دراستى، وكان تفوقى يسعد أمى دائما، أما أبـى فكان يعتبره شيئـا طبيعيا، ومضت بنـا رحلة الأيـام.. وبدأ الخطاب يتقـدمون لى وأنـا مازلت طالبـة بالمرحلة الثـانويـة، وحاولت أمى الطيبـة أن تحثنى على قبـول أحـدهم لكى يكـون لى بيت مستقل أنعم.فيـه بالـراحة والسعـادة والأمان، لكنى كنت أتطلع لأن أستكمل تعليمـى العالى وأعمل.

وفى إحدى الاجـازات سافرت لـزيارة أقارب أمى فى بلـدتهم، فالتقيت فى بيت خالتى بشاب تجمع ملامـحه بين الـرجولة والوسامة والـوقار، وقدمته خـالتى لى، فإذا به حفيـدها الـذى كنا نلعب معـه ونحن أطفال صغـار ثم فرقت بيننا الأيام فلم أعرفه حين رأيتـه ذلك اليوم، وتذكرت حين رأيته أننى قد سمعت الكثير عن التزامه الخلقى وطموحـه لدراسة الطب، وكان حينذاك طالبـا فى الثانـوية العامـة، وتكررت اللقـاءات العائلية فـوجدتنى شـديدة الارتيـاح إليه، وفـوجئت بخالتى الصغـرى بعـد أيام تفـاتحنى برغبتـه فى خطبتى من أبى على أن يتم الزواج بعد بضـع سنـوات، حيث أن أباه ميسور الحال وقد أعـد له شقة مستقلـة وجاهـزة ولا يمانع فى خطبته قبل أن ينهى دراسته، ووعدت خالتى بالتفكير فى الأمر، وبعد يومين صارحتها بميلى إليه وتـرحيبى بـه حين يصبح قـادرا على التقدم لأبى، وسعـد هـو بمـوافقتى وتعـاهدنـا على الارتبـاط فى المستقبل، وتكررت المنـاسبـات العائليـة التى

تجمعنا، لكن حلم الارتباط اصطدم بعقبة خطيرة هى رسوبه فى الثانوية العامة ثلاثة أعوام متتالية، حتى اضطر لتغيير مساره التعليمى وانتقل إلى مدرسة فنية متوسطة، وشعرت أنا بما قد يعترض مشروع ارتباطنا من عقبات إذا التحقت بكلية الطب كما كنت أتمنى، فصارحته بعد حصولى على الثانوية العامة بأننى لن ألتحق بها حتى لايعترض أبى عليه بحجة أنه خريج مدرسة متوسطة وأنا مشروع طبيبة، لكنى فوجئت به يرفض ذلك بإصرار شديد ويهددنى بالاختفاء نهائيا من حياتى إذا أحجمت عن كتابة كلية الطب كأول رغبة لى فى استمارة مكتب التنسيق، وأحسست بجدية تهديده فاستجبت لرغبته والتحقت بكلية الطب، ونجح هو فى الحصول على دبلوم المدرسة الفنية، ونجحت أنا فى السنة الأولى بكليتى، وعرض على أن يتقدم لأبى، لكنى طالبته بالانتظار حتى يجد عملا حتى لايرفضه أبى، وفى هذه الأثناء تقدم لى خطيب عمل بدولة عربية لمدة ١٤ عاما وحاصل على دبلوم فنى ولاميزة له إلا أنه جاهز ماديا، ووجدت أبى لايمانع فى ارتباطى به فاضطررت لمصارحته برغبتى فى ابن خالتى، فإذا به يثور على ثورة عارمة ويعلن رفضه القاطع لهذا الارتباط.

لكن عمى الحبيب ـ رحمه الله ـ تدخل بيننا وشهد لفتاى بحسن الأخلاق ولأسرته بالطيبة، فاعترض أبى عليه بحجة أنه لايحمل سوى الدبلوم الفنى وبأننى سأصبح فى المستقبل طبيبة، واقترحت أمى حلا للإشكال أن يلتحق فتاى بالجامعة المفتوحة ليرضى به أبى، وقبل هو بهذا الحل على مضض وهو يتشكك فى قوة إرادة فتاى على الالتحاق بالجامعة والحصول على شهادتها، ولم أغضب من أبى لموقفه هذا واعتبرت تشدده فى مسألة الجامعة حرصا أبويا منه على تجنيبى مشاكل الفارق بينى وبين زوج المستقبل فى المستوى التعليمى، وكان الاتفاق هو أن يلتحق فتاى بالجامعة المفتوحة ويقضى بها عاما دراسيا ثم تتم الخطبة، وتوجه فتاى بالفعل للالتحاق بالجامعة فإذا به يكتشف أنه لايستطيع الالتحاق بها قبل مرور ٤ سنوات أخرى على حصوله على شهادته لأنها لاتقبل إلا الحاصلين على الثانوية وما يعادلها منذ ٥ سنوات على الأقل.

وتصورت أن فتاى سييأس منى وينصرف إلى طريق آخر مادام أبى يرفض باصرار أن يوافق على خطبتى له إلا إذا التحق بالجامعة، لكن فتاى تمسك بى وطالبنى بالانتظار هذه السنوات الأربع حتى يحق له الالتحاق



بالجامعة ، واعتصمنا بالصبر والأمل .

وواصلت دراستي وانتظرت تحسن الأحوال، وفي خلال هذه السنوات الأربع توفى والد فتاى واستغرق دين البنك لمشروع فاشل كان قد بدأه معظم تركة الأب فساءت أحواله المادية، لكنه لم ييأس وظل يكافح ليجد فرصة عمل فى الخارج، حتى سافر بالفعل وعمل ليلا ونهارا فى إحدى الدول العربية لمدة عام ليجمع تكاليف الزواج ورسوم الجامعة المفتوحة، ثم رجع وتقدم لاختباراتها والتحق بها، وبقى أن أعطيه الإشارة الخضراء لكى يتقدم لخطبتى، وفاتحت أبى فى الأمر فما أن علم بأنه قد التحق بالجامعة حتى ثار على ثورته الكبرى واعتبر رغبتى فى الارتباط بهذا الشاب تحديا له، وأعلن لى رفضه النهائى لهذا الشاب حتى ولو حصل على سبع شهادات جامعية !

لماذا يا أبى ؟ بكيت أمامه وتوسلت إليه.. وناقشته.. وسألته لماذا يريد أن يحرمنى ممن اختاره قلبى وتحمل الصعاب والأهوال، كل هذه السنوات لكى يجتمع شملنا معا؟، فلم يقدم لى جوابا سوى أننى قد اخترته بإرادتى وأنه ليس «بصمجيا» حتى يبصم على اختيارى، وإنما هو رجل وأب مسئول وله شخصيته وإرادته المستقلة وسوف يختار لى من يراه مناسبا ؟

وأبكى من جديد وأقول له اننى قد انتظرت إلى جوارك أربع سنوات كاملة حتى تحقق الشرط الذى اشترطه على فتاى أفلا تكفى أربع سنوات يا أبى ؟! فلا يجيبنى إجابة شافية .

اننى يا سيدى لا أريد أن أغضب أبى ولا أسمح لنفسى أن أخرج على طاعته مهما حدث وأقول لنفسى دائما يكفيه أنه أنجبنى وأطعمنى وسقانى وأنفق علىَّ وتكفل بتعليمى حتى أصبحت طالبة بالسنة النهائية بكلية الطب.. ولايمكن أن أتزوج بغير رضاه ومباركته، ولقد توفى عمى الحبيب منذ شهرين ولو كان على قيد الحياة لدفع عنى ما أواجهه الآن.. فماذا أفعل ياسيدى لكى يرضى أبى عن اختيارى لشريك حياتى ويجمع بينى وبينه فى الحلال ؟

اننى أبكى له كل يوم وأتوسل إليه وهو لايغير رأيه ولا يرق لى، ولقد قرأت لك مرارا أنك لاتنصح الأبناء بأن يخرجوا على طاعة أبويهم ليتزوجوا ممن اختاروا إلا إذا استنفدوا كل وسائلهم لاسترضاء الأبوين ونيل موافقتهما.. وإلا إذا كان تعسف الآباء واضحا وضوح الشمس ولاسند له

من شرع ولادين، وإلا إذا أعيتهم كل الحيل معهم وأنا يا سيدى أتساءل أليست سبع سنوات من الارتباط العفيف الشريف كافية للتأكد من أن اختيارى لشريك حياتى هو الاختيار النهائى بالنسبة لى، وهل من العدل أن أضحى بمن ينتظرنى ويتمسك بى منذ سبع سنوات ومن جاهد جهاد الأبطال ليحسن ظروفه ويلتحق بالجامعة من أجلى.. ومن هو مستعد لأن يفعل أى شىء وكل شىء لكى يجتمع شملنا ؟

اننى أدعو ربى كل يوم وأقول «اللهم أغننا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك، واجمع بيننا فى الحلال واسعدنا بحياتنا حتى يتعجب لنا خلقك أجمعون» لكن أبى يضعنى أمام خيارين قاسيين جدا، هما أن أرفض هذا الشاب، أو أن أذهب إليه وأتزوجه وأقيم فى بيته ولن يشهد لى زواجا ولن يدخل لى بيتا .

فهل يرضيك هذا يا سيدى ؟ لقد اتفقنا وبعد أن أعيتنى كل الحيل على أن نحتكم إليك ، ولهذا فإننى أرجوك أن توجه إليه كلمة ترجوه فيها ألا يعذبنى أكثر مما تعذبت وأن يرحمنى مع رجائى الحار لك ألا تجرحه بكلمة وألا تقسو عليه لأنه أبى ولأننى أحبه رغم ما أنا فيه من موقف صعب كما أحب أمى وأخوتى ، لكنى فى نفس الوقت لا أريد أن أغدر بمن ينتظرنى منذ سبع سنوات ، وكل ما أرجوه من أبى هو أن يوافق على عقد قرانى عليه بدون زواج قبل أن يسافر للعمل فى دولة عربية ويقضى عاما آخر طويلا قبل عودته.. فهل يرق لى قلب أبى ويقبل بذلك، وإذا كان يخشى علىَّ من الفارق الاجتماعى فأرجو أن تقول له أن الحب الحقيقى لايعوض بمال أو مركز اجتماعى، وأن فتاى سيحقق نجاحه فى الجامعة بإذن الله وسيصبح إنسانا أفخر به أمام الجميع ، فهل تفعل ذلك من أجلى يا سيدى ؟

☐ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

حرصك على ألا أجرح مشاعر أبيك بكلمة فى ردى على رسالتك والتزامك طاعته وعدم الخروج على ارادته رغم ما تلاقينه يشهد لك بأنك ابنة طيبة متدينة تعرف حقوق أبيها عليها وترعى حدود ربها فى التعامل معه، لهذا فلست فى شك فى أنك تتفهمين جيدا دوافع أبيك لمعارضته فى هذا الزواج.. وتسلمين له بحسن نيته فيها، وبانطلاقه فى ذلك من حرصه على ما يراه محققا لصالحك وسعادتك كما يراها هو، وليس من هذه الأسباب

ما يصارحك به من تبرير شكلي لموقفه وهو أنه يعتبر اختيارك لهذا الفتى تحديا لإرادته لايقبل به لأن له شخصيته المستقلة. فالحق أنه يعترض على فتاك لأسباب موضوعية أخرى هى أنه لايراه أهلا لك، ويتصور أن الفارق فى المستوى التعليمى بينكما سوف ينعكس سلبيا على حياتك معه إذا تزوجتما، ومن حق أبيك أن يبدى تحفظاته على من تختارينه لمشاركته رحلة الحياة، ومن واجبك أن تضعى وجهة نظره فى ذلك، موضع الاعتبار والاحترام، وأن تحاولى إقناعه بأنه لامبرر لتخوفه من هذا التفاوت الثقافى، مادام الفتى يجدُّ فى رفع مستواه التعليمى والثقافى، ويجاهد لكى يحصل على شهادة جامعية اثباتا لجدارته بك ومادام الوئام والتفاهم يجمعان بينكما.. وهناك تكافؤ عائلى واجتماعى بين أسرتيكما هذا مع تسليم الكثيرين بأن السعادة لاتصنعها شهادات جامعية وإنما يحققها الوئام والحب العميق والاحترام المتبادل، والرغبة المشتركة فى اسعاد كل طرف للآخر.

وبعد ذلك فإنى أهمس فى أذن أبيك متذكرا رجاءك لى ألا أقسو عليه فى ردى، فأقول له أن تعارض وجهات نظرنا كآباء مع وجهات نظر أبنائنا فى اختياراتهم لحياتهم الشخصية أمر وارد دائما لأنه من سنةالحياة وينبغى الا ننزعج له أو أن نعتبره تحديا لارادتنا، يتطلب منا اتخاذ موقف العناد الصارم منهم حتى يتنازلوا عن وجهات نظرهم.. فلكل جيل آراؤه وتصوراته لما يحقق له السعادة، وليس من الحكمة أن نفرض نحن على أبنائنا تصوراتنا لما نراه محققا لسعادتهم فى حين يتمسكون هم بتصورات أخرى لها خاصة إذا كانت قابلة للمناقشة وليست خارجة نهائيا على أحكام العقل وكل ما نحن مطالبون به حين نواجه هذا التعارض هو أن نتحاور معهم ونشرح لهم أسبابنا وحججنا ومبرراتنا لما نراه الأنفع والأصلح لهم، فإذا قبلوا بوجهة نظرنا سعدنا بالتقاء رؤيتنا للحياة مع رؤاهم، وإذا رفضوها على استحياء وتمسكوا باختياراتهم ورجونا أن نمنحهم تأييدنا لما اختاروه لأنفسهم فمن الرحمة أيضا ألا نحرمهم من التأييد والمباركة حتى ولو لم نسعد أو نرض تماما بما اختاروا لأنفسهم مادام لايتعارض مع الشرع والدين ولاينفر منه العقل نفورا صارخا.

ولا عجب فى أن تتعارض بعض وجهات نظرنا مع بعض وجهات نظر أبنائنا، «فالمعارضة نصف الحق» كما يقول أستاذنا الراحل مصطفى

صادق الرافعى، وليس هناك فى النهاية يقين لا يأتيه الباطل من أمامه أو من خلفه ، إلا إذا كان وحيا يوحى، وكل وجهات نظرنا ورؤانا قابلة للخطأ وللصواب، فلماذا لانسلم لأبنائنا الراشدين إذن بحقهم فى اختيار حياتهم وهم فى النهاية الذين سيعيشونها ويحصدون ثمارها سواء أكانت طيبة أومريرة؟ نعم نحن نسعد بسعادة أبنائنا ونشقى بشقائهم وقد نعارضهم فى بعض اختياراتهم إشفاقا عليهم من تعاسة متوقعة.. وعلى أنفسنا أيضا من أن نشقى بتعاستهم. لكن ماذا نملك لهم إذا تمسكوا باختياراتهم للنهاية ورأوا فيها سعادتهم ورأوا فى موقفنا نحن منهم تجنيا عليهم وحرمانا متعسفا لهم من هذه السعادة؟ اننا لانملك لهم فى النهاية إلا النصح والارشاد فإن لم يستجيبوا لما نصحناهم به ، يطالبنا البر بهؤلاء الأبناء أن نهبهم حقهم العادل فى أن يخوضوا تجربتهم فى الحياة ويتحملوا تبعاتها، ونحن نتمنى لهم فى أعماقنا أن تثبت لهم تجربة الحياة خطأ ظنوننا.. وصدق رؤيتهم، فما عارضناهم فى البداية إلا طلبا لسعادتهم.. فكيف لانسعد بسعادتهم إذا أثبتت تجربة الأيام خطأ ظنوننا فى اختياراتهم؟

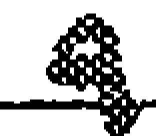
ان ابنتك يا سيدى ليست فتاة مراهقة فى السابعة أو الثامنة عشرة من عمرها، وانما هى فتاة ناضجة العقل والمشاعر فى السادسة والعشرين من عمرها، وطالبة نابهة فى نهائى كلية الطب. ومثلها لايمكن اتهامها بالخفة أو التهور أو تقلب المشاعر أو الانخداع بوهم الحب العارض فلقد امتحن حبها لفتاها وحب الفتى لها باختبار الزمن الذى لاتصمد له إلا المشاعر الحقيقية، وبالعقبات العراقيل سبع سنوات.

ومازال اللهب مشتعلا فى مدفأة الحب.. ومازال الاصرار يغذيه كل يوم بزاد جديد فأى دليل آخر تريده على صدق تمسكها بفتاها وصدق تمسك هذا الشاب بها ؟

انه ليس اختيارا عشوائيا ولا عارضا ، وانما اختيار مصيرى ونهائى صمد لاختبار الزمن سنوات طويلة كانت كفيلة بأن تحول كلا منهما عن الآخر، لوكانت المشاعر هوائية أو غير مستقرة .

فلماذا تعذبهما بالتفريق بينهما يا سيدى فى غير طائل ؟

إن ابنتك تناجى ربها كل ليلة وتدعوه أن يجمع بينها وبين من تحب فى «حلاله» الذى يغنيها عن «حرامه».. فماذا تنتظر لكى تجمع شملهما فى



طاعة الله وطاعتك ، وليس فى غيرهما ؟

ألا يرق قلبك كأب وكإنسان لمثل هذه المناجاة التى يذوب لها الحجر؟ أولا تعلم أن الجمع بين المحبين فى طاعة الله من أعمال البر وفضائل الصالحين التى يتقربون بها إلى خالقهم، لقد كان سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن على يعطف على المحبين ويرق لهم ويسعى فى الجمع بينهم ويبذل من ماله ما يذلل به ما يعترض طريقهم من عقبات، رحمة بهم وقربى لله سبحانه وتعالى، ولقد تشفع لدى والد «لبنى» أن يقبل زواجها «بقيسها» وخلع نعليه وهو يدخل مضارب أبيها على علو مكانته وهيبته التماسا لنجاح مسعاه الطيب لدى الأب وسجل أمير الشعراء أحمد شوقى وقع هذا التصرف على والد لبنى فقال :

فرآه حافيا فى ساحة الدار فجُنَّا

قال لا أملك يا بن المصطفى بنتا ولا ابنا

أنت فى الدار أميرٌ فبما شئت فمرنا .

فمن تريده أن يسعى إليك حافيا لكى تقبل شفاعته فى ابنتك وترق لها وتقبل بعقد قرانها على من تحب وترغب ؟

ولماذا ترضى لنفسك بأن تقف حجر عثرة فى طريق شابين جمع الله بين قلبيهما طوال سبع سنوات كاملة ويرغبان فى العفاف ؟

بل ولماذا تكرهها إكراها على الخروج على طاعتك وهى من لا ترغب فى ذلك ولا ترضى به لنفسها ولا لك ؟

يا سيدى ليس من البر بالأبناء أن ندفعهم دفعا للخروج على طاعتنا بتعسفنا معهم، ثم ننعى عليهم بعد ذلك عقوقهم لنا وشق عصا الطاعة علينا، وابنتك لاتتحداك برغبتها فى هذا الفتى، ولا تخرج على طاعتك ولا ترضى بأن تختاره عليك. فأعنها على برك بتسامحك معها ومباركتك لمشروع زواجها مهما كان رأيك فيمن اختارته لنفسها، ودع للأيام أن تثبت صحة رأيك أو خطأه «والزمن هو أشرف النقاد» كما يقولون وشكرا لك إن قبلت شفاعتى فى ابنتك.. وليغفر الله لك إن أكرهت ابنتك على غير ما تتمنى لنفسها وترغب، أو إذا خيرتها مرة أخرى بينك وبين من ترى سعادتها وهناءها معه والسلام .

١٠

٣٠ قصة حب واقعية

نداء المجهول



أكتب إليك بعد مرور حـوالى عشرة شهور كاملة على ما شهـدته حياتى من تغيرات جوهرية وكانت المناسبة التى أهاجت شجونى ودفعتنى للكتابة إليك هى حلول عيـد الفطر المبارك قبل أسابيع وأنـا فى حال تختلف عنها فى الأعياد السـابقة .

فأنا يـا سيدى طبيب شاب أبلغ من العمـر خمسة وثلاثين عـاما، أعمل أخصائيا فى أحـد فروع الجراحة بإحدى محافظـات الجنوب، وتبدأ قصتى التى أرويها لك وأنا طـالب بالثانويـة العامة حين تعرفت على أحـد زملائى بالمدرسة.. وتـوثقت الصداقة بيننا، وزرته فى بيتـه القريب من بيت أسرتى لأول مرة لتهنئته بعيد الفطر فرأيت فى بيته فتاة صغيرة تلهو ببالونة أطفال كما يفعل غيرها من الصغـار فى الأعياد، وعرفت منه أنها شقيقتـه الصغرى والـوحيدة، وأنها تلميـذة بـالصف الســادس الابتدائى..وانتهـت الزيـارة وغادرت بيت صـديقى وأنا لا أفكر فى شىء سوى فى هـذه الفتاة الصغيرة ، أو الطفلة التى رأيتهـا عنده.. وتعجبت من أمر نفسى بعد ذلك طـويلا حين وجدتنى مشغـول الخاطر بهذه الفتاة الصغيرة التى لاتدرى من أمـر الدنيا شيئا، وحـاولت رد نفسى مرارا عن التفكير فيها لأنها مجرد طفلـة وشقيقة صـديقى الحميم، فإذا بى أزداد مع الأيـام تعلقـا بها وانشغـالا بأمـرهـا، وأديت امتحان الثانـوية العامة والتحقت بكليـة الطب ، وحصلت هى أيضا على الابتـدائية وانتقلت للمـرحلة الاعـدادية، وتعلقى بها مـازال يغلبنى على أمرى، ولا أعبر عنـه سوى بـالاهتمام البرىء بأمـرها وأمـر دراستها حين أزور صديقى فى بيته، وازداد اقترابى منها تـدريجيا، فتعلقت هى أيضا بى بشدة وبإخـلاص شديـد البراءة، واعترفت لنفسى بأننى أحب هـذه الفتاة الصغيرة حبا يفـوق الوصف، واننى أريـد أن تشاركنى رحلـة حياتى حتى نهايتها، وقَـرَّ عزمى على ذلك بالفعل «فاصطنعتهـا» لنفسى، وحرصت على أن أغـرس فيها كـل ما أحب من قيـم ومثاليـات أخـلاقيـة وعادات وطبـاع وسلوكيات ووجدت لديها استجابـة مخلصة لكل ما أطلبه منها، فأصبحت نموذجا رائعا للإنسانـة التى أريد أن أقضى عمرى كله معها، فحتى الكلية

التى التحقت بها بعد حصولها على الثانوية العامة كنت أنا الذى اخترتها لها.. ولقى اختيارى منها كل ترحيب وحماس على الفور، كأنما قد سلمت لى بحقى عليها فى كل شىء حتى فى نوع دراستها، وتخرجت أنا فى كلية الطب وهى مازالت طالبة فى عامها الجامعى الثانى، ومضت الأيام بنا سعيدة وواعدة بكل شىء جميل حتى تخرجت فتاتى فى كليتها وحصلت على شهادة البكالوريوس، وبعد تفاصيل لاداعى للإطالة فيها تم زفافنا، وضمنى أخيرا عش الزوجية «بالطفلة» البريئة التى رأيتها لأول مرة قبل سنوات وهى تلعب بالبالونة فى بيت صديقى!

ولقد كنت أتصور حين بدأنا حياتنا الزوجية أننى أعرف هذه الفتاة كما أعرف جيدا كف يدى، فإذا بالعشرة تكشف لى من شخصيتها ما لم أكن أعرفه من قبل من الخصال الجميلة والروح العطوف النبيلة وطهارة النفس والقلب والسجايا التى يندر وجودها فى هذا الزمان، وفجأة وأنا فى قمة سعادتى بها وسلامى النفسى معها خلال شهور الزواج الأولى، وجدتنى أشعر فجأة بالقلق والخوف من شىء مجهول لا أستطيع تحديده، وحاولت تفسير خوفى الغامض هذا بأنه بعض الخوف الطبيعى الذى قد يساور الانسان أحيانا إذا اكتملت سعادته، فخشى عليها ألا تدوم أو أن يفسدها عليه الكدر، لكنى لم أستسلم لهذا القلق طويلا وان لم أتخلص منه نهائيا، ومضت الأيام بسلام بى و«بطفلتى» الحبيبة التى راقبت عن قرب كل مراحل نموها الجسدى والنفسى إلى أن جمعنا معا عش الزوجية، وبعد عام من الزواج بدأت حبيبتى الوديعة تشعر بالقلق لتأخر الحمل، وأجرينا الفحوص اللازمة فثبت خلونا نحن الاثنين من أية موانع للانجاب، ورحت أطمئنها إلى ذلك وساعدها إيمانها القوى وصلتها الوطيدة بربها على التسليم بقدرنا. وبعد فترة أخرى بدأت تشعر بآلام الحمل وتعانى من مغص وتقلصات غريبة حاولت أنا وزملائى الأطباء جاهدين أن نعرف أسبابها بلاجدوى، وبعد ثلاثة شهور من الحمل والمعاناة الرهيبة تبين أنه حمل خارج الرحم وفى الأنبوبة اليسرى التى انفجرت وانتهت عملية الاستكشاف التى أجريت لها باستئصال الأنبوبة اليسرى كلها مع المبيض الأيسر، ومضت الأيام بنا بعد ذلك ومر عام آخر دون حمل وبدأ القلق يعاود زوجتى مرة أخرى لأن استئصال المبيض الأيسر يقلل فرص الحمل بنسبة ٥٠٪ فأجرينا لها فحصا آخر بالمنظار فكشف عن أن الأنبوبة

اليمنى أيضـا قد حـدثت بها التصاقـات بسبب جـراحة للـزائدة الدوديـة أجريت لها بعد ثلاثة شهور من الزواج، ولكى يحدث الحمل فلابد أن تكون هذه الأنبوبة حـرة لتستطيع التقاط البويضة من داخل تجويف البطن ويتم الحمل، فما العمل إذن لكى يتحقق لها أمل الانجـاب؟.. لقد كـان الحل الذى اقترحه الـزميل الطبيب الذى عرضت حـالتها عليه هو أن نـجـرى لها عملية تسليك للأنبـوبة بفتح البطن مـرة أخرى، وأنـا بحكم عملى كطبيب وجراح أعـرف جيدا أن أى فتـح جراحـة لكى يلتئم مـرة أخـرى فلابـد أن تـحدث التصاقـات مرة ثـانية، إذن فسـوف ندور فى حلقـة مفرغـة تتعرض فيهـا شريكـة حيـاتى لآلام الجراحة وفتح البطـن بلا نهايـة.. فضـلا عن أن أمل الحمل لم يكن فى تقـديـرى يتجاوز نسبـة الـواحد فى المائة، فلماذا أعـذبها بـالجراحات والآلام بـلا نهايـة؟.. لقـد اتخذت قرارى كـزوج أولا وكطبيب ثـانيـا، وطلبت من زوجتى أن تـدعها من الطـب والأطباء.. وتسلم أمـرهـا لخالقها وحـده وأقسمت لها بربى ودينى وإيمانى أن الله سبحانـه وتعالى سـوف يعطيها مـا تأمل فيـه وينعم عليها ويهبهـا مـا يرضـى نفسهـا، لأن إيمانها بربها عميق ومتين، ولأنها ممـن ينطبق عليهم قول أحـد الصـالحين رضوان الله تعالى عليهم «إن للـه عبادا إذا أرادوا أراد».. ولهذا فلابد أن يهب لمن كان فى صفـاء نفسها وطيبة قلبهـا وعميق تدينهـا وإيمانها، من يرث أو ترث عنها بعض هذه السجايا الكريمة..

وسلمت زوجتى لإرادتى فى هذا الأمـر عن اقتناع وحب ولم تعـد للحديث عن الجراحة مـرة أخرى، وانصرفنا عن العـلاج ومشاكله وأحاديثـه.. وبعد حوالى ثـلاثة شهور أخـرى كنت بالبيت معهـا فى المساء، وتناولنـا العشاء، وبدأت أستعد للنوم، فإذا بها تبلغنى بأن الدورة الشهـرية قد تأخرت عنها يومين، وإذا بى أجد نفسى أجيبهـا بتلقائية وبثقة لاأعـرف مصدرها : أنت حامل !

ثم أويت إلى فـراشى، واستيقظت كعادتى مـن نومى بـلا منبه لصـلاة الفجر فلم أجدهـا بجوارى فى الفراش، وخرجت من غرفـة النوم أبحث عنها فوجـدتها فى غرفة أخـرى تبكى وتنتحب، وفزعت لمرآها وهـدأت من روعها وسألتها عما يـزعجها فإذا بها تظننى كنت أسخر منهـا أو ألومها بطـريقة غير مبـاشرة حين قلت لها بعفويـة «أنت حامل»!.. ولهذا فلـو كنت أرغب فى الزواج من أخرى لأنجب منهـا فلن تعترض على ذلك ولن تـحرمنى مما أريد،

ولم يكن هـذا هو مـادار بخلدى لحظـة وأقسمت لها على ذلك وعلى سلامـة نيتى فيما قلت، وإيمانى به بحدسى وإلهامى، واتفقت معها فى هذه الجلسة حسما لهذا الأمر على ألا نتحدث مطلقا فى أمر الحمل أو احتمالاته لمدة أربعة شهور كـاملة من هـذه الليلة، حتى ولو علت بطنهـا بالحمل أمـامى وعلينا خـلال هذه المهلـة أن نترقب مـا سوف يختـاره لنا اللـه سبحـانه وتعـالى ونـرضى به كيفما يكـون، ورجع إليها صفـاؤها على الفـور ونهضت معى لأداء الصلاة راضيـة مطمئنة ومضى شهـر آخر فإذا بها تحس بـأعراض الحمل وتحاول أن تلفت نظـرى إلى ضرورة إجـراء فحـوص واختبـارات للتأكد منـه، فرفضت ذلك تماما تمسكـا باتفاقنـا السابق معا وهـو مرور أربعـة أشهر كـاملة، وبعـد مضى هذه المدة أجـرينا لها فحصـا بالأشعـة التليفـزيـونيـة فتأكـدنـا من الحمل، ومن أنـه طبيعى جـدا.. ولا تسل عن سعادتها ولا عن تألق وجههـا بالفرحة والابتهاج والـرضا، وزميلى الطبيب يبلغهـا بـذلك، وهى تنتقل بعينهـا بينـه وبينى بحـذر طفـولى جميل كأنما لاتصدق ما تسمـع.. أو كأنما تقول لى بنظـرتها أننى قد صدقتها «البشرى» حقا حين ألهمنى الله أن أقول لها ما قلت قبل أربعة شـهور!

ومضت أيام الحمـل عادية جـاءت الولادة ورزقنـا الله سبحانـه وتعالى بطفل جميل أسمينـاه «أحمد» تيمنـا بـاسم الحبيب المصطفى صلـوات الله وسلامـه عليه، وغردت طيور البهجـة أكثر وأكثر فى حيـاة زوجتى الحبيبة وأصبح لها مع مولـودها كل يوم حكـاية ترويها لى وهى سعيـدة ومبتهجة وتطفر عيناهـا بالحب والعرفان والـرضـا، وبعد ثمانية شهـور أخرى فقط بدأت تشكـو من أعراض الحمل مرة أخـرى، ولم أندهش لذلك رغم ضـآلة احتمالات الحمل فى ظـروفها الصحيـة، لأن من يتـوكل على الله فهو حسبـه ولأنها تعـرف حقوق ربها حق المعـرفة وتتقـرب إليه بكل أنـواع القربـات، ومضت أيام الحمل الثانى أيضا طبيعية وسلسة وبلا مشاكل .

ورزقنا الله بمولودة جميلة أسميناها «أشرقت» لأنها أشرقت بالفعل على حياتنا بـالبهجة والرضـا والامتنان لله سبحـانه وتعالى، وأصبحت «طفلتى» الصغيرة التى أحببتهـا وهى تلهـو ببالـونـة أمـا لطفلين جميلين ترعـاهما وتحنو عليهما وعلى أبيهما بطبعهـا العطوف الحنون، وتقـدم أحمد فى العمر حتى أكمل عـامه الثـالث، وتجاوزت أشرقت عامهـا الأول ببضعة أيـام، ثم رجعت من عملى فى الظهيرة ذات يوم منذ حوالى عـامين، فإذا بزوجتى تشكو

لى من ألم عارض فى بطنهـا، فلم أتوقف طويـلا أمام هذه الشكوى العـابرة وكنت مرهقا وجائعا فطلبت منهـا الغداء أولا، وبعد ذلك أفحصها وأعالجها أو آتخذ القرار المنـاسب لحالتها وتناولنـا الغداء معـا فى هدوء ونهضت من المائدة ورأسى مثقل فأويت إلى فـراشى وغفـوت بعض الـوقت، ثم نهضت من النوم وخـرجت على عجل لألحق بموعد عيـادتى فى المساء، وحين رجعت إلى البيت فى الليل كـررت لى زوجتى نفـس الشكـوى، فتنبهت إلى أننى لم أفحصهـا فى الظهر حين شكت من قبل، وتعجبت لنفسى كيف سهـوت عن ذلك، وكشفت عن بطنهـا لأفحصهـا فما أن ألقيت أول نظـرة عليهـا حتى انقبض صدرى واضطـربت اضطرابـا داخليا عنيفـا.. وارتبكت.. وشعرت بأن هنـاك شيئـا غير عـادى ولا طبيعى فى زوجتى، وإذا بـى أيضـا أتمتم بصوت غير مسمـوع قائلا لنفسى وقلبى يخفق بشـدة : «إنا لله وإنـا إليه راجعون» .. نعم يا سيدى تمتمت بهذه الآية الكريمة رغما عنى وبغير إرادة منى حين رأيت بطنها وأحسست بحكم عملى أن حبيبتى وزوجتى وأم طفلىّ ربما كانت تواجـه الآن «المجهول» الذى ساورنى القلق الغـامض بشأنه فى الأيام الأولى لـزواجنا واكتمال سعادتنا!.. ولم تسمع زوجتى مـا تمتمت به لحسن الحظ، وسألتنى عما قلـت فأجبتهـا بأنـه لاشىء لكنى لم أستطع إخفاء اضطـرابى وقلقى عنها، فـراحت هى تهدىء روعى وتطمئننى إلى أن الأمـــر بسيط ولايستحـق هــــذا القلق، لكن هيهـــات أن تنجـح فى ذلك والاحتمالات المخيفة لما رأيت تتراءى أمامى كالنـذير المقبض.. ولن أستطرد طويـلا فى التفاصيل، فلقد أجرينـا الفحوص اللازمة والتحـاليل والأشعات وكل ما يخطر لك على بال، وجاءت النتـائج كلها تؤكد نفس هذه الاحتمالات المخيفة التى اضطـربت أمامها بشدة وأنـا أفحص زوجتى فحصا ظاهـريا تلك الليلة الكئيبة .

وطـرقنا كل الأبـواب ياسيـدى وطلبنا كل الـوسائل وحينما تأكـد لى فى النهـايـة أن الأمر قـد حسم، جلست إلى زوجتى وقلت لها بصـوت هـادىء وقلب حزين : يا حبيبة القلب إن أمـرك الآن فيه قولان لاثالث لهما.. فإما أن يمن الله عليك بمعجـزة من عنـده وليست على الله بكثير ولا على مثلك أيضـا بمستبعدة، وإمـا أن يكون الله قد قضى أمـرا لن يطول أكثر من أيـام قليلة وعلينا أن نتقبله بثبات ونسلم به راضين!.. هل تتهمنى بالقسوة حين فعلت ذلك؟.. اننى لم أكن قاسيـا وحاشاى أن أكون معهـا، وهى قرة عينى وآسرة

قلبي منذ طفولتها، لكني كنت قد خبرتها جيدا وأعرف عمق إيمانها وصلابتها ورضاها بكل ما يقدره لها وعليها الحق تبارك وتعالى، ولهذا صارحتها بحقيقة الأمر وأنا على ثقة من حسن تقبلها له ومن قوة إيمانها، وقد أجابتني حين قلت لها ذلك بأنها قد استراحت الآن فقط وأنها راضية بما أراده الله لها لأنه سبحانه قد حقق لها كل ما تمنته فى الدنيا فأحبت أول من نبض قلبها له بالحب وتزوجته ومنّ الله عليها بالولد على خلاف كل التوقعات، وعاشت أجمل السنوات والأيام معى قبل الزواج وبعده، ولم تعد تريد من الدنيا شيئا سوى أن أرعى الله فى ابنىّ منها بعد الرحيل!.. وبعد جلسة المصارحة هذه بأيام قليلة أسلمت ــ قرة عينى وحبيبتى ــ الروح وهى بين ذراعى ولم تكمل بعد الثامنة والعشرين من عمرها! ومنذ رحلت عنا زوجتى قبل عشرة شهور وأنا أعيش على ذكراها وأرعى طفلى منها حق الرعاية كما أوصتنى بذلك، ورضيت بما قدره الله لى ودعوته آناء الليل وأطراف النهار أن يجيرنى فى مصيبتى ويخلفنى عنها خيرا .

ورغم قوة إيمانى الذى أدعو الله أن يثبته ويزيدنى منه، إلا أن منظرا واحدا من صور حياتى مع شريكة عمرى فى الأيام الأخيرة مازال يلاحقنى فى مخيلتى كل لحظة.. فأضعف أمامه وتنساب دموعى ويتهمنى بعض من حولى بالجزع وعدم الصبر، وهو منظرها حين ساءت حالتها فى أيامها الأخيرة، حين كانت تنتقل بين غرفة النوم وغرفة الأولاد لتنام هنا أو هناك وكان كل ما يشغلها فى ذلك هو قالب الطوب اللبن الطاهر الذى كانت تتيمم به قبل كل صلاة.. فقد كان هذا القالب من الطوب هو كل ما يشغلها عند الحركة من مكان إلى مكان ولاشىء سواه ومازال منظرها وهى تحمله بين يديها وتمشىء ببطء وإعياء من مكان لمكان محفورا فى مخيلتى ويلاحقنى فى كل لحظة ويسيل دموعى رحمها الله .

ولست أشكو إليك فجيعتى فيمن أحببت وسكنت إليها أجمل سنوات العمر، أو أشكو إليك أقدارى وحاشاى أن أفعل ذلك لأن من يعرف ربه حق معرفته يسلم بكل ما يقدره عليه ويرضى عنه عالما بأن فى الرضا كل الشفاء من كل داء وبلاء، فالله جل شأنه يقدر ما يشاء على خلقه وتقديره هو الخير بذاته وان بدا للإنسان أحيانا غير ذلك، لكنى أكتب إليك لأننى أعتبر نفسى صديقا لك على الورق منذ سنوات طويلة، وكذلك كانت قرة عينى وحبيبة قلبى، وقد كنا نتبادل الحديث عن بابك يوم الجمعة كل

أسبوع ونتأمل أحـوال الدنيا والبشر فيه.. ونشعـر كأننا نعرفك وتعـرفنا، وأن صلة ما تربطنا بك وإنى لأشعر الآن بأن من حقى عليك أن أترقب منك مشاركتى فى أحزانـى وآلامى، ومواساتى فيما أصابنى بكلمـة تعزية.. فهل هذا كثير على يا سيدى ؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

من حقك على بكل تأكيد وأكثر يا صـديقى، ومن واجبى حقا أن أشاركك بعض أحزانك وأن أخفف عنك قدر جهدى بعض آلامك ..

فالإنســان يحتاج بالفعل لأن يستشعر مشـاركة الآخرين له فى أحـزانه وتعـاطفهم معه واحترامهم لهذه الأحـزان على الأقل. ولاشك أن حـزنك على شريكـة حـياتك الملائكية هـذه من أنبل الأحـزان، وأكثـرها استحقـاقـا للاحترام .

فلا شي يـؤلم كالحب كما يقولون، وليس هنـاك ما هو أشد إيـلاما منه سوى أن تفقـده!، كما فقدت أنت شريكـة أحلامـك وصباك وأيامـك فى هذه الظروف المؤلمة. غير أنه لامفر فى النهايـة من أن أكرر عليك ما سبق أن قلته مـرارا للمحـزونين من أمثـالك، مـن «أن من نحبهم لايمـوتـون حقـا حين يواريهم الثرى، وانما يمـوتون بالفعل حين ننساهم» كما يقـول لنا الأديب الفرنسي.. ونحن لاننســى من نحبهم حقا ولو غـادرونا إلى العـالم الآخر، وهم أحياء دائما فى قلـوبنا ومخيلتنا وتتراءى لنا فيهـا صـورهم كما تتراءى لك الآن صورة زوجتك الطيبـة يرحمها الله، وهى تحمل قالب الطـوب الذى تتيمم بـه من مكـان إلى مكان، وتـرافقنـا أطيـافنا فى مسراتنـا من بعـدهم وأحـزاننا، فنتمنى لـو كانـوا معنا فشـاركونـا أفراحنـا، وسعدوا معنـا أو شـاركـونا أحزاننـا وتسـاندنا وتعـاونا معهم عليها، وهكـذا فهم لاينقطعون عنا.. ولا ننقطع عنهم وإن غابوا عن أنظـارنا أو تفرقت بنا السبل، ومن حق كل إنسان أن «يرعى حزنه الخاص» لفترة كـافية على حد تعبير شاعر الهند الحكيم طاغـور، لكنه من واجبـه أيضا تجاه نفسه وتجاه الحيـاة ألا تكون هذه الفترة أبـدية ولا أطـول مما ينبغى، لأن نهر الحيـاة لابد أن يجرى رغم كل الأحزان فى طـريقه المرسـوم، ولأن ما كان حـزنا بـالأمس.. ينبغى له أن يكون سلاما بعد حين .

وهـذا السلام هـو جائزة الصـابـرين والراضين بقضـاء الله وقـدره، والمكافأة السخيـة التى يحصل عليها من يظفر بهذا السلام الـداخلى هو ألا

تقوى على زعزعة سلامه أية عاصفة من عواصف الحياة مهما رافقها من أحزان .

ومن بعض السلوى أن نتذكر بامتنان للخالق الوهاب لا بالحسرة، الأيام الجميلة التى نعمنا فيها بالسعاد والأمان وراحة القلب، وأن نعتبرها زادا نفسيا لنا يعيننا على تحمل أيام العناء، وعمر الانسان فى النهاية إنما يقاس حقا بمساحة السعادة الحقيقية فى حياته وليس بمساحة السنين، ولقد كان الرسام الإيطالى الكبير موديليانى يقول : أتمنى أن أحيا حياة قصيرة بشرط أن تكون حافلة !، وبهذا المفهوم فلربما كانت زوجتك الراحلة رحمها الله قد عاشت «عمرا» من السعادة لم يحظ به بعض من طالت بهم رحلة الأيام.. بل ولعل البداية المبكرة لقصتك معها وهى مازالت طفلة صغيرة تلهو لهو الصغار فى العيد، كانت إرهاصا قدريا، بأن تبدأ السعادة فى حياتها مبكرة، لأن رحلة الأيام لن تطول بها أو ربما لأن «الملائكة» من مثيلاتها إنما تطوف بالأرض طوافا عابرا ولا تقيم وإلا فكيف تفسر لى أن يقع شاب مثلك فى هوى طفلة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها على الأكثر، ويعيش معها قصة حب برىء طويلة قبل أن يحتويهما عش الزوجية السعيد خمس أو ست سنوات هانئة، إلا إذا كان ذلك إرهاصا قدريا بتبكير البدايات إيذانا باقتراب النهايات القدرية ؟

لهذا فلقد كانت صادقة فى مشاعرها حين قالت لك إنها راضية بأقدارها لأنها قد نالت من الحياة كل ما تشتهى من سعادة، ولا بأس بأن يحين وقت الرحيل .

وأما اضطرابك وتمتمتك بالآية الكريمة لا إراديا حين ألقيت نظرتك الأولى على بطنها، فما كان ذلك عن علم بالطب أو خبرة، بقدر ما كان عن شفافية قد يخص الله بها بعضا من عباده المتقين، وإحساس باطنى غير مفهوم بأن السعادة لن تطول، ولعل هذه الشفافية نفسها هى التى أنذرتك للأسف إنذارا مبكرا فى شهور الزواج الأولى، بأن «لكل شىء إذا ما تم نقصان» كما يقول الشاعر العربى، ولعلها أيضا هى التى هدتك بحس المحب العطوف لأن ترفض تعريض زوجتك لآلام جراحات متوالية غير مضمونة النتائج، جريا وراء أمل الإنجاب، ثم لأن «تبشرها» بعد ذلك بالحمل قبل أن يلوح فى الأفق طيف البشير، فإذا كنت قد اعتمدت على إيمانها بربها وحسن صلتها به فى مصارحتك المؤلمة لها بما يشق على كل

إنسان أن يسمعه فى مثل هذه الظروف ، فلقد كان هذا هو اختيارك الذى اطمأن إليه قلبك، وهو اختيار يؤمن به الأطباء فى الغرب، ونكرهه نحن هنا ونشفق منه على أحبائنا وأعزائنا وعلى كل إنسان من أن يطلعه أحد مهما كانت أسبابه على ما حجبه الله سبحانه وتعالى عنه رحمة به .

لكن ما مضى قد مضى، ولم يبق لنا الآن إلا التحمل، وتضميد الجراح وحصر الخسائر، وجرح الشباب سريع الالتئام يا صديقى كما يقولون، على خلاف جراح الشيوخ بطيئة الشفاء، فلا بأس إذن بدموعك التى ترق لمنظر زوجتك التقية وهى تحمل قالب الطوب فى أيامها الأخيرة، فمن أجل مثل هذه الفتاة الطيبة الوادعة ينبغى حقا أن تسيل الدموع وفاء وحنانا .

والدمع لايكتم غالبا ما قد ينجح اللسان أحيانا فى كتمانه، والشاعر العربى العباس بن الأحنف يقول :

لاجزى الله دمع عينى خيرا	وجزى الله كل خير لسانى
نمَّ دمعى فليس يكتم شيئا	ووجدت اللسان ذا كتمان

فلا بأس إذن بأن تدمع عيناك لذكرى هذه الفتاة الجميلة الطيبة، وأن تترجم وفاءك لها برعاية طفليك منها حق رعايتهما، وبأن تحمل لزوجتك الراحلة دائما ومهما طال العمر أجمل الذكرى.. وأرق المشاعر، لكن «حزن الأمس» لابد أن يصبح بعد حين سلاما، يا صديقى.. ولابد ألا تعوقنا الأحزان عن التواصل مع الحياة والانفتاح عليها والاستعداد لاستقبال مؤثراتها الجديدة، بعد أن تنتهى فترة «رعاية الأحزان» الضرورية، فهذه هى سنة الحياة ولا مهرب لنا منها، ولا مفر، وأما زوجتك الطيبة المتدينة فهى ومثيلاتها وأمثالها «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون» إن شاء الله العظيم ..

فقر أنت عينا.. بما نالت زوجتك من جوائز الدنيا والآخرة، وامض فى طريقك مشاركا فى مباراة الحياة.. ومتشاغلا بسباقها وشئونها وشئون طفليك عن كل الأحزان .

١١

٣٠ قصة حب واقعية

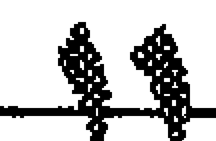
الدموع الغزيرة



أكتب لأروى لك قصتى بعد تردد طويل فأنا سيدة فى الثامنة والعشرين من عمرى نشأت فى أسرة طيبة لأب موظف كبير بإحدى الهيئات وأم ربة بيت فاضلة تزوجت أبى عن حب قديم مازال حيا ومتجددا حتى الآن وقد تخرجت فى كليتى النظرية وتقدم لى منذ أربع سنوات طبيب شاب يكبرنى بسبع سنوات، وتمت الخطبة وعقد القران، ثم تزوجنا وسافرنا بعد الزواج بشهر واحد إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليدرس زوجى للدكتوراة، وكان زوجى هو أول رجل فى حياتى فاعطيته كل حبى وحنانى ورعايتى وتركزت دنياى كلها حول محوره، ومضت الأيام بنا جميلة لايعكر صفوها إلا الحنين لأهلى وبعض الخلافات العابرة التى قد تواجه أى زوجين فى بداية حياتهما بسبب اختلاف الطباع لكن الغربة قربت بالرغم من آلامها بينى وبين زوجى حتى بلغنا درجة عالية من الحب والتفاهم والارتباط.

وخلال عامنا الأول من الزواج حملت لكن الله لم يشأ لحملى أن يكتمل وأجهضت فى شهرى الخامس، ومضت الأيام جميلة رغم ذلك، يحكى لى زوجى عن كل شىء فى دراسته وعمله، وأجلس إلى جواره وهو يعد محاضرة سيلقيها فى الغد إلى ان ينتهى منها ثم يقرأها على وانصت إليه بسعادة واهتمام رغم اختلاف نوع الدراسة. وأقف بالساعات فى مكتبة الجامعة لأصور له مايحتاج إليه من كتب فى مجال تخصصه وأسعد بمشاركته كل شىء فى حياته، ونجح زوجى فى دراسته واقترب موعد عودتنا لبلدنا فحملت مرة أخرى ولكن ارهاق الاستعداد للسفر واجهاد الرحلة الطويلة من أمريكا أثرا على حملى فما أن وصلنا إلى مصر حتى اجهضت للمرة الثانية وتألمت لاجهاضى هذه المرة كثيراً رغم استسلامى لقضاء ربى. ورجعنا إلى شقة الزوجية التى تسلمناها على الطوب الأحمر واعددناها قطعة قطعة حتى اكتملت وصارت عشا جميلاً.. ومضى شهر واحد على رجوعنا فبدأت مشكلة حياتى التى لم أكن أعى فى البداية كل ابعادها وهى أم زوجى. فأم زوجى هى الزوجة الثانية لزوجها الذى

تزوجته وهو يكبرها، بـ٢٥ سنة، وله من زوجته الأولى ٦أبناء، وقد روت لى أن زوجها قد اشترط عليها عند الزواج الا تنجب أكثر من طفل واحد وبالفعل أنجبت ابنها - زوجي - واعتبرته ابنا وحيدا بالرغم من وجود ٦ من الاخوة كلهم قمة فى الأدب والأخلاق والمراكز الاجتماعية، ولأنه ابن «وحيد» فى نظرها فهى شديدة اللهفة على ان يكون له أبناء كثيرون يملأون حياته وحياتها ويعوضون عن نشأته «وحيدا» بلا إخوة. وهى التى أوقفت حياتها عليه وجاهدت معه حتى أصبح طبيبا موعودا بمستقبل مشرق! لهذا فقد صدمت صدمة عمرها كما قالت لى حين رجعنا من أمريكا بعد عامين من الزواج كما سافرنا زوجين بلا أبناء، وكانت تتوقع ان تستقبلنا ونحن أسرة من ٤ أفراد زوجين وطفلين وليس طفلا واحدا. وقد كررت علىّ والدة زوجى ذلك مرارا وتكرارا ولابد أنها قد قالت أكثر منه لزوجى فبدأت تتغير معاملته لى، وبدأت أشعر وكأنى اتعامل مع انسان آخر غير الزوج الذى عاشرته عامين خلال البعثة واحببته وأعطيته كل حبى وعطائى لكنى صبرت على تغير زوجى آملة ان يرجع إلى طبيعته التى عرفته عليها مع الأيام، فتضاعفت متاعبى بتدخل امه غير المباشر فى حياتنا بصفة دائمة فكل مايجرى بيننا من خلافات صغيرة عابرة يحكيها لها فتنعكس على معاملتها لى، فإذا كنت فى خصام بسيط معه لايستغرق يوما أو يومين تجهمت فى وجهى واختلفت معاملتها لى، وإذا رجعت المياه إلى مجاريها بيننا تبسطت معى وأحسنت معاملتى، وان كان ذلك لايمنع حديث الانجاب فى كل وقت ورواية الحكايات التى تجرح مشاعرى عن «فلانة» التى احتفلت بعيد زواجها الأول وهى تحمل وليدها على ذراعها، و«فلانة» التى أنجبت طفلين فى عامين متتالين وهكذا، كأنى أنا التى أردت لنفسى عدم اكتمال حملى مرتين وكلما سمعت شيئا من ذلك لم أملك ردا عليه سوى الدموع الغزيرة، وهى من طبيعتى للأسف فى أبسط المواقف ايلاما لنفسى ويسمع زوجى هذا الكلام أيضا من والدته فيرجع إلى البيت مكتئباً وشارد الذهن، ويضيق صدره فيمنعنى من زيارة أية صديقة لى إذا كانت حاملا، ويطلب منى عدم استقبال اية صديقة منحها الله من فضله طفلا أو طفلة فى بيتنا، لأن رؤية أطفال غيره تضايقه ولأنه لايريد لأى طفل أن يحبو فى بيتنا إلا إذا كان ابنه!



ووسط كل هـذه الآلام النفسيـة حملت للمـرة الثالثـة وسعـدت بحملى الثالث سعـادة لاتوصف وتعلق بـاكتماله كل أملى فى الحيـاة وأملت ان يتم الحمل والولادة فيسعد زوجى بطفلـه وتنشغل عنى حماتى بحفيدها وتكف عن تنغيص حياتى، وبـالفعل تحسنت معاملة زوجى لى بعـد الحمل الثالث كثيراً، وكذلـك حماتى التى بدأت كلما لاحظت ايـة سحابة كـدر بينى وبين زوجى تتدخل للصلح بينى وبينـه على الفور حتى لاأحـزن ويتأثر الجنين، وانشغلت مع ابنهـا فى اختيار اسم المولـود الجديد بل واسم المدرسـة التى سيلتحق بها أيضا ونـوع الدراسة الجامعية التى سيـدرسها حين يصل إلى سن الشباب بإذن الله وأنـا أدعو الله خوفا وطمعـا ان يتم نعمته علىّ ويكتمل نمو هـذا الجنين لأحتفظ بزوجى وحبـى وسعادتى، فإذا بـالجنين يتوفى فى احشـائى فى منتصف شهره الـرابع وتظلم الدنيـا كلها أمـام عينى، وبكيت بأنهار الـدموع الغـزيـرة طـوفانـا، واستسلمت لحزن شـديـد، وأجرينـا التحليلات اللازمـة لمعرفة سبب وفاة الجنين ثـلاث مرات قبل ان يكتمل فى احشـــائى ولم نصل إلى شىء محدد ســوى احتمال ان تكـون المشيمـة لاتوصل إليه الغذاء الكافى فيؤدى ذلك إلى وفاته، وأجمع كبار الأطباء على أن نعيش حياتنا بطريقة طبيعيـة وفى الحمل القادم بإذن الله يتم اعطائى جرعة بسيطة من الكـورتيزون مع دواء آخر يسـاعد على سيولـة الدم لكى يصل الغذاء الكافى للجنين.

ورضيت ـ رغم حـــزنى الشديد ـ بأقـدارى وســلمت بارادة ربى لكن المشكلـة كــانت فى زوجى.. وفى حماتى بـالــرغم من بكـائهــا معى وهى تحتضنى عقب وفاة الجنين الثالث إذ بعد هـذا العطف الذى أبدته نحوى فى قمـة محنتى، قاطعتنى تمامـا وأصرت على طـلاقى من زوجى لأنها تتعجل الانـجاب، وطريقى إليه كما قالت لا يبشر بسرعة تحقيق هذا الأمل!

ورأيت زوجى ممزقا بين رغبة أمه أو تأثيرها عليه وبينى.

وقررت ان أكـافح لانقاذ زواجى وحبى لـزوجى مع مافى ذلـك من ايلام لمشاعـرى، وذهبت إلى بيت حماتى وواجهتها بهدوء وسألتها لماذا تـريد ان تحرمنى من زوجى ومن حيـاتى، فأجـابتنى بجمود بأن ابنهـا لابد لـه ان يتزوج ليكـون له أبناء. وتحملت الطعنـة صابـرة وقلت لها اننى قد حملت

ثـلاث مـرات ولم يأذن الله بعـد فلماذا لا تصبريـن علىّ بعض الـوقت حتى يرزقنى الله بالـولد، فأجابتنى بنفس الجمود بأن العمـر يجرى وانه يحتاج لأن ينجب وهـو فى سن الشبـاب لكى يستطيع تربيـة أبنـائه وتحاملت على نفسى وسألتهـا ومـاذا لـو تزوج من أخـرى ولم ينجب أيضـا فأجـابتنى بلا تردد بأنه لو حدث ذلك فسـوف تطلقه من زوجته الجديدة وتزوجه من ثالثة ورابعة حتى يتحقق لها أملها فى الانجاب!

ولم أجد مـا أقول لها ردا على مـا سمعته منهـا سوى ان الله لا يـرضى بالظلم وانها وابنها يظلماننى.. وحسبى الله ونعم الوكيل.

ثم نهضت من أمامها منكسرة وشاعرة بكل هوان الدنيا وكنت قد عرفت منها انها قد طلبت منه ان يستشير فى أمـر طلاقى رجال الدين لكى يستريح إلى قراره ويتشجع عليه فطلبت منـه ان يصطحبنى معه إلى دار الافتاء لكى أسمع معـه رأى الدين فى أمـرى، وتـردد زوجى فى القبول قـائلا لى ان ذلك سوف يجرح مشاعرى، لكنى الححت عليـه فى القبول، فأى ايلام ينتظرنى أكثر ممـا شعرت بـه خلال حـديثى مع والدتـه واصطحبنى زوجى إلى دار الافتاء، واستقبلنـا هناك شيخ فـاضل. استمع باهتمام إلى مشكلـة زوجى الذى رواهـا أمامى بأمانة، ثم اجـابه: «يهب لمن يشاء اناثـا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما» صدق الله العظيم وصمت برهة تأملنا خلالها معا ثم قال لزوجى انه لو كان فى موضع زوجى وأنعم الله عليه بزوجة طيبة وعلى ديـن وخلق مثلى ومتمسكة بزوجها إلى هذا الحد لسعد بها ورضى بحياته معها حتى ولو لم تنجب نهائيا.

وسالت دمـوعى الغزيرة وأنـا اسمع هذا الكلام الـرحيم من رجل الدين الفاضل، واستأذنا فى الانصراف وخرجنـا وركبنا سيارة زوجى وهو مازال شاردا وسـاهما كأنما كان يأمل ان يلتمس لـه رجل الدين العـذر فى طلاقى ويعطيه الضـوء الاخضر ليقدم عليـه، ورغم ادراكى لما يدور فى ذهنـه فلقد سألته ونحن فى السيـارة عما ينوى ان يفعل فطلب منى مهلة يـومين ليفكر فى أمـره خلالهما، فأجبتـه بأننى قـد فعلت كل مـا فى وسعى للحفاظ عليـه والأمـر مـرجعه إليـه الآن، ثم رجعنـا إلى بيتنـا وتـدخل اخوتـه الفضـلاء والاقارب بيننـا وحاولوا تهدئة الأمـور ومنع الطلاق، وبعد جلسـة مداولات

طويلة وجارحة جرت كلها أمامى وفى حضور والدة زوجى وزوجى وافقت حماتى على ان تعطينا فرصة أخرى للحمل، ورجعنا إلى بيتنا وأنا راضية بذلك ووعدت زوجى بأن أبدأ معه صفحة جديدة أتناسى فيها كل شىء وسافرت مع والدى ووالدتى لأداء العمرة وطفت بالبيت الحرام وأنا أدعو الله ان يحقق لى أملى فى الانجاب وانقاذ بيتى وزوجى وتعلقت باستار الكعبة عند الملتزم وبكيت بالدمع الغزير وانا استرجع مشاهد مواجهتى لام زوجى وسؤالها عما تريد ان تفعل بى وجلستى أمام رجل الدين انتظر كلمته فى أمرى.. وجلستى بين جمع من الأهل انتظر نتيجة المداولة بشأنى، وافرغت كل احزانى وآلامى، ثم عدت إلى القاهرة وقد تحسنت حالتى النفسية بالفعل وعشت مع زوجى شهرين سعيدين ثم رجعت المنغصات مرة أخرى من جانب حماتى، وبدأت أشعر بابتعاد زوجى عنى.. ومضت ثلاثة شهور أخرى لم يحدث خلالها حمل رغم متابعتى باستمرار مع الطبيب وفى صباح أحد أيام الجمعة اصطحبنى زوجى بسيارته إلى بيت والدى لنتناول معا طعام الغداء بدعوة منه وقد رتبنا معا ان نقضى فترة الظهيرة فى بيت أبى ثم نخرج فى الاصيل أنا وزوجى لزيارة بعض أصدقائنا فى بيتهم، وأوصلنى زوجى إلى بيت أبى ثم استأذن فى الخروج لنصف ساعة لاداء صلاة الجمعة، وخرج وانتظرت عودته بعد الصلاة فطال غيابه.. ورفضت تناول الغداء قبل رجوعه.. وانتظرت فلم يرجع ثم رن جرس التليفون فجأة ورفع أبى السماعة فإذا به يسمع صوت حماتى تطلب منه ان يذهب إلى شقتى لانزال أثاثى منها لأن زوجى سيطلقنى وسوف يتزوج فى نفس الشقة خلال وقت قصير!

ووضع أبى السماعة ثم أبلغنا بما سمعه فانهرت باكية لقسوة الغدر بعد كل مافعلت وقدمت، وتم الطلاق بعد اسبوع وتهدم البيت الذى فعلت المستحيل للحفاظ عليه.

اننى لا أكتب إليك الآن لكى تجد لى حلا لمشكلتى فقد تولانى الله سبحانه وتعالى برحمته وهيأ لى من أمرى رشدا، وإنما أكتب إليك لكى أسألك لماذا يظلم الانسان أحيانا من أخلصت له واعطته الكثير والكثير وتحملت منه الكثير والكثير؟ ولماذا يلجأ الانسان إلى الغدر بمن أحبته حبا

صادقا وأخلصت له العطاء بدلا من المواجهة بشرف كما ينبغى ان يفعل من يحترم آدمية من شاركته الحياة.

اننى الآن لست حزينة على زوجى فقد اهتزت الصورة المثالية التى رسمتها له فى خيالى وتهاوت أمام الغدر القاتل وتكشف لى من حقائق الامور والحياة مالم أكن أراه بعين الحب التى لاترى للأسف فيمن تحب إلا كل جميل لكن بداخلى سؤالا كبيرا يبحث عن اجابة هو لماذا يظلم الإنسان.. أحيانا أو يقسو.. ويتحجر قلبه إلى هذا الحد؟

لقد فقدت ثقتى فى الأشياء والأشخاص حتى كدت أشك فى أصابع يدى فى الأيام الأولى، لكننى قد استرددت الآن والحمد لله وبعد أسابيع قليلة هدوء نفسى، وأعاننى إيمانى العميق على تقبل اقدارى كما تقبلتها من قبل، واعتبرت ماحدث صفحة وانطوت من عمرى بخيرها وشرها. وقررت ان ابدأ حياتى من جديد وأردت أن أرجع إلى عملى السابق الذى انقطعت عنه فإذا بمن لاينسى عباده فى الملمات يهدينى عملا أفضل منه وبمرتب يزيد على مرتبى السابق أضعافا مضاعفة، وفى وسط اجتماعى راق بين زملاء وزميلات أفاضل وجدت بينهم راحتى وسلامى النفسى، وفضلا عن كل ذلك فهو قريب من بيت أسرتى أذهب إليه بسيارتى خلال دقائق وقد أعطيت العمل كل اخلاصى، وأصبحت أمضى فيه كل نهارى من الصباح وحتى السادسة او السابعة مساء كل يوم.. وزالت غشاوات كثيرة عن عينى فرأيت بعض مالم أكن اراه من قبل بعين المحب العمياء، فإذا كنت نادمة الآن على شىء فعلى أنى قد أضعت فترة ثمينة من العمر فى حياة كان محكوما عليها بالفشل منذ البداية، لكن رغبتى فى الحفاظ عليها قد اعمتنى عن هذه الحقيقة، ورجائى الأخير هو ان توجه كلمة لكل أم تسعى فى خراب بيت ابنها وكل ابن يستجيب لها فى ذلك إلى أن يتقيا الله فى بنات العائلات وأعراض البشر، والسلام عليكم ورحمة الله.

☐ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

كثيرا ما تواجهنا محن الحياة واختباراتها القاسية.. فنظن ونحن فى ذروة معاناتنا لها اننا لن نستطيع مهما حاولنا ان نحتمل الحياة بعدها ثم ما تلبث إرادة الحياة فى داخلنا ان تثبت لنا كل مرة اننا قادرون على تخطى



أقصى الآلام بعد حين وعلى مواصلة الرحلة فى طريقها المرسوم رغم كل الصعوبات. وما أكثر ما تجرف الحياة من أحزان وآلام كانت فى قمة اوارها تكوينا بلسع النار، ثم أخمدها الزمن شيئا فشيئا.. حتى أصبحت كآثار الجراح القديمة لا تؤلمنا.. وإن تركت بعض ندوبها فى روحنا.

والرضا باقدارنا هو وسيلتنا الوحيدة لمكافحة الآلام واعانة عامل الزمن على إخماد لهيبها.. والحوار العاقل الهادىء مع النفس هو الذى يقنعنا فى النهاية بأن مالا حيلة لنا فى منعه لم يكن بأيدينا مهما أجهدنا أنفسنا ان ندفعه عنا، وأن كل ألم فى الحياة مصيره إلى زوال بعد حين.. ومن واجبنا ان نساعد أنفسنا على البرء منه بألا نتوقف طويلا أمام الاطلال... وألا نهدر العمر الثمين فى اجترار الأحزان.. وبأن نتبع نصيحة ذلك الشاعر الأمريكى الذى ينصح كل مهموم قائلا: استمر.. استمر واصل طريقك فى الحياة سواء أكان مفروشا بالورود أو بالأشواك.. استمر.. استمر فسوف تجد حلا لكل المتاعب والصعاب ولن تجده أبدا إذا توقفت أمام أحزانك أو تجمدت فى موقعك .

فإذا كنت الومك فى شىء ففى امتهانك لنفسك مع زوجك ووالدته إلى حد استجدائهما الابقاء عليك.. وكأنما لن تكون لك حياة بعد زوجك هذا أو كأنما قد خلت الدنيا من كل الرجال بعده.. نعم نحن نحترم الحب الحقيقى المخلص ونلتمس العذر لصاحبه فيما تمليه عليه عاطفته من تصرفات.. لكن لكل شىء حدودا ياسيدتى. ولست فى النهاية تضحين بكرامتك حرصا على مصلحة أبناء من ان يتعرضوا للضياع بينك وبين زوجك لكى تقبلى لنفسك ما قبلت . أو حتى لكى تقبلى مجرد محاسبتك على تأخر الانجاب ثلاث سنوات فقط حملت خلالها ثلاث مرات ولم يشأ لك ربك أن يكتمل الحمل . كأنما قد اخترت لنفسك ما تعرضت له من محن أو كأنما قد عاشرت زوجك خمسة عشر عاما ، ويئس نهائيا من تحقيق أمله فى الانجاب منك فاستأذنك على استحياء فى أن تسمحى له بالزواج من أخرى من أجل الانجاب وخيرك بين الانفصال عنه أو الاستمرار معه كما يفعل الآخرون فى نفس ظروفه ، لكنك رغم ذلك قد قبلت أن تقفى موقف الدفاع عن نفسك ضد الاتهام القاسى بالفشل فى الانجاب ، وصاحبت زوجك طائعة إلى لقاء رجل الدين

الفاضل لكي يستشيره أمامك في أمر طلاقك ، ويغادره مهموما شاردا لأنه لم يوافقه على نيته ففيم كل هذا الايلام . وكل هذا الهوان الذي رضيت به لنفسك يا سيدتي لقد قال الإمام على بن أبي طالب « إذا رفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يضعك دون قدرك » والمؤكد أنك قد رفعت بعض الأشخاص بعين الحب فوق قدرهم .. فلا عجب أن رضوا لك بمثل هذا الايلام .

أما أسئلتك الحائرة عن « الغدر » بدلا من المواجهة الشجاعة وتحمل تبعاتها .. وعن لماذا يظلم الإنسان لهذا فلابد ان تستمر وان نحيا.. ونعمل ونواصل الطريق ونتفتح للحياة من جديد عقب كل محنة لنستقبل مؤثراتها الجديدة.. ونتناسى معها أحزاننا السابقة.. والأديب الايرلندي العظيم برنارد شو يميز بين الانسان العاقل وبين غير العاقل بمدى قدرته على ان يتواءم مع الواقع المحيط به مهما كانت قسوته، فيقول ان العاقل هو الذي يتواءم مع الواقع أما غير العاقل فينتظر من الواقع ان يتواءم معه.. ولهذا فأن أعظم انجازاته لن تزيد مهما فعل على مجرد الانتظار!

وأنت لم «تنتظري» والحمد لله وإنما خرجت للعمل وللحياة وأعدت النظر في تجربتك المؤلمة فرأيت فيها عن بعد مالم يكن متاحا لك أن تبصريه وأنت في بؤرة آلامها. ولابأس بمحاسبة النفس ومراجعة التجارب التي نعيشها ثم تنتهي صفحتها ولكن بشرط ألا تستغرقنا إلى مالا نهاية وتستحوذ على تفكيرنا كل الوقت فتقضي علينا بالحياة في سجنها بدلا من أن تعيننا المراجعة على الاستفادة بدروسها.

وقمة شفائنا من آثارها الكئيبة هي ان تعبر ذكرى «أبطالها» في مخيلتنا فلا تثير فينا الحنين إليهم.. ولا الحنق عليهم، فحتى الكراهية التي قد تتحول إليها مشاعر الحب في بعض المحن ليست سوى شكل آخر من أشكال «الاهتمام» بمن غدروا بنا ولم يرعوا عهدنا، في حين أنهم لايستحقون منا في الحقيقة بعض هذا الاهتما حبا كان أم كراهية، وهم «يموتون» حقا بالنسبة إلينا حين ننساهم تماما فلا تثير ذكراهم في نفوسنا سوى ماتثيره ذكرى آحاد الناس ممن لانحبهم ولا نكرههم ولايعنينا من أمرهم شيئا. وسوف تصلين إلى هذه المرحلة قريبا باذن الله.


١٢
قصة حب
واقعية
جنة الأحلام

كـان ينبغي لي أن أكتب رسـالتي هـــذه إليك منـذ أربع سنـوات، لكني أحجمت عن ذلك في اللحظة الأخيرة، فأنـا مهندس شاب تخرجت منـذ أعوام وأعمل في مجال مهنتي، وأستعـد للحصـول على الماجستير، ثم الـدكتـوراة بإذن الله.. وقد نشأت في أسرة ميسـورة وتوفي أبي وأنـا طفل في العاشرة من عمري فتولت أمي تـربيتي حتى أتممت دراستي بتفوق وتخرجت في كليتي ووافتها المنيـة بعد أن أدت رسالتها معي فحـزنت عليها حزنا شـديدا لأنها كانت سيـدة فاضلـة وأما رؤوما.. وقبل أن ألتحـق بكليتي الجامعية، كنت طالبا بمدرسة مشتركـة بين البنين والبنات بإحدى عواصم الأقاليم، فلفتت نظـري خلال عـامي الأخير بـا لمرحلة الثـانـوية فتـاة من مـدرسة البنـات الملاصقـة لنا، كل شيء فيهـا جميل من مـلامحها إلى تـدينهـا وأخلاقهـا وذكائها، حتـى أن مديرة المدرسة اختارتها كطـالبة مثالية ذلـك العام، وقد أعجبت بهذه الفتـــاة كثيرا، وزاد من إعجـــابـي بها أن علمت أنها من أسرة بسيطـة، وان كل شقيقـاتها مثلهـا في الأخـــلاق والتفـوق، فـراودني حلم الارتبـاط بهذه الفتـاة وأردت أن أتفـوق في دراستـي لأكـون جـديـرا بها، وحصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير أهلني للالتحاق بكليتي العملية بعاصمة المحافظة، في حين التحقت تلك الفتاة بكلية نظرية بمحافظة أخرى، وظللت رغم ذلك أتسقط أخبارهـا حتى علمت وأنا طـالب في عامي الجامعي الثـاني أن هنـاك من يتقـدم لخطبتهـا، فصـارحت أمي وعمي بـرغبتي في الارتبـاط بها ورحبـا بـذلك ولـــو على سبيل الخطبـة إلى حين انتهـائي من دراستي، وذهبنا جميعـا إلى أسرتها لنطلب يدها.. فـرحب بي والدهـا وأمها كثيرا، أما هي فحين سألوها عن رأيها أبدت اعتـذراها عن عدم قبولي خطيبا لها، وفسرت رفضهـا بأنها تفضل أن يكون خطيبهـا أكبر منها سنـا وخبرة وحتى ولو كان فقيرا معدما، على أن يكون شـابا أو فتى مماثلا لها في العمر والخبرة والتفكير.. ألخ.

وحـــزنت لموقف فتـاتي هذا مني ورجعت إلى دراستي فلـم أحقق تفوقـا

دراسيا فى ذلك العام بسبب شرودى وأحزانى، ولكنى تمالكت نفسى وقررت أن أحافظ على تفوقى لأتخرج وأعمل فى مهنتى وبعد عامين علمت أن فتاتى قد تمت خطبتها لشاب من نفس البلدة يكبرها بتسع سنوات ويعمل بالخارج .. وعلمت من المحيطين بهذا الشاب أنه شاب طيب إلى حد السذاجة، لكن أسرته معروفة فى بلدتنا «بأفعالها» المستنكرة من شتائم وسب علنى وفضائح أمام الناس الخ، وتعجبت كيف قبلت به وأهله على هذا النحو.. خاصة انها سوف تقيم بينهم لأن زوجها سيغيب عنها طوال العام فى عمله بالخارج ولا يرجع إليها إلا فى الاجازة.. وتساءلت هل علمت عن أهله هذه الطباع السيئة أم خدعوها وصوروهم لها كالملائكة؟.. وقررت أن تعرف فتاتى ما هى مقدمة عليه.. فأوفدت إليها إحدى قريباتى لتوضح لها «حقيقة» هؤلاء الأهل الذين ستعيش بينهم، فما كان من فتاتى إلا أن نهرتها وطلبت منها عدم العودةلزيارتها مرة أخرى.. وبعد عام من ذلك تزوجت فتاتى وسط مشاكل كثيرة ومضى على زواجها أربع سنوات لم تفارقها فيها المشاكل والمتاعب يوما واحدا مع أهل زوجها، إلى حد تركها لفترة طويلة دون انفاق عليها ولا على طفلها.. وقد علمت بكل ذلك من المقربين إلى زوجها، وعلمت أن فتاتى تحيا حياتها فى جحيم وسط هؤلاء الأهل، فإذا رجع زوجها من عمله فى الخارج لفترة قصيرة انقلبوا أمامه إلى ملائكة وأحسنوا معاملتها، ثم تتكرر المأساة مرة أخرى بعد سفره وهكذا.

كما علمت أيضا وعن يقين أن فتاتى قد ساءت أحوالها الصحية والنفسية معا، وانها قد كرهت حياتها وتركت بيت زوجها ورجعت للاقامة مع أهلها بعد أزمة حادة مع أحد أفراد أسرته. وسعدت كثيرا بما حدث!.. بل وتمنيت طلاقها هذه المرة لكى ترافقنى بقية حياتى وأعوضها عن هذه الفترة المظلمة من حياتها، لكن «للأسف» يا سيدى ما أن عاد زوجها فى أجازته حتى ضعفت أمام من توسطوا للصلح بينهما ورجعت معه إلى هذا البيت الذى ذاقت فيه الذل والهوان.. وكالعادة فلقد قضى معها زوجها فترة قصيرة ورجع إلى غربته وظللت أنا أتسقط أخبارها عن بعد وأتعجب!

ثم حدث ذات يوم كنت أسير فى الطريق إلى عيادة طبيب من أقاربى فوجدت سيدة شابة تبدو مجهدة ومعتلة الصحة تنوء بحمل طفلها، وعرضت عليها أن أحمل عنها الطفل، إلى أن تتمالك نفسها.. وقبلت ذلك

وأعطتني الطفل فإذا بى أرى فيها فتاتي الجميلة بعد أن ترك الهم آثاره على وجهها، ودهشت من أنها لم تتعرف على.. ولم تكتشف أننى ذلك الشاب الذى رفضته منذ ست أو سبع سنوات لأنه يماثلها فى السن.. وذكرتها بنفسى فإذا بها ترتبك كأنما قد تورطت فى شىء لم تكن ترغب التورط فيه، وسألتها عن أحوالها فأجابتنى «كذبا» بأنها طيبة وعلى مايرام.. وعرفت أنها كانت فى طريقها إلى قريبى الطبيب لعلاج طفلها من أزمة معوية مفاجئة فاصطحبتها إليه ولم أتركها إلا بعد أن أطمأننت على طفلها واستعاد الطفل بعض حيويته، وعند ذلك فاجأتها بأننى أعرف كل صغيرة وكبيرة عن حياتها الزوجية التعيسة، وأننى أتمنى طلاقها لاتزوجها وأعوضها عن حياتها هذه بحياة جديدة كالجنة، فإذا بها ترتبك أكثر وتعتصم بالصمت للحظات مضت علىّ طويلة ـ ثم تجيبنى بعد ذلك بأن ابنها هذا أهم لديها من جنة الأحلام التى أعدها بها. ولم تفلح محاولاتى معها لاقناعها بأن طفلها هذا سوف ينشأ ويتربى بيننا واننى سوف أكون أبا مثاليا له.. وانتهى الموقف بيننا بانصرافها وهى تحمل طفلها دامعة العين.. وانتظرتها فى يوم المتابعة أو الاستشارة الطبية الذى حدده لها قريبى الطبيب فلم تأت.. وأدركت أنها تتهرب منى وتتجنب اللقاء وتبيع من اشتراها وتشترى من باعها، مع اننى لا أريد لها إلا الخير.. فكيف ترفض أن تخرج من هذا الجحيم الذى تعيش فيه لتهنأ بحياتها داخل جنة نظيفة ومع زوج يحبها ويتمناها مع تأكيدى لها أننى لن أبخل عليها ولا على طفلها بشىء.. وبماذا تفسر هذا الموقف «الغريب» من جانبها؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

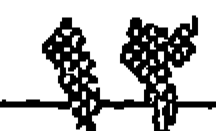
ليس من النبل أن تعرض على زوجة رجل آخر وأم لطفل منه أن تخرج من «الجحيم» الذى تعيش فيه مع أهل هذا الزوج، لكى تدخل الجنة الموعودة معك لتعوضها فيها عن كل ما عانته فى سابق أيامها من آلام !.. فهذا العرض الذى تتحدث عنه ببساطة عجيبة هو بالتحديد ما ينطبق عليه وصف جريمة الغواية لزوجة محصنة لتهدم بها أسرتها الصغيرة وتحرم طفلها من أبيه الطبيعى ، وتحرم هذا الأب نفسه من طفله وزوجته وأسرته الآمنة ! .. وإذا كان الرسول الكريم ﷺ قد نهى عن أن « يخطب أحدكم على خطبة أخيه » أى عن أن يتقدم أحد لخطبة فتاة يعلم علم اليقين أن أخا له من

بنى البشر قـد خطبها لنفســه ولقى منهـا القبول بـه ، فماذا نقول عن هـذا العرض « البرىء » الـذى عرضتـه عليها ؟ وكيف تعجب لـرفضها الخروج من « الجحيم » الذى تعيش فيـه لتدخل جنتك الموهومـة هذه ؟ .. إنك تطلب منى تفسيرا لموقفهـا هـذا منك ، وأرانـى مضطـرا لمصـارحتك بما تكـره أن تتفهمـــه أو تقبل بـــه من حقـــائق الأشيـــاء لأحميك مـن شر نفسك ومن الاستسلام لأوهامك هذه إلى مالا نهاية .

ان الحقيقة التى ينبغى لـك أن تعترف لنفسك بها وألا تخجل منها لأنها لا تمس اعتبارك فى شـــىء هى أنك لم تمثل بالنسبـة لهذه السيدة الفـاضلة شيئا ذا بال فى يوم من الأيام ، ولم يتجاوز شأنك فى حياتها شأن فتى تقدم لخطبتها وهى مازالت طالبة ، فلم يقتنع بـه عقلها ولم ترحب بالارتباط به ، ولم ينشغل به فكـرها لأكثر من لحظات ، فى حينهـا . فإذا كنت قد اعتبرتها منـذ ذلك الحين « فتـاتك » وانشغلت بـأمـرهـا وسعيت بعـد ذلك لإفسـاد خطبتها لزوجها بإيفاد سفيرة خـاصة إليها ، فطردتها شر طردة ولم تسمع لها .. فهذا شأنك وحدك ولا دور لهذه الفتـاة ولا مسئولية عليها فى اهتمامك بأمـرهـا بعـد ذلك ولا فى تتبعك لأخبارهـا .. ولا فى « سعـادتك » الشريـرة بمتـاعبهـا مـع أهل زوجهـا ، أو فى حلمك الآثم بطـلاقهـا لكـى تتـزوجهـا وتتشارب معها كئوس السعادة وتصبح « أبا مثاليا » لابنها !

فلقد جرى كل ذلك فى داخلك أنت وبـلا أى دور لها فى ذلك .. ورغائبنا فى الأشياء لا تكفى وحـدها لأن ننالها إذا كـانت تتعلق فى نفس الوقت بإرادات الآخـرين واختياراتهم لأنفسهم وحيـاتهم وتطلعنـا المحموم إلى هـدف من الأهـداف لا يعطينا حقـا مشروعا فيـه إذا لم يكن المطلب عادلا ومشروعـا . وأنت مهموم بأمـر نفسك ورغبتك فى هذه السيدة الفاضلـة طوال الوقت إلى حـد أن أعماك ذلك عن أن حلمك الآثم فيهـا لو تحقق فلسـوف ينعكس ذلك بأبلغ الضرر على زوج وأب لا حيلة له فى « أفعـال » أهله التى تتحدث عنها ، ولا ذنب لـه فى شغفك بـزوجته وتطلعك لهدم أسرتـه لغير شىء سـوى أن تحقق لنفسك أمنيـة قـديمـة فى فتـــاة أعجبت بها على البعـد وهى طـالبـة ورفضتك حين تقـدمت إليها .. فماذا تكـون الأثـرة والأنانيـة التى لا تضع اعتبارات الآخرين فى تقديرها سوى ذلك ؟

إنك تتحدث عن زوجـة محصنة وأم لطفل وتقول عنهـا إنهـا « فتاتك » ..



مع أنها لم تكن يوما كذلك ولن تكون .. فأين حسن تقديرك للأمور .. وأين تفهمك الصحيح لحقائق الأشياء . وهذه السيدة الفاضلة لم تتعرف عليك حين التقت بك مصادفة بعد سنوات من زواجها ، ولم تميز حتى ملامحك ، كما أنها لم تخطب لك ذات يوم وكان رفضها لك أسرع إليها من القبول ، فبأى حق تدعوها فتاتك ، وتتمسك بالأمل فيها بدعوى أنها تعيش فى «الجحيم» مع أهل زوجها .. ومن الذى يعطينا الحق فى الحكم على حياة الآخرين بالسعادة أو الشقاء وهم أدرى بها منا وأقدر على الحكم عليها منا؟

إن لكل إنسان سعادته الخاصة التى لا يستطيع أحد غيره أن يقدرها .. وهذه الزوجة الفاضلة من أصحاب القلوب الحكيمة الذين لا ينخدعون بظواهر الأشياء .. ولا تستريح نفوسهم للطرق الملتوية فى الحياة ، وقد صارحتك بلا تردد بأن طفلها أهم لديها من « الجنة » التى تدعوها إليها .. وتجنبت بعد ذلك زيارة نفس الطبيب فى موعدها المحدد لكى تتفادى الالتقاء بك مرة أخرى والتورط فى حديث مع رجل عرفت الآن بما لا يدع مجالا للشك أنه مازال يرغب فيها وهى سيدة أمينة لا تقبل لنفسها خيانة زوجها بالحديث مع رجل آخر تعلم شدة رغبته فيها .

فماذا تتوقع منا إلا أن نؤيدها فيما فعلت ونتفهم حكمته ومغزاه الأخلاقى ونعجب بهما ؟ يا صديقى الشاب أن من هموم الحياة وآمالها وآلامها مالا ينبغى معه لشاب مثلك أن يطرحه وراء ظهره ويضع نصب عينيه شيئا واحدا فقط هو الفوز بزوجة رجل آخر وهدم أسرته وتمزيق طفله بين أبويه بدعوى أنه سوف يعوضها عن تعاستها الزوجية ، مع أنه لا ضمان للسعادة بالكلمات والوعود .. ولا سبيل للحكم عليها إلا بالتجربة والمعايشة وحسن تفهم الأمور .

واستغراقك فى ذاتك على حساب حقوق الآخرين لا يبشر بحسن التقدير ولا باستعدادك للتنازل عن بعض اعتباراتك عند الضرورة لكى تمضى السفينة فى بحر السعادة والأمان ، فلا تكن ممن يتوهمون أن كل ما يرغبون فيه هو « العدل » الذى لا يأتيه الباطل من أمامه أو ورائه ، ولا تكن ممن يعتبرون رغباتهم فى الأشياء « إرادة سنية » .. يجب أن تستجيب لها الأقدار بلا مراجعة .. وشكرا لك إن فعلت والسلام .

١٣

٢٠
قصة حب
واقعية

طائر الذكرى

لعلك مـازلت تذكـرنى .. فلقد كتبت إليك رسـالة نشرتها فى أواخـر عام ١٩٩٠ بعنوان «طائر الألم » وكانت عن ظروف وقتهـا كزوجة شابة وطبيبة أصيب زوجهـا الشـاب المهنـدس بعـد فترة قصيرة من الـزواج بـالفشل الكلوى، وكنت فى ذلك الوقت فى شـدة الضيق والكرب وأنا أرى زوجى يتألم أمـامى ويصرخ من ألمه ويبتهل إلى اللـــه أن يأخـذه إلى جـواره ليرحمه من عذابه ، وقد رويت لك كل ذلك وتساءلت فى رسالتى قانطة : لماذا أبدأ حياتى الزوجيـة أنا وأطفـالى بالألم .. ولماذا لا يرحمنـا الله برحمتـه وحنانـه الذى يفوق حنان الأم على وليـدها ، وقد رددت أنت علىّ وقتها ـ أكـرمك الله ـ ردا كالبلسم الشـافى وطالبتنى كلما اشتد بى الكـرب أن أردد دعاء سيدنا يونس وهو فى جوف الحوت الذى استجـاب له ربه وفرج به كربـه وهو « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظـالمين » .. وأن أذكر أيضا الآية الكـريمة « إنا كل شىء خلقناه بقـدر » وتكرمت أكثر من ذلك بالاتصـال بى بعد النشر فى مدينتى ذات مسـاء تسأل عما إذا كنت فى حاجـة لأية مساعـدة لدى وزارة الصحة فى العلاج أو أيـة مساعدة أخرى .. فأعجزنـى كرمك عن الرد وقلت لك شاكـرة إن رسالتى لم تكن سـوى نوع من الفضفضة وإطـلاق البخار المكتوم فى الصدور .

ومنذ ثلاث سنوات هممت بأن أكتب إليك مـرة ثانية لأخبرك بأن أحوالنا مستقرة والحمد لله ، وأن زوجى يقوم بعملية الغسيل الكلوى بانتظام، بعد أن باءت محاولات التبرع لـه بكلية من الأقـارب بفشل تام ، وبعـد أن عزف زوجى عن إجراء عمليـة الزرع بعد مشـاهدته خـلال عملية الغسيل لبعض حالات لم يحقق فيها الزرع نتـائج طيبة ، فاتفقت مع زوجى على أن نرضى بالواقع كما هو وبأن نسلم معا أنه لو كـان مقدراً لنا أن نحيا يوما واحدا أو شهرا أو سنة فلنعش هذا اليوم أو تلك السنة فى سعادة كاملة ، ولنحاول أن نخلق نحن سعادتنـا بأيدينـا ونستمتع بها وبكل لحظة منها .. وقـد كان .. وكانت النتـائج باهرة أيضـا وفوق مستـوى الخيال فلقد يسر اللـه لنا كل

ما أردناه وفكرنا فيه ، فإذا أردنا مثلا أن نستكمل بعض الأشياء الناقصة فى شقتنا أو نجدد شيئا فيها .. نجد التدابير الإلهية قد يسرت لنا ما أردنا من حيث لا ندرى ولا نحتسب ، ولو كنا حين فكرنا فى ذلك لا نملك ثمن ما نريد أو تكاليفه ، وإذا أراد زوجى أن ينشىء مشروعا صغيرا فى حديقة البيت ليشغل به نفسه ويشعر بأنه عضو نافع فى المجتمع ، أكرمنا الله سبحانه وتعالى بتحقيق هذه الرغبة ومن أيسر السبل .. وبأسرع الخطوات ، ومن حيث لا نعرف كيف استطعنا ذلك ، ولا كيف تهيأ لنا تنفيذه . بل إن زوجى قد شجعنى أيضا على استكمال دراساتى العليا التى انقطعت عنها حين أصيب بالمرض .. وشجعنى أيضا وأعاننى على إنشاء عيادة خاصة بى أشعرتنى بنجاحى وتمتعت ـ والحمد لله ـ بحب واحترام كل من يعرفوننى . أما على مستوى الحياة الأسرية فلقد تعلق زوجى بى تعلقا شديدا كتعلق الطفل الصغير بأمه حين يتشبث بذيل ثوبها ويمضى وراءها من مكان إلى مكان وتلازمت أنا وزوجى فى كل أوقاتنا وشئون حياتنا فلا أفعل شيئا دون مشورته ولا يفعل هو أيضا شيئا بغير استشارتى ، وكان ينتظر كل يوم عودتى من العمل فى لهفة وينتقل ورائى من مكان إلى مكان فى البيت وهو يسألنى كيف كان يومى فى العمل ويطلب منى أن أحكى له كل ما جرى لى منذ غادرت البيت وماذا فعلت .. وماذا قلت وماذا سمعت ويتلذذ بسماع تقريرى هذا ويشاركنى الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة فى حياتى .. ثم أصبح اسمى لا يغيب عن لسانه لحظة ، ولا يكف عن النداء علىّ إذا غضب أو ضحك أو خاصم ! .. إذ حتى خلافاتنا القصيرة العابرة كانت تثير الضحك بيننا أكثر مما تثير الغضب والمودة ، أما فى الصباح فهو يصحو مبكرا ويعد لى طعام الإفطار بنفسه ويطعمنى بيده ، وإذا كانت حالته الصحية جيدة أعد لنا أيضا طعام الغداء ، وداعب طفلتينا مداعبة ظريفة لم أرها من أحد قبله حتى تعلقت به الطفلتان بأكثر مما تتعلقان بى .

أما فى لحظات الألم ـ وما كان أقساها ـ فقد كنت أضاحكه وأبشره بأن مآله الجنة لا ريب فيها لصبره على المرض أولا .. ولصبره علىّ أنا زوجته المشاكسة ثانيا .. لكن هيهات حتى فى ذلك أن يفلت منى فسوف أطارده فى جنات النعيم حتى يفضل عليها نار السعير! .. فينظر إلىّ طويلا وهو يغالب



ألمه ويتحمله بصبر الصابرين ويقول لى متأثرا إنه ليرجو من الله العلى القدير أن أكون زوجته أيضا فى الدار الآخرة . كما كنت زوجته وشريكته فى الحياة الدنيا .

وهكذا عشنا أيامنا يا سيدى نتحمل نوبات الألم والتدهور بصبر .. ونسعد بأيام التحسن واعتدال الصحة ، ونستمتع بكل لحظة من حياتنا معا .. ونشعر فى كل لحظة بأننا نتبادل أنبل المشاعر ويحمل كل منا للآخر أجمل وأحلى الأحاسيس .

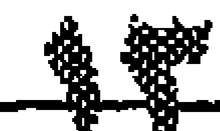
لكن أوقات السعادة قصيرة دائما يا سيدى ، ولو طالت كما تقول أحيانا فى بعض ردودك ، ولقد انقضى هذا الحلم القصير فجأة ليلة عيد الفطر الأخير ، ورحل زوجى عن الحياة وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ، بغير أن « يفرح » يوما بشبابه ، وبعد رحلة معاناة مع المرض استغرقت عشر سنوات كاملة هى كل عمر زواجنا .. نعم رحل زوجى وحبيبى وصديقى وسكنى وسندى وسترى وغطائى وهو يهتف باسمى مستغيثا وغربت شمس حياتى التى كانت تمدنى بالدفء والأمان . ولم أعلم قط هل رحل عن الدنيا وهو راض عنى أم لا ، وهل قصرت فى حق من حقوقه أم ترانى قد وفيت له بحقه علىّ .. وبعد مرور الأيام المريرة الأولى أنزل الله سكينته فجأة فى قلبى وألهمنى الصبر من حيث لا أدرى أيضا ولا أحتسب فلم أعد أشعر إلا وكأن زوجى قد خرج من البيت إلى شأن من شئونه وسوف يعود بعد قليل ، ولا غرابة فى ذلك ، فلقد ترك لى رصيدا ضخما من الذكريات الجميلة والحكايات الحلوة والنوادر الطريفة التى تضحكنا وتعزينا فى نفس الوقت عن افتقادى الشديد لصحبته .

ولقد كتبت لك هذه الرسالة لكى أوجه نداء إلى كل الأزواج والزوجات أن استوصوا بشركاء الحياة خيرا خاصة المرضى منهم ، ولا تؤجلوا العطف عليهم والرحمة بهم إلى موعد لاحق ، لأن الأعمار قصيرة ولا تبخلوا عليهم بالمودة الخالصة ولو طال بهم المرض ، فالمريض هو بركة البيت ووديعة الله التى أودعها بين أيدينا والتى يستردها إليه متى يشاء ، فإذا كنا نحافظ على « أمانة » بعض البشر إذا استودعونا إياها ، فكيف بأمانة الله حين يأتمننا عليها .. رحم الله زوجى الحبيب وغفر الله لى إذا كنت قد قصرت فى بعض حقه والسلام عليكم ورحمة الله .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من أنبل أحوال الإنسان أن يشعر أحيانا بالرغبة الصادقة فى أن يفيد الآخرين بدروس تجربة الألم الذى عاناه ، لعلهم يتفهمون « الرسالة » ويتفادون الأشواك قبل فوات الأوان .. ورسالتك الحزينة هذه يا سيدتى تقول لنا الكثير والكثير مما يستحق أن نتأمله ونتفكر فيه طويلا ، إذ تقول لنا بأبلغ عبارة : انتهزوا فرصة الأيام فإنها لا تطول ، ولا تفسدوها عليكم وعلى شركاء الحياة ومن حولكم بالشقاق والجفاء والنزاع حول أتفه الأسباب .. واملأوا عيونكم من وجوه الأحباب والأعزاء فلعلكم لاترونهم بعد حين ، وارتفعوا فوق الصغائر والدنايا والسفاسف لتجعلوا من رحلة العمر إبحارا سعيدا فى بحر السلام ، فغدا سوف تصل السفينة إلى مرفئها الأخير ويفترق الركاب .. فإذا كان الأمر كذلك .. ومنذ قديم الزمان ، فلماذا نفسد على أنفسنا غالبا أيام الرحلة القصيرة بالتشاحن والأحزان والإيلام؟.. ولماذا لانرضى بما سمحت لنا به الحياة من أسباب ونستكشف أسرار الهناء فيها ونقنع بها .. ولماذا لا يجعل كل منا من « فرصة » الأيام المتاحة له ذكرى جميلة يتأسى بها الآخرون وترقد قلوبهم حين يسترجعونها بعد المغيب ؟ .. بل ولماذا أيضا لا نستمتع باللحظة الطيبة الراهنة مهما كانت خاطفة ونفسدها أحيانا على أنفسنا بالخوف المرضى من المستقبل المجهول أو بجلد الآخرين بسياط الكدر والتجبر وجرح المشاعر؟!

إن هذا هو بعض ما تقوله لنا رسالتك النبيلة هذه، لكن آفة الإنسان دائماً هى النسيان، ومن أسف أن البعض قد يتعامل مع الحياة فى بعض الأحيان وكأنها رحلة أبدية لانهاية لها، فيتمادى فى الحمق واللجج والإيلام، حتى لتصبح الحياة بدونه أكثر سلاما وأقل عناء بالنسبة للآخرين منها فى حال وجوده بها، ولو توقف الإنسان لحظة وتذكر أنه ليس سوى راكب فى قطار قد يغادره فى أية لحظة لتعفف عن كثير من الدنايا والضغائن ولحاول أن يجعل رفقته لمن حوله صحبة هانئة، وذكرى طيبة ترق لها القلوب حين تستعيدها فى قادم الأيام إذ أى «ذكرى» يتصورها لنفسه من كانت حياته وأيامه وبالا على من حوله وهم عادة أقرب الناس إليه؟



وبماذا «ينوح» عليه من أحال حياتهم ولياليهم إلى جحيم كجحيم السعير إذا حم عليه القضاء بعد حين؟

أما أنت يا سيدتى وزوجك الراحل يرحمه الله.. فلقد فهمتما جيدا حكمة الحياة وسرها المكنون حين تراضيتما على القبول بأقداركما والاستمتاع بكل لحظة من عمر السعادة المتاح لكما، فنعمتما معا بأطيب الأوقات حتى فى لحظات الألم، وتبادلتما أجمل المشاعر، وتعاونتما معا على عناء المرض وآلامه.. وكل منكما يشعر بسعادته فى العطاء للآخر كما ينبغى دائماً أن يسعد بذلك المحبون الصادقون، والأديب الفرنسى جى. دى. موباسان يقول لنا انه حين يتحاب إثنان حبا صادقا ونبيلا، فلن يسعدهما شىء أكثر من المنح والعطاء.. كل منهما للآخر، فيعطى المحب كل شىء لمحبوبه ويشعر بلذة المنح، ويخاطر بكل شىء لإسعاد من يحب.

ولقد أعطاك زوجك الراحل الكثير والكثير من قلبه ومشاعره وحياته، وأعطيته أنت أيضا الكثير والكثير من نفسك وقلبك وعطفك وحنانك، حتى لم تعد تهنأ له أوقاته إلا فى القرب منك، فهل كثير على من كان مثلكما ورضيا بأقدارهما وصدق عزمهما معا على الاستمتاع بكل رشفة من رشفات كأس الأيام، أن ييسر الله سبحانه وتعالى لهما كل ما يريدان، فيحققا لنفسيهما كل ما أراداه وما حلما به قبل أن تعزف موسيقى الحياة أناشيد الختام؟.. وهل تتشككين حقا فى أن شريك حياتك قد غادر الحياة وهو عنك راض، وهو الذى تمناك صادقا زوجة له فى الآخرة كما كنت زوجة طيبة ومخلصة له فى الدنيا؟.. لقد قرأت رأيا لمفتينا الجليل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى، يقول فيه إن أزواج الدنيا يلتقون فى الآخرة إذا كانوا صالحين، فكيف لايلتقى أمثالكما فى دار النعيم وقد كنتما حقا من الصالحين؟

لقد أنزل الله عليك سكينته يا سيدتى امتدادا لتقبلك منذ البداية لأقدارك وتسليمك بها بلا سخط ولا شكوى.. ومن رضى فله الرضا.. ومن سخط فله السخط كما جاء فى مضمون الحديث الشريف.. وفى دفء الذكرى الجميلة.. تجد القلوب الحزينة بعض سلواها وبعض قدرتها على مواجهة تغير الأيام التى لا تستقر على حال واحدة فى كل الأحوال .

وهذا موقف دينى ونفسى وعقلى حكيم وسليم من الحياة يسمح للعاقل وحده بأن يرضى عن كل ما حملته إليه أمواج الحياة، وبأن يتذكر عند اشتداد الأنواء ماسبق أن نعم به فى أوقات الصفاء، فيشكر ربه على كل حال، ويطلب عونه على ما يوجهه من عناء ويذكر نفسه بقول الشاعر العربى البهاء زهير:

لا تعتب على الدهر فى خطب رماك به
إن استرد فقد طالما وهبا
حاسب زمانك فى حالى تصرفه
تجده أعطاك أضعاف الذى سلبا

لكن متى تعامل الإنسان مع الحياة بهذه النظرة الحكيمة الراضية؟.. ومتى تذكر ما أعطاه الدهر، وهو يندب ما سلبه منه.. فلا يذكرن شيئا إلا ما فقد!

لكن هذه قصة أخرى لا مجال لها الآن.. ورسالتك نفسها محاولة مشكورة لتنبيهنا إلى أن «نتذكر» نحن أيضا فى أوقات الضيق، ما سبق أن سخت علينا به الأيام فى حال الرضا فنقبل بأقدارنا فى «حالى تصرفها» وليس فى حال الإقبال والمنح فقط.. فشكرا لك عليها.. ودعاء لك من القلب بأن تعوضك الأيام عن كل ما سلبته من هنائك وأمانك وسعادتك.. والسلام...

١٤

٣٠ قصة حب واقعية

النبع القديم



فكرت فى أن أكتب إليك منذ ثمانى سنوات.. ثم جرفتنى الأحداث وعدلت عن رغبتى إلى أن جد ما يدعونـى لها منذ فترة قصيرة. فأنا جامعية أعمل فى مجال مهنى له طبيعـة عملية وقد نشأت فى أسرة من أسر الطبقة المتـوسطة التى تجعل من الأبناء هدفها الأول وتـوفر لهم مطالب تعليمهم على حساب احتياجـات الأبوين، وكنت كبرى أخوتى الثـلاثة فتخرجنا جميعـا فى كليات عمليـة وحققنـا لأبى الموظف بإحـدى الـوزارات وأمى نـاظـرة المدرسـة الابتدائية أملهما فى الحيـاة، وأسعدناهما لقاء مـا قدما لنا من حـب ورعاية وتضحيـات غاليـة، حتى كان أبى وأمى يـذهبان ويعـودان من عملهما من اليوم الثـالث فى الشهر وليس فى جيب احدهما جنيه واحـد بعد دفع الايجار والكهرباء ومصروف الأبناء ونفقـات دراستهم وديون البقال والجزار إلخ، ورغم ذلك فلقد كان بيتنا دائما من أنظف البيوت ومفتوحا للأهل والأقارب، وكنا نـرتدى أجمل الملابس فى حدود قـدراتنا وكـانت «البركة» تعشش على بيتنا فتمضى به «مستورا» إلى نهايـة الشـهر. والحب يظلله فلم أر أو أسمع فى بيتنا كلمة نـابية ولم نشعر نحن الأبناء الأربعة فى يوم من الأيـام بوجود نزاع أو خـلاف بين أبى وأمى، حتى تمنيت حين اقتربت من سن الشباب أن أتزوج رجـلا طيبا حنونـا مثل أبى وأعيش معه فى وئام حتى نهايـة العمر، وتخرجت فى كليتى وأنـا فى الحاديـة والعشرين من عمـرى وعملت بإحـدى الهيئات، وتعـاملت مع الزملاء بـروح الود والاحترام التى تـربيت عليها فى أسرتى وخـلال شهور من التحـاقى بهذه الهيئة اقترب منى زميل بـالإدارة جمعنا معـا عمل مشترك فى أكثر من مشروع ولقى عملنا نجاحـا وتشجيعا من رؤسائنا، فأصبحـوا يختاروننا معا لإعداد مثل هـذه المشروعات ثقة فى قدراتنا. وأثمـر التعاون المستمر بيننا فى العمل ثماره المتـوقعة، وصارحنى زميلى بإعجـابه ورغبتـه فى الارتباط بى ولم أكتـم عنه فـرحتى وصـارحتـه بأننى قد تمنيتـه لنفسى منذ تلازمنـا فى العمل واكتشفت مميزاته وقـدراته التى أثـارت اعجابى. وكـانت المشكلة الـوحيدة التى دفعتـه للتردد فى طلب يدى هى ضعف إمكـانياته الماديـة وشكه فى أن تقبله أسرتى كما يـوحى له

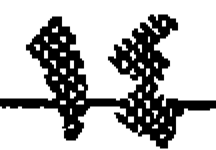
بذلك مظهرى ووظيفة أبى الكبيرة، وطمأنتـه من هذه الناحية، وشجعته على لقاء أبى، فجاء إلى بيتنـا خجولا مترددا، ورحب به أبى ترحيبـا حاراً أشعره بالاطمئنـان والثقة، وحين جـاء موعد الحديث عـن الماديات سـأل زميلى أبى عن طلباتـه منه ففوجىء بأبى يسألـه عما معه من مدخـرات ويؤكد لـه أنه لايريد أن يرهقه بالاستدانة وإنما يقبل منه مامعه ولو كان بضعة جنيهات، لأن «المادة» لاتصنع سعادة وإنما يصنعها التفاهم والوئام بين الطرفين.

وتزوجنا خلال عامين تشاركنا خلالهما فى إعداد متطلبات الزواج وشقة الزوجية، وسعد أبى وأمى وأخوتى بـزواجى وتعاونوا جميعا على تقديم كل مـا فى طـاقتهم لإتمامـه، وبـدأنا حيـاتنـا الـزوجيـة مستبشرين بكل خير. وتبـادلت مع زوجى الحب والإخـلاص، وكشفت لى العشرة المشتركـة عن باقى جـوانب شخصيته، فـوجدتـه إنسانا طيبـاً أقرب إلى طبيعـة الأطفال ويشعر بخوف غامض من المستقبل ويحتاج إلى صدر حنون يشعره بالثقة فى نفسه وفى الحياة، وفسرت ذلـك بطفولته التعيسة التى عاشهـا بين أبوين منفصلين وبالحرمان المادى الـذى عانى منه معظم فترات حياتـه. وتأكدت من ذلك حين فوجئت بـزوجى بعد أيام من الـزواج يصارحنى بأنه لايـريد الانجـاب قبل خمس أو ست سنـوات حتى لا يعـوقنا عن تحقيق نجـاحنـا المهنى، ولكى نـوفـر لأنفسنا وأطفـالنـا مستوى أفضل للحيـاة، وحـاولت اقناعه بخطأ هـذه الفكرة وبحاجتى العاطفيـة لإنجاب طفل فلم أنجح معه، فقد كـان ينهى المناقشة دائما بأنه لايـريد أطفالا قبل أن يوفـر لهم الحياة المناسبة حتى لايعانوا ما عانى منه فى طفولته.

وسلمت لرغبتـه رغم عدم اقتنـاعى بها، ورفضت نصيحة أمى بـالحمل ووضعه أمام الأمر الواقع احتراما لـرغبته وتعففاً عن خداعه، وشجعنى على ذلك أننى وزوجى كنا نمضـى معا ساعات طويلة كل يوم فى العمل، ولا نكاد نفترق بعده، مما أشعرنى بامتلاء حياتى وثرائها.

ولاحظت بسعـادة أن زوجى يـزداد اعتمادا علىَّ فى كل شئـون الحيـاة حتى ليبدو «تـائهاً» لو اضطررت للسفـر لمدة يومين بمناسبة عـائلية. وأنه كان إذا عمل فى مشروع خـاص به فى العمل لا يطمئن إلى نتيجـة عمله إلا إذا أكدت له سلامته وجودته.

ومضت الحياة بنـا فى سعادة ونجاح فى العمل وتحسنت ظروفنـا المالية كثيرا وأكملنا تأثيث شقتنا واشترينـا سيارة صغيرة وترقى زوجى فأصبح



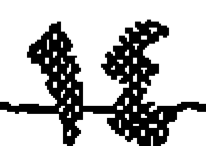
رئيسا لقسم من أقسام العمل. وأصبحت أنا رئيسة لقسم أصغر بغير أن يتوقف التعاون بيننا، وذكرت زوجي بوعده لي بالإنجاب بعد تحسن الأحوال بعد مضي ٥ سنوات على زواجنا فاستمهلني عامين آخرين بالرجاء والتوسلات الحارة، وبعد عامين رجعت للإلحاح عليه بأمنيتي القديمة خاصة وقد قاربت الثلاثين فوافق بلا حماس وحملت فلم يكتمل حملي للأسف وتعرضت لمتاعب صحية انتهت باجهاضي بعد أربعة شهور، وحزنت لذلك حزنا شديدا أما زوجي فلم يكترث لما حدث ولم يحزن، وحاول اقناعي بعدم تكرار المحاولة تجنباً للمشاكل الصحية لكن حلم الأمومة ظل يراودني بإلحاح، وتنقلت بين الأطباء طلبا للعلاج.. وعرفت منهم أنني أعاني من بعض المشاكل في الإنجاب لكن فرصتي ليست ميئوساً منها.. وأنني لو كنت قد بدأت الحمل والعلاج في سن مبكرة لكانت فرصتي أكبر وشعرت حين عرفت بذلك ببعض اللوم لزوجي الذي أصر على تأجيل الإنجاب منذ البداية، لكن حبي له لم يتأثر، بل ازددت تعلقاً وارتباطاً به بعد أن أصبح هو طفلي الوحيد فكررت محاولة الحمل والاجهاض ثلاث مرات وكلها تمت رغم معارضة زوجي، وفي النهاية صارحني بأنه لا يحب الأطفال ولا يريدهم ولا يستطيع تحمل مسئولياتهم وأنه يريدني له وحده كل الوقت، وسلمت بإرادة الله وكففت عن المحاولة بعد تحذير الطبيب لي من خطورتها اخر مرة وتركزت كل آمالي في زوجي وفي عملي وأصبح كل نجاح يحققه في عمله عزاء جديداً لي عن حرماني من الانجاب، ولم يكف زوجي أبداً عن تذكيري بأننا لو كنا قد انشغلنا بمتاعب الحمل وتربية الأطفال من البداية لما كان قد حقق ما حققه من نجاح.. ولما حققت أنا ما حققته من تقدم، وكنت أقنع نفسي بما يقول حتى لا أزيد من حرماني.. وتسليت عن ذلك بعملي ومتابعة عمل زوجي ومساعدته فيه وبأطفال أختي الصغرى وأخي الأوسط، وكان يسعدني كثيراً أن ألمس ما يناله زوجي من احترام في مجال عملنا حيث يشهد له الجميع بالنبوغ والابتكار ويشيدون بقدراتي واجتهادي.

وكان لزوجي قريب شاب من الفرع الثري في أسرته في حين كان زوجي من الفرع الفقير فيها، فجاء إليّ هذا القريب ورجاني أن أوصي زوجي بزوجته الشابة التي عينت حديثا في إدارته لكي يمنحها بعض خبرته في مجال عمله ويرسخ أقدامها في المهنة. وكنت أحترم هذا القريب لما سمعته

من زوجي من أنـه أحب زوجته وهـو طالب معهـا فى الجامعة، وكـانت من أسرة مكافحة للغـاية فأقنع بها والديه بعد عنـاء كبير وتزوجها وتكفل بكل نفقـات الزواج وحـده ونقلها من حيـاة شديـدة التقشف إلى حياة مـريحة وأحبهـا بإخلاص ولم يشعـرهـا ذات يوم بأنـه أفضل منهـا فى شىء رغم الفارق الاجتماعى الكبير بينهما.

فحدثت زوجي بشأنها فلم يتحمس لمسـاعدتها وقال لى عنهـا أنها فتاة انتهـازية كـانت مخطوبـة لشاب مكـافح مثلها وسـاعدهـا كثيراً ماديـاً فى دراستها، ثم رأت فى قـريبه فـرصة أفضل لحياة أرقـى فتخلت عن خطيبها الذى ارتبطت بـه ثلاث سنوات بمجـرد أن شعرت بتمكنها من قلب قـريبه الشاب ولم تتردد ولم تضعـف أمام توسـلات خطيبها السـابق، بل انقلبت عليه تحاربـه وتستثير ضده أهلهـا حتى ارتد عنهـا يائسـاً وكافـراً بالحب والإخـلاص. ووجمت لما سمعـت منـه لكنى رجـوتـه أن يجامل قــريبـه بمسـاعـدتها فى أضيق الحدود. وجـاءنى قــريب زوجي ومعــه زوجتـه ليشكـرانى فترددت بين الترحيب بها والنفور منهـا لما سمعته عنهـا، لكنى لاحظت أن ما قاله زوجي عنها صحيح إلى حد كبير فقريبه هو المتيم بها أما هى فجـامدة المشـاعر ومسيطـرة عليه بشكل واضح ورغم تحفظى معهـا فلقـد راحت تطـاردنى فى الإدارة التـى أعمل بها وتجاملنى فى المنـاسبـات، وفهمت أنها تحاول التعبير عن وفـائهـا لى لأن زوجي قـد قـام بتـدريبهـا فعاملتهـا بأدب وتحفظ فى نفس الوقـت، ومضى عامان اشتريـت خلالهما سيارة صغيرة لتنقـلاتى.. ثم فوجئت ذات صباح بقـريب زوجي يدخل علىّ مكتبي وهو منهار ومهوش الشعر وعينـاه محمرتان، ويروى لى فيما يشبه الهذيان أن زوجته المحبوبة قد هجرت البيت وتركت له طفله الوحيد وتطلب الطـلاق بإصرار، وتعجبت لما قـال وتألمت لحالـه وسألتـه عن سبب هـذه الكارثة فسألنى مذهولا: ألا تعرفين حقـا؟ فأكدت له عدم معرفتى بالسبب فإذا بـه يقـول لى أن زوجتـه قد استـولت على عقل زوجي وأنـه يعتـزم أن يطلقنى ويتزوجها بعد طلاقها منه!

ومـادت بى الأرض وهو يتحـدث معى حتى خيل إلى أننى أراه أكثـر من شـخص واحـد أمامى، ورفضت تصـديقه بل ونهرتـه صارخـة وتركتـه فى مكتبى وهرولت إلى المبنى القـريب الذى تقع فيـه إدارة زوجي ودخلت عليه مكتبه فإذا بى أجـدها جالسة أمـامه تضع ساقا فـوق ساق والسيجارة فى



يدها والابتسامة العريضة تغطي وجهها، وارتعب زوجي حين رآني واصفر وجهه أما هي فقد ظلت محتفظة بهدوئها وثباتها ونهضت بتثاقل وقالت: «عن اذنكم» ثم خرجت بخطوات بطيئة كأن الأمر لا يعنيها فى شيء!

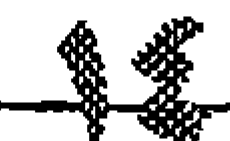
وقبل أن أنطق بكلمة واحدة سمعت زوجي يقول لى بصوت مرتجف: أرجوك.. لا داعى للمشاكل فى العمل.. ولنخرج معا لنتحدث فى الخارج». وخرج معى وركب سيارته التى اشتركنا فى ثمنها فى سنوات البداية وسألته عما سمعته: فإذا به يقول لى وكأنه مغلوب على أمره كأنه شيء لا حيلة له فيه «هذا أمر الله.. ولا يد لى فيه!» سالت دموعى كالمطر وسألته هل قصرت فى حقه فى شيء.. هل شكا شيئا منى.. هل أسأت عشرته أو معاملته فكان يجيب عن كل سؤال بالنفى وهو منكس الرأس.إلى أن سألته هل ينقصه شيء معى؟ فإذا به يجيبنى بلا حياء: نعم.. الأطفال! يا ربى! الأطفال؟ الأطفال الذين قلت أنك تكرههم ولا تتحمل مسئوليتهم وأخرت حملى بهم سبع سنوات جتى ضعفت فرصتى فى الإنجاب؟ سألته عن كل ذلك فلم يجب سوى بالصمت..

وتوسلت إليه ألا يحطم حياتى وقلبى بعد أن بلغت الثامنة والثلاثين وسهرت ليالى طويلة أناقشه وأحاوره بصبر غريب وأذكره بحبنا وكفاحنا وذكرياتنا المشتركة، وأشركت أسرتى معى فى مصيبتى ولأول مرة فتهرب من لقاء أبى.. ووسطت لديه أصدقاءنا ورئيسنا فى العمل وهو رجل طيب وعطوف بلا أية نتيجة، ولامنى شقيقى وشقيقتى على ما تدهورت إليه من استجداء لزوجى لكيلا يتخلى عنى وعرضت عليه حين يئست منه أن يتزوجها وينجب منها بشرط ألا يطلقنى مع ما فى ذلك من قسوة شديدة على نفسى، لكنه رفض حتى هذا العرض منى، وكان مبرره للرفض «أنها» لا تقبل به!

وكان قد هجر البيت ونقل ملابسه ومتعلقاته بعد بداية الأزمة بأيام فسلمت أمرى لله وتم الطلاق بيننا وتنازلت له عن كل حقوقى مقابل أن يتنازل لى عن الشقة التى تشاركنا فى دفع خلوها وحصلت على أجازة من عملى لمدة شهر وسافرت إلى الاسكندرية حيث تزوجت شقيقتى الصغرى وأمضيت أيام الأجازة لا أكاد أغادر الفراش، وعدت للقاهرة فطلب منى أبى العودة للإقامة فى بيت الأسرة لكني رجوته باكية أن يسمح لى بالاستمرار فى شقتى التى عشت فيها ١٣ عاماً حتى لا يتضاعف احساسى بالفشل

والمرارة، وبعد فترة من السقم والمرض رجعت للإقبال على عملى وكان قريب زوجى قد طلق زوجته منذ شهور وتعامل معها بكرم كما كان فى البداية وأعطاها كل حقوقها، فتزوجت من زوجى السابق وحملت وراحت تتفاخر بحملها وتشكو من متاعبه أمام زميلات العمل لينقلن لى حديثها.. فكنت أحس كلما سمعت شيئا من ذلك أن سيخا من الحديد المحمى فى النار يخترق صدرى، وراح زوجى السابق سامحه الله يفعل معها ما كان يفعله معى فلازمها فى العمل والبيت وفى كل مكان.. ويشركها معه فيما يقوم به من أعمال خاصة وأدر عليها المال. وهى «تتوجع» من آلام الحمل وتشترى المصوغات الذهبية وتستعرضها أمام الزملاء حتى وضعت مولودها، وفى وسط هذه الآلام فوجئت بزوجها السابق يحاول الاقتراب منى ثم يعرض علىّ الزواج بإلحاح! ولست أنكر أننى فكرت فى الأمر لعدة أيام. ربما بدافع الرغبة فى الانتقام لكرامتى المجروحة.. وربما بدافع الرغبة فى الانتقام من زوجته الغادرة حين يكون طفلها الذى تخلت عنه فى رعايتى لكنى بعد أن هدأت انفعالاتى بعض الشىء اعتذرت له عن عدم رغبتى فى الزواج لمجرد رد الطعنة أو إيلام من عذبونى وحطموا حياتى سامحهم الله، فهو رغم احترامى له وتقديرى لشخصه يصغرنى بسبع سنوات. لكنه لم ييأس وقابل أبى وشقيقى وحدثانى فى أمره ثم انتهيا إلى موافقتى فى قرارى بعد معارضتهما.

وانطويت على نفسى فى مسكنى.. ورحت أؤدى عملى وأزور أبى وأمى وشقيقاتى، ومن حين لآخر أسمع عن زوجى السابق أخبارا غير طيبة، فلقد أغلقت فى وجهه بيوت جميع أصدقائنا المشتركين الذين كنا نزورهم ويزوروننا والذين استاءوا مما فعل وتعاطفوا معى. وفقد كثيرا من احترامه السابق لدى رؤسائنا فى العمل حتى عدلوا عن ترشيحه لمنصب اشرافى كان هو المرشح الطبيعى لشغله، واختاروا له زميلا أحدث منه فى الخبرة، وكان تفسير رؤسائنا لذلك انه لم يعد نفس الشخص الذى كان جادا وملتزما فى عمله، فلقد قل تركيزه فى العمل وكثرت اجازته ومالت موازينه فأصبح يحشر زوجته فى كل لجنة وكل مشروع له مكافآت خارجية بلا خجل.. حتى أصبحت «الست» هى الرئيسة الفعلية للإدارة التى يرأسها وتشمخ بأنفها على مرءوسيه وكلما حدث شىء من ذلك دعانى رئيسنا الذى حاول التوسط بينى وبينه خلال الأزمة ورواه لى متعجبا مما تدهورت إليه أحوال



زوجي السابق الذى أصبح على حد تعبيره «زوج الهانم» المسلوب الإرادة والكرامة معها.. فلا أعلق بشيء سوى بكلمات الأسف، ثم يسألنى رئيسي: لماذا لا تتزوجين وأنت مازلت شابة وجميلة؟.. فأجيبه بأننى لن أفكر فى الزواج حتى أبرأ من كل جراحي وواصلت حياتي ومن حين لآخر يتقدم لى عريس عن طريق الأهل أو الزملاء فلا أجد فى نفسى الرغبة فى الزواج. ووفقنى الله فى عملى فحققت فيه نجاحا كبيراً ورشحتنى الهيئة للسفر فى منحة تدريبية بالخارج لمدة ثلاثة شهور ، فسافرت وشاهدت دنيا جديدة ومختلفة ، ورجعت إلى عملى بروح جديدة وأكرمنى الله أكثر وأكثر فإذا بالهيئة ترشحنى لنفس المنصب الاشرافى الذى كان زوجي مرشحا له من البداية بعد ترقية شاغله ، فوجدت نفسى رئيسة لزوجي السابق وزوجته وتحرجت من ذلك لكن زوجي السابق قدم لى الحل من حيث لاأدرى .. فقد طلب نقله هو وزوجته من هذا القطاع كله ، ونقلا إلى قطاع آخر وسألت نفسى هل مازلت أحمل له فى قلبى بقايا الحرارة القديمة؟ .. فوجدتنى أجيب عن تساؤلى بالنفى فلقد عوضنى ربى عن غدره بى بالكثير والكثير فترقيت فى عملى وأحاطنى الزملاء والرؤساء بحبهم واحترامهم لعملى وجديتى فيه ، وأنا محبوبة والحمد لله من أسرتى واخوتى وأقاربى ومن الأصدقاء القدامى الذين حافظوا على وفائهم لى .. فى حين انطفأ بريق زوجي السابق وخبا اسمه فى العمل بعد أن كان مرشحا لأعلى المناصب ، أما زوجته فقد أصيبت أطماعها بنكسة شديدة بعد تعثر أحوال زوجي وفقده لكثير من موارده الخارجية .. وسمعت عن كثير من المشاكل جرت بينه وبينها لأسباب مادية فضلا عن أنه لم يعد له أصدقاء سوى أصدقاء زوجته وكلهم يصغرونه بعشر سنوات على الأقل .

وتسألنى بعد كل ذلك لماذا أكتب لك بعد ثمانى سنوات من رغبتى الأولى فأقول لك أننى أردت أن أستشيرك فى أمرى وأنا فى قمة الأزمة قبل طلاق زوجي لى ، وأما فى المرة الثانية فلقد كتبت لك لأقول أن « جوائز السماء » التى تعد بها الصابرين والمهمومين قد هطلت علىّ والحمد لله .. ومنذ أيام فاتحنى رئيسي السابق الذى توسط بينى وبين زوجي للمرة الرابعة فى الزواج منى بعد أن نقل إلى وظيفة مرموقة خارج الهيئة .. ألح علىّ فى قبوله مؤكدا لى أنه يحمل لى حبا واحتراما قديمين ، وأمهلنى ثلاثة أسابيع لأعطيه ردى النهائى لأنه مرشح لوظيفة فى هيئة دولية سيسافر إليها خلال

شهور. كما أنه أرمل منذ ست سنوات وله ولد وحيد فى سن الشباب ، وعلى وشك الزواج . وقد زارنى هذا الشاب وحده ليتعرف علىّ ويرجونى الانضمام لأسرته ، فانفتح قلبى له منذ رأيته .

وسألت نفسى .. ماذا يمنعنى حقا من أن أكون أما لهذا الشاب المهذب الخجول ، فأساعده فى شئون زواجه وأشير عليه بما يفعله فى شئون الحياة والزواج ؟ .. أننى احترم أباه كثيرا وأستريح لشخصه العطوف وأحمل له فى قلبى تقديرا كبيرا وأشعر أننى على استعداد لأن أحبه فى أية لحظة ، وهو رجل جاد وفاضل فماذا يمنعنى من الارتباط به وبابنه ؟

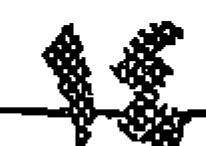
لقد وعدته بالرد عليه فى نهاية المهلة فإذا بزوجى السابق يظهر فجأة فى مكتبى من تحت الأرض ويبكى ويطلب منى الصفح والمغفرة ويقسم لى أنه لم يسعد بيوم واحد من أيام حياته مع « الأخرى » وأنه مازال يحبنى كما كان قبل هذه « الغمة » ويريد أن يرجع كل شىء لأصله ونعيش معا كما كنا ويطلق زوجته المتسلطة ويرد لى اعتبارى أمام الجميع ! .. فسخرت من رغبته وأفهمته استحالة أن تمحو الأيام من قلبى مرارة مافعله بى ، لكنه لم ييأس منى وراح يطاردنى فى كل مكان ويتصل بى ويقسم لى بالدموع أن الحب كفيل بإزالة كل المرارات وأننا نستطيع أن ننهل من نبع الحب القديم كما كنا نفعل فى حياتنا السابقة، ويطالبنى فقط بالنسيان وستزول كل الآلام فى لحظات !

إن قرارى شبه واضح فى ذهنى لكنى أريد أن أتأكد من صحته منك لثقتى فى سداد رأيك كما أريد أن أسالك أيضا هل يمكن حقا أن تكون لى مع زوجى السابق حياة سعيدة غارقة فى نبع الحب القديم وبلا أية مرارات كما يقول لى ؟

وهل يمكن حقا أن أنسى له ما فعله بى وأرجع إلى التعامل معه بنفس الصفاء القديم الذى كان بيننا ؟ أم أنها مجرد مغالطات جديدة من مغالطاته يريد أن يبرر بها رغبته فى العودة لى بعد أن تفاقمت الخلافات بينه وبين زوجته وأصبحت مشاكلهما شائعة فى بيوت الأصدقاء ، ومنها اتهامها له بكراهية ابنهما وعدم الاهتمام به ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

قرارك شبه الواضح فى ذهنك هو القرار الصائب الوحيد فى مثل ظروفك هذه . إذ أنه حتى لو كان زوجك السابق صادقا فى ندمه على زواجه من



الأخرى ، فهذا شأنه الذى ينبغى أن يتحمل تبعاته وحده ويتعامل معه بعيدا عنك وعن حياتك بما يلائمه من قرارات واختيارات وليروِّض زوجته على ما يشاء ويرغب أو فليتحمل حياته معها من أجل «الطفل» الذى برر به غدره بك وتشكو الآن زوجته من كراهيته له وأكاد أصدقها فى ذلك لأن «الطفل الكبير» قد يضيق بالطفل الصغير إذا زاحمه فى شىء أو اضطره للتضحية من أجله ببعض رغباته.

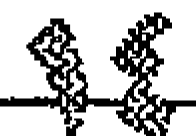
وزوجك السابق طفل كبير حقا ياسيدتى.. وقد كنت أنت الأم والزوجة والصديقة له حتى نصبت الأخرى شباكها حوله طموحا الى حياة أرقى، تماما كما فعلت مع زوجها السابق الذى تعلقت به لينقذها من ظروفها الاجتماعية المتدنية وتخلت من أجل ذلك عن خطيبها الأول بلا رحمة. ان بعض الناس كما يقول لنا شكسبير العظيم فى مسرحيته «يوليوس قيصر» يطأون درجات السلم لكي ترفعهم الى أعلى فما أن يصلوا الى غايتهم حتى يشعروا بازدراء للدرج الذى رفعهم إليها، وهذه السيدة من ذلك النوع من البشر فيما يبدو، وقد أصيب طموحها الاجتماعى والمادى بطعنة مؤثرة حين تدهورت أحوال زوجك السابق وتأخر أو توقف صعوده الى الدرجات العلا، فانتابها ما ينتاب أمثالها من ضيق مفاجىء بالسلم الخائب العاجز عن بلوغ الغاية!.. وأيا كان شأنه معها أو شأنها معه فهذا أمر يخصهما وحدهما لا شأن لك به، وما يطلبه منك زوجك السابق ليس حلا لمشكلة حياتك وآلامها وإنما هو حل لمشكلة حياته التى صنعها لنفسه بضعفه أمام سحر تلك المرأة وانقياده لها وخيانته لعهد الوفاء فلا تنخدعى بما يحاول ايهامك به من أن «الحب» وحده كفيل بمحو المرارات و إزالة البقع شديدة السواد من الثوب الأبيض، أو من انك سوف تنهلين معه من نبع الحب القديم وتعيشان معا مرة أخرى فى سلام ووئام. فهذا النبع قد جف ماؤه منذ زمن طويل ولم تبق به سوى حصى الغدر والآلام، ولو كانت به بقية من مائه العذب لما استشرتنى فى أمرك من البداية ولضعفت أمام دموع من لم يرحم دمعك وضعفك وتذللك إليه من قبل، كما انك لم تعودى نفس الانسانة التى كانت حين كان ماء النبع جاريا نقيا، ولا هو أيضا نفس الرجل الذى كان، فالانسان يتغير ويتغير مزاجه النفسى من مرحلة الى مرحلة من العمر، وإذا كان قد أتيح للانسان أن يبدأ حياة جديدة بعد مرحلة من العناء والآلام، فلماذا يبدأها بمجاهدة النفس لنسيان الذكريات

المؤلمة وهو أمر غير مؤكد النجاح، وفي مقدوره أن يبدأ صفحة أخرى خالية من كل الشوائب والأدران؟

ياسيدتي ان الثوب الجديد ناصع البياض أكثر نقاء ووعدا بالصفاء من الثوب الملوث الذي سنجاهد جهاد الأبطال لازالة آثار الأدران القديمة منه وقد ننجح في ذلك وقد لا ننجح، وفي مثل ظروفك فلأن نبدأ بناء بيت جديد لم تخالطه المرارة والأحقاد أيسر وأكثر ضمانا للنجاح والاستمرار من أن نحاول تجديد بيت متهالك نخر سوس الغدر والخيانة في وعائه.

كما انني في مثل ظروفك هذه من أنصار مذهب فيلسوف الصين العظيم كونفوشيوس الذي يقول: قابل الرحمة بالرحمة وقابل القسوة بالعدل!

والعدل في قصتك هو ألا تتحملي تبعات جناية زوجك عليك مرتين، مرة حين انقاد وراء مشاعره واهوائه، ومرة أخرى حين تكشفت له تجربته معها عن التعاسة والشقاء. فالشرفاء يتحملون تبعات أفعالهم ولا يطالبون الضحايا بمشاركتهم نتائجها وتقديم المزيد من التضحيات لهم، والقرار الحكيم الذي ينبغي لك أن تتخذيه هو قبول الارتباط بذلك الرجل الفاضل الأمين الذي تشعرين باستعدادك للتجاوب العاطفي معه في أية لحظة والذي تعدك الحياة معه بالأمان والاستقرار والعطاء النفسي والتعويض المناسب لأمومتك المحرومة بلا مرارات سابقة أو لاحقة، وبلا مخاوف من تقلب المشاعر أو ذيول المشاكل التي ستطارد زوجك السابق من جانب زوجته إذا ماتزوجتما مرة أخرى، كما انها ليست «خصما» يستهان به، وإنما هي «مدربة» على السيطرة والاستحواذ على من تشاء لتحقيق رغباتها، وليس مستبعدا أن تستعيد تأثيرها على زوجك السابق في أية لحظة ولو لمجرد رفضها الهزيمة أمامك.. فلماذا المخاطرة وفي مقدورنا أن ننال السعادة والأمان؟.. لقد خرج زوجك من قلبك ومن حياتك الى الأبد، لكنك وقد يكون لديك بعض العذر في ذلك تستشعرين فقط بعض الرضا عن النفس ولا أقول الشماتة حين ترين «ثأرك» فيمن ظلمك وتجبر عليك ماثلا أمامك في ضعفه وهوانه وتذلله إليك للعودة للحياة معه. وربما راودتك ولو للحظات خاطرة أن تقبلي عرضه لمجرد أن تثأري لنفسك من الأخرى التي دمرت حياتك بلا رحمة وتشعري بنشوة الانتصار عليها بعد مرارة الهزيمة.. لكن الانسان لا يستطيع أن يدع لرغبته في الانتقام أن تحدد له مسار حياته وخطواته فيها على حساب



سعادته وسلامه النفسى.. فنشوة الثأر لحظة أو لحظات.. أما الزواج فحياة متصلة لا تنجح ولا تدوم لمثل هذا الدافع السلبى وحده.

ولابأس بأن نستسلم لبعض هذه المشاعر السلبية للحظات تجاه من بادرونا بالإيلام والايذاء بلا ذنب جنيناه لأننا فى النهاية بشر ولسنا ملائكة محلقة فى السماء ولكن بشرط ألا تتعدى هذه المشاعر حدود الخواطر العابرة إذا عجزنا عن الترفع عنها..

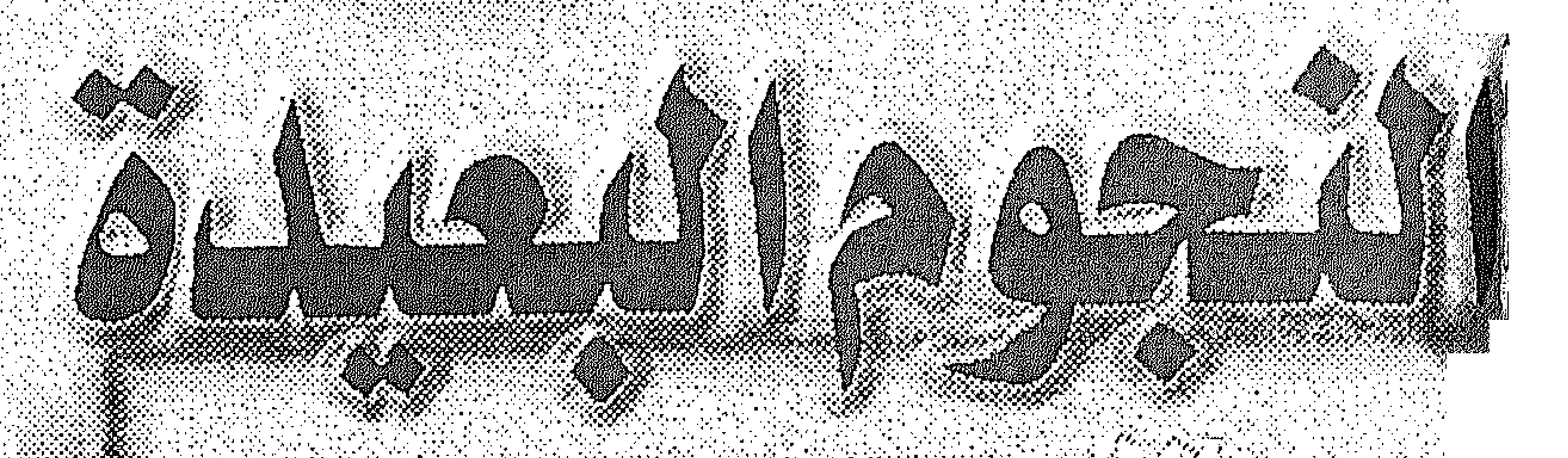
وربما كان من الأفضل أن نتسامى بها عن الشماتة فى الآخرين الى شكر العادل الذى لا تميل موازينه الذى يجزى الصابرين بصبرهم ويجزى المعتدين بعدوانهم سبحانه.. وأى جزاء ياسيدتى وأى جوائز وأى تعويض أكثر مما منحتك عدالة السماء خلال تلك السنوات العجاف؟.. لقد واصلت صعودك فى عملك حتى نلت فيه من النجاح مالم تكونى تحلمين بمثله، وربما لم يكن مؤكدا أن تصلى إليه لو لم تعترض حياتك هذه المحنة المؤلمة التى أطلقت شرارة ابداعك فى عملك..

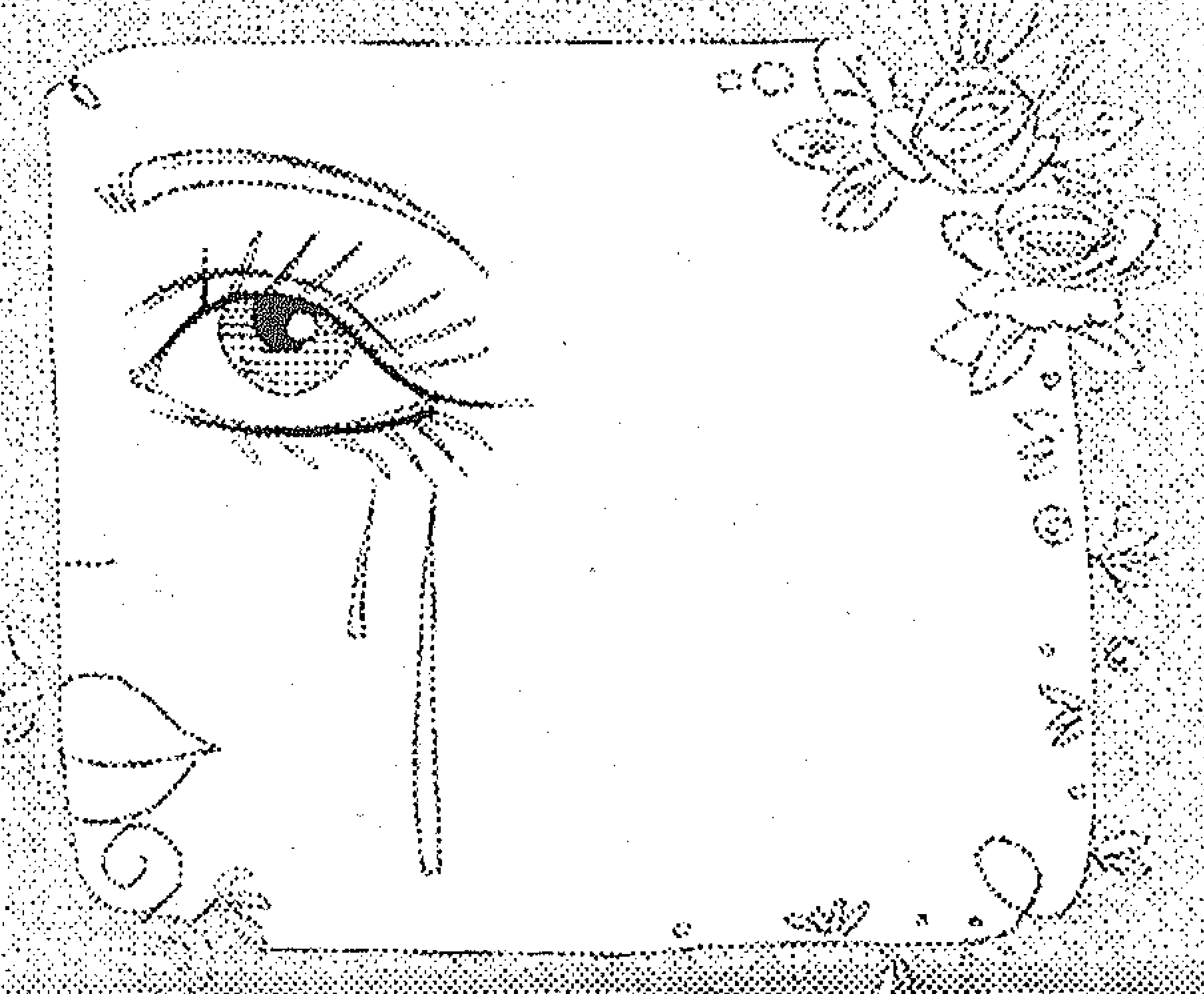
كما انك تحظين بحب الجميع واحترامهم فى حين خبا نجم ظالمك واهتزت صورته فى أعين الآخرين.. «وما ربك بظلام للعبيد».. صدق الله العظيم..

لقد تعففت من قبل عن أن تستسلمى للرغبة فى الانتقام من ظالميك ولم تدعى لها تحديد مسار حياتك حين رفضت الارتباط بزوج الأخرى السابق لأنه لم يكن يصلح لك، بنفس هذه الحكمة والاحترام للنفس سوف تتعاملين مع نفس هذه الرغبة وترفضين عرض زوجك السابق.. وتبدأين حياة جديدة واعدة بالخير والأمان مع الزوج العطوف الذى ينتظرك ومع «الابن» الشاب الذى يحتاج لمشورتك وعطفك وهو يبدأ أولى خطواته على طريق الحياة بإذن الله..

١٥

٣٠ قصة حب واقعية





اكتب إليك رسالتى هـذه بعد أن قرأت رسـالة « أخطاء الحيـاة » للشاب المتزوج الذى أحب خلال دراسته الجامعية زميلته لعدة سنوات وطلبت منه أن يتقدم إليها، فـاعتذر بضعف امكانياته الماديـة، فخطبت لغيره وتزوجته وأنجبت منـه، وتحسنت ظـروفه الماديـة بعـد سنوات وتـزوج من أخـرى وحملت زوجته، ثم التقى بحبيبتـه السابقـة مصادفة فى الطـريق بعد عشر سنوات فتجددت مشـاعره تجاهها لكنه لم يخن زوجتـه معها.. وكتب إليك يستشيرك ويشكو من فتـور مشاعره تجاه زوجتـه.. ويسألك هل يصحح الخطأ القديم وينفصل عن زوجته ويطالب الأخـرى بالانفصال عن زوجها ويحققـان الأمل القديم فى الارتبـاط؟.. ولقد أعجبنى ردك الحكيم عليـه بأن أخطاء الحيـاة لا ينبغى أن يدفع ثمنها الأبريـاء الذين لم يرتكبـوها وهم فى قصته أطفال فتاة القلب القـديمة وزوجها وزوجة كاتب الرسـالة ومولوده المنتظر.. وأريد أن أحيى كاتب الـرسالة لعدم خيانته لـزوجته لكيلا يظلمها كما ظلمنى زوجى، فأنا سيدة شابة ومنـذ خطبت لزوجى وأنا لا أشعر من جانبـه بأى حب لى ولا بأية لهفة على لقائى ومضت شهـور الخطبة بغير أن أشعر بجمال هـذه الفترة فى حياة كل فتاة بسبـب فتور مشاعـره أو برودة بمعنى أصح، ومع ذلـك فلم أفقـد الأمل فى تحسن الأحـوال بعـد الـزواج، وتزوجنا بعد فترة خطبة قصيرة، وفوجئت به بعد الزواج دائم الانتقاد لى فى كل شىء تقـريبـاً من مـلابسى الى تسريحة شعـرى إلى كل تصرف أو فعل أقدم عليه.. وتحملت انتقـاداته صابرة مع أنى على درجـة عالية من الجمال وعلى خلق طيب والحمد لله ومتـدينة وحلوة المعاشرة ومن أسرة طيبـة وكان يتمنانى من هـو أفضل منه من شبـاب العائلة ومن الجيران لكنهـا القسمة والنصيب، وقد تألمت غاية الألم حين قـال لى ذات يوم ونحن فى عامنا الأول من الزواج انـه يفضل الموت على أن يعيش معى.. وحين راح يشعرنـى بأنه لم يجد لـدىَّ أى شىء يسعد بـه.. ورغم ذلك فقد تحملت آلامى النفسيـة فى صمت ودون شكـوى ولم أفكر فى طلب الطلاق لأنـه لم يكن قد مضـى عام

على زواجي إذ تخيلت ماذا سيقول الناس عني لو طلقت وأنا مازلت عروسا فقررت الاحتمال ومـواصلة الـرحلة. وتحملت صـابرة صـد زوجي وبرود مشاعره تجاهي وانتقاداته الدائمة وانتقاصه لى فى كل شيء.. وصممت على أن ينجح زواجي رغم المؤشرات غير المطمئنـة ومنهـا طلبـه منـى تأجيل الانجاب خلال العام الأول، وقلت لزوجى ذات يوم: ماذا تريد منى أن أفعله لترضى عنى وتجد لدى مـا يسعدك؟.. وأكدت له أننى سأفعل كل مـا يطلبه منى بلا ممانعة لكى يشعر بالـرضا ويتقبلنى كزوجة وشريكة حياة، فطلب منى أن أصفف شعـرى بطريقـة معينـة، وأن أرتدى مـوديلات معينـة من الملابس بألوان محددة، واستجبت لكل رغبـاته وصففت شعرى بالطـريقة التى أرادها.. واشتريت مـلابس جديدة من نفس الألـوان ونفس الموديلات التى حددهـا لى وارتديتها.. ومع ذلك فلم أشعـر بسعادته ولا بتجـاوبه، ثم ذهبت بعد ذلك بأيـام مع إحدى قريبات زوجي إلى محل أقمشـة فتصادف وجـود فتاة بـه تشترى قماشا، وأشـارت إليهـا قريبـة زوجي وروت لى أن زوجي كـان يحب هذه الفتـاة جـدا قبل زواجـه منى لدرجـة انـه يبكى من اجلها، لكنه لم يتزوجها ولا تعلم سبب ذلك، ونظرت إليها باهتمام فوجدتها فتاة عـادية جدا فى كل شيء، وليس فيهـا شيء مميز أو مثير لكننى لاحظت فقط أنها تصفف شعرهـا بالطريقـة التى طلبها منى زوجي، وانها تـرتدى ملابسهـا من نفس الألوان والموديلات التـى اختارها لى، وتأملت لـذلك جدا وأدركت أنها الحاجز الغامض الذى قـام بين زوجي وبينى منذ زواجنا وبلا ذنب لى. ورغم ذلك فقـد تجاهلت الأمر كأنى لم أعلم بـه وصممت على نجاح زواجي كراهيـة للفشل والطلاق والعـودة الخائبة لبيت أسرتى، وبعـد عام حملت فى طفلى الأول، وأنجبتـه وتـركـز أملى فى أن ينسى زوجي أحـلامـه القديمة بعـد أن أصبح أبا وتتغير مشاعره تجاهى، فمضت السنـوات تباعا حتى بلغت ١٢ عاماً وأصبح لدينا ثـلاثة أطفال، وبدأ زوجي يلين بالفعل فى معاملتـه لى بعض الشيء وبـدأ يغير من معاملتـه لى ويشعرنى بـوجودى، وسعـدت بذلك جـدا، فلم تمض أيام حتى كنت أرتب بعض أوراقـه فإذا بى أعثر بينهـا على خطاب بخط يده إلى فتاتـه القديمة علمت منه أن زوجهـا قد مات وأنها أصبحت أرملـة وصعقت بأنه يبثها فيـه حبه ويؤكـد لها أنها قد

عاشت معه فى خياله ووجدانه طوال سنوات زواجه، وانها هى حبيبة العمر وليس أحد قبلها ولا بعدها، وفهمت من الخطاب أيضا أنه قد رجع إلى لقائها وانه يذهب إليها فى مقر عملها ويتقابلان فى العمل وخارج العمل.

وصدمت صدمة العمر وأنا أقرأ هذا الخطاب اللعين.. وتساءلت وأين أنا من كل هذا الحب الذى هانت معه عليه حياتى وكرامتى وسعادة أطفاله الثلاثة وعشرتى الطيبة له وأنا التى عاملته دائماً بالحسنى ورعيت الله فى معاملتى له طوال اثنى عشر عاما؟.. لقد انهرت عصبيا ونفسيا لأيام طويلة وأصبحت لا أستطيع النوم إلا بالمهدئات حتى دعوت الله عليه وعليها من كل قلبى بألا يجمع الله شملهما وألا يهنأ ببعضهما البعض أبدا!

والآن.. أريد أن أسألك يا سيدى وأنا أحترق من الغيظ والقهر والألم.. ما هو «الشىء» الذى سيجده عندها ولم يجده عندى؟.. وهل لديه يقين بأنه إذا تزوجها فسوف يسعد بها حقا أم أن مرآة الحب عمياء كما يقولون؟.. وسوف يكتشف بعد زواجه منها انها لا تستحق كل هذه التضحية ويلمس عيوبها التى لم يكن يراها من قبل بسبب حبه لها؟..

لقد فعلت المستحيل لارضائه يا سيدى .. فلم يزده ذلك إلا بعدا عنى واهانة لكرامتى.. وقد علمت انه يريد الزواج منها، وأنا الآن فى انتظار تنفيذ حكم الاعدام فى حياتى معه، وحياة أطفالى واستقرارهم، ولقد كرهته وكرهت نفسى بسبب احساسى بأننى إنسانة مكروهة من أقرب الناس لى مع أننى محبوبة من جميع زملائى، كما أشعر بالرغبة الشديدة فى الانتقام من زوجى الذى انصرف عنى ولم يرع حرمة الرباط المقدس الذى يجمعنا، حتى كاد يدفعنى لأن أخونه مع أى انسان أسمع منه كلمة اعجاب أو أرى منه نظرة حب، لولا أن منعنى خوفى من الله من ذلك.

فهل الزوج الذى يخون زوجته له عقاب من الله على خيانته؟.. وهل صبرى على ما فعله معى زوجى له أجر من الله لى فى السماء؟

وبماذ تنصحنى أن أفعل.. هل أحافظ على ما تبقى من كرامتى وأطلب منه الطلاق خاصة وقد كرهته ولم أحافظ على حياتى معه فى الأيام الأخيرة إلا من أجل أطفالنا؟.. أم تنصحنى بأن أدافع عن حياتى وحياة أولادى ومستقبلهم واستقرارهم للنهاية وبكل ما أستطيع من سلاح؟

اننى أنصح كل من أحب فتاة بهذا الشكل وحالت الظروف بينه وبين أن يتزوجها ألا يتـزوج أبدا بعدها وبأن يقضى بقية حياتـه يعيش على ذكراها بدلا من أن يظلم معه بنات الناس.. والسلام عليكم ورحمة الله.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

يبدو أن زوجك يـاسيدتى من هؤلاء الـرجال الـذين تنطبق عليهم كلمة المفكر الفـرنسى جان جاك روســو التى تقول: «قد يهجـر الرجل كل شىء من أجل المرأة التى يحبها»!

وقد يفعل المستحيل من أجل المرأة التى يرغب فى اجتـذابها إليه، لكنه لن يحرك ساكنا من أجل المرأة التى يعلم عن يقين انها تحبه!

والحق أن بعض الـرجال وبعض النســاء أيضا من هـذا النوع الجاحـد المتبطر الزاهـد فى مشاعر من يحبونـه والذى يسعى دائماً وراء من لا يملك أى دليل على أنهم يبادلونه نفس مشاعره.

إنها آفة قـديمة عند بعض البشر هــى آفة الزهـد فى الموجود والتطلع إلى المفقود، وأنت يـا سيدتى «الموجود» الـذى كان ينبغى لزوجك أن يسعـد به ويشكر ربه عليه ويرضى عن حسن معـاشرتك له وسرعة تلبيتك لكل رغباته حتى ولو حولك بها إلى «مسخ» تقلـدين به فتاة أحلامــه القديمة.. لكن متى عرف الإنسان قيمــة ما بين يديه قبل أن يفقده إلى الأبد؟.. ومتى سجـد لربه شكرا وعرفانا على ما أنعم عليه به من نعم يتطلع غيره بحسرة إلى بعضها؟

لقد تناسى زوجك فى تطلعـه إلى «الفردوس المفقود» ـ الـذى حالت بينه وبينه من قبل ظروف الحياة ـ حقوق زوجته المخلصة عليه وحقوق أطفاله الثلاثـة على أبيهم ومسئوليتـه الخطيرة عن استقرارهم ونشـأتهم فى حياة طبيعيـة بين أبـوين متحـابين أو على الأقـل متراحمين إن عـزت المشــاعـر العاطفية بينهما.

فماذا نستطيع أن نقول لمن يطوح بأمان أطفالـه الثلاثة جريا وراء حلم قديم من أحلام الشباب؟

لقد أخطأت يا سيدتى فى قـراءة المؤشرات غير المطمئنة لعلاقة زوجك بك ابتداء من فترة الخطبة، إلى العام الأول من الزواج الذى أصر فيه على تأجيل الانجاب، وراح ينتقد كل شىء فيك ويعلنك بأنه لم يجد لـديك ما يسعد به!

ولقد كـان من الأفضل لك أن تتخـذى معه وقفـة حاسمـة فى فترة الخطبة، فيستشعـر مسئوليتـه عن أشعـارك بإقبالـه عليك أو ينسحب من حيـاتك بلا خسائر ولا آلام.

لكنك للأسف لم تفعلى ذلك فى الوقت المناسب، ودفعك خوفك من الفشل والعودة الخائبـة إلى بيت أسرتك إلى أن تحاولى بكل السبل انجاح زواجك إلى حـد الاستجـداء الذليل لمشـاعـره الفـاتـرة وأغراه ذلـك بالاستهـانـة بك وبمشاعـرك بدلا من أن يقـدر لك حرصك عليـه ورغبتك فيه، كما قـد يفعل بعض الجاحـدين. وحين بـدأ يلين فى معـاملتـه لك ويشعـرك بعض الشىء بوجـودك. وقعت الواقعة واكتشفت انـه انما يرتب للزواج من فتـاة الأحلام القـديمة بعـد أن زالت الحواجز بينهما.. وفى ظنى انـه لم يلن لك تعبيرا عن مشاعر عاطفية طـارئة تجاهك أو استشعـاراً لصدق ما تبذلين من محاولات مضنية لارضـائه، وانما أغلب ظنى انه قد بدأ يلين لك فى نفس الـوقت الذى تجددت فيه علاقته بفتاته القديمة، كرد فعل تلقائى لدى الرجل حين يخون زوجته فيدفعه احسـاسه بالذنب تجاهها إلى محاولة «تعـويضـها» عن هذه الخيانـة ببعض اللمسات العاطفيـة المزيفة.. أو ببعض الرقـة المصطنعة أو ببعض الكرم المادى الطارىء معها، كأنما يـرغب إلى جانب تعويضـها، فى أن تستنيم إلى ثقتها فيه ليمضى فيما هو سادر فيه نهايته.

ولقد قلت مرارا أن السعادة الحقيقيـة التى لاينغصها وخز الضمير.. أو الخوف من انتقـام السماء استجـابــة لنـداء المظلـومين لايمكن أن تتحقق للانسـان أبدا إذا كان لسعـادته ضحايـا من الأبريـاء، لهذا فليس لدى من جديد أضيفـه إلى حديثى إلى زوجك، لكنى أقول له فقـط. إن النجوم البعيدة فى السمـاء تبدو لنـا دائما جميلة ولامعـة وشاعـرية، لكننـا إذا اقتربنا منهـا أدركنا انها كتل من الغـازات شديـدة الحرارة والخالية من أى جمال والتى يقتلنا لهيبهـا، وكذلك أشيـاء كثيرة فى الحياة يصورهـا لنا خيـال الحرمان واحة شـاعرية من السعـادة، فإذا أدركناها قـد نجد فيها مـا يلسعنا بلهب الندم والتعاسة .

وأنت تسـألينى يا سيدتى عن «الشىء» الـذى يجده لدى المرأة الأخرى ولايجده لديـك، وأجيبك بأنه غـالبا هذا «الخيـال الجميل» الذى لم تتـح له

الظروف أن يتحقق أو يختبر فى أرض الواقع، ولو أدركه الآن لربما سعد معه ولربما شقى به، وكلا الاحتمالين متساويان تماما، لكن أصحاب الضمائر ومن يحتملون مسئولياتهم الانسانية عمن يرتبطون بهم، لا يقدمون على هذه المخاطرة أبدا اشفاقا على أعزائهم من أن يدفعوا ثمنها فى كلا الحالين.

ونحن فى النهاية لانعرف الآخرين جيدا إلا إذا اقتربنا منهم وعاشرناهم فى السخط والرضا.. وفى الصحة والمرض.. وفى السعادة والشقاء.. الخ. لهذا فان احتمال أن نفجع فيمن يبدون لنا على البعد كالنجوم اللامعة.. كبير وقائم دائما.. والإنسان يتغير دائماً من مرحلة إلى مرحلة من العمر ولايمكن أن يكون هو نفسه بمزاجه النفسى وطباعه بعد ١٥ أو ٢٠ عاما من الفراق معه.

لكن زوجك مازال يعيش أسيرا لخياله وأمنياته القديمة، ولو كان قد عزف عن الزواج فى الفترة الماضية، وعاش على ذكرى فتاته إلى أن زالت بينهما الحواجز، لما لامه أحد على سعيه للارتباط بها الآن.. لكن المؤكد انه ليس من العدل ولا من قبيل تحمل الانسان لمسئوليته الانسانية عن أعزائه بشرف وشجاعة أن يضحى بسعادتهم وأمانهم جميعا طلبا لسعادة محتملة مهما كانت مغرياتها.

إن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول لنا ما معناه انه إذا نظر أحدكم إلى امرأة ووقعت من نفسه فليرجع إلى أهله أى إلى زوجته فإن عندها مثل الذى عند الأخرى.

ولا شك أن عندك الكثير والكثير مما كان ينبغى أن يسعد به زوجك ويرضى عنه.. لكن ماذا نقول فى جحود الإنسان وسعيه الدءوب وراء المفقود فى بعض الأحيان؟

ان خيانة الرجل لزوجته باللمس والاتصال المحظور، اثم كبير يحاسبه الله عليه أشد الحساب، وصبرك على زوجك ومحاولاتك المستميتة للحفاظ عليه وانقاذ سعادة أطفالك فضل عظيم يجزيك عنه ربك أيضا أعظم الجزاء، لهذا فإن نصيحتى لك هى ألا تستسلمى سريعا أمام تلك الأخرى وتنهزمى أمامها بلا مقاومة.. وأن تحاولى وللمرة الأخيرة انقاذ زواجك

وأمان أطفالك إبـراء لذمتك من أية مسئولية عن انهيـار هذه الحياة وتمزق أطفالك بين أبويهما ومن رأيى أن تواجهـى زوجك بما علمت وأن تؤكدى له بما لايـدع لـه أى مجال للشك أو لـلاعتماد على ضـعفك العـاطفي السـابق تجاهه، انك لن تقبلى بـزواجه من الأخـرى مع استمرار حيـاتك معه.. فإذا أراد أن يتطلع إلى فـردوسه المفقود فليضـع فى يقينه أولا ان هـذا الفردوس سيكون له ضـحايـا أبرياء هم أطفاله.. وليجر حسابـاته على هذا الأسـاس.. وليراجع نفسـه طـويـلا قبل الاقدام على مخاطـرة غير مأمـونـة العـواقب للجميع.

ولنر بعـد ذلك ماذا سيفعل حين يعـرف عن يقين ان أحلامـه لن تتحقق بنفس اليسر الـذى تـوهمه، ولنـأمل أن ينتصر داخلـه احسـاس الأب، بمسئوليته عن أطفـاله واحساس الزوج بمسئوليتـه عن زوجته التى طالما غمرتـه بفيض حبها واخلاصهـا له.. ولا تقلقى كثيرا لكراهيتك المؤقتـة له.. فهى ستـزول بالضرورة حين يختار بينـك وبينها فيكـون الاختيار الأخير لصالحك وسينتقض حبه فى قلبه من جديد إذا فعل.. وستنجو حياتكما مما يترصدها من أخطار بإذن الله.

١٦

٣٠ قصة حب واقعية

أخطاء الحياة



أنا شاب فى الثالثة والثلاثين من عمرى .. نشأت فى أسرة عادية وعشت حياة هادئة.. وتعرفت وأنا فى نهاية المرحلة الثانوية بطالبة فى غاية الأخلاق والجمال، وتحاببنا وتعاهدنا على الزواج بمجرد أن أنهى دراستى الجامعية.. والتحقت فى العام التالى بإحدى الكليات النظرية ولحقت هى بى بعد عام آخر فى نفس الكلية.. واستمرت علاقتنا طاهرة وبريئة فكنا نتقابل فى ساحة الكلية وفى الأماكن العامة.. ونترقب اليوم الذى اتخرج فيه وأصبح قادرا على التقدم لأسرتها.. لكننى تعثرت للأسف فى دراستى الجامعية.. ورسبت أكثر من مرة فطال مشوار التعليم بالنسبة لى وتضافرت معه ظروفى المادية الصعبة، فيئست من أمل اجتماع الشمل بيننا وطلبت من فتاتى أن نقطع علاقتنا ، وأن تقبل من يتقدمون إليها ممن يقدرون على أعباء الزواج. ورفضت هى ذلك بإصرار وقاومت طويلا انهيار الحلم لكننى ألححت عليها بأن تستسلم للأمر الواقع، وألا تبدد سنوات العمر الثمينة فى انتظار حلم صعب التحقق، واستسلمت أخيرا لذلك وقطعنا علاقتنا، ونحن مازلنا فى المرحلة الجامعية، وتخرجت فتاتى قبلى بعام وتقدم لها شاب ممتاز وفى مركز مرموق، ورحبت به أسرتها وتمت خطبتها له، وبعد أسابيع من الخطبة أرسلت إلى تبلغنى باستعدادها لفسخ الخطبة إذا كنت على استعداد للزواج منها ولو بعد حين، لكننى أشفقت عليها من أن تربط مصيرها بمصير شاب مكافح مثلى لن يقدر على تكاليف الزواج قبل سنوات، وأرسلت إليها أرفض عرضها الكريم واعتذر عن عدم قبوله وأرجو لها السعادة فى حياتها الجديدة. وصدمت هى بردى القاطع.. فمضت فى مشروع زواجها، وانقطعت أخبارها نهائيا عنى، ومضت عدة سنوات وجدت خلالها عملا فى أحدى الشركات الكبيرة وتحسنت أحوالى المادية وبدأ الأهل يحثوننى على الزواج ورشحت لى إحدى قريباتى فتاة رأتها مناسبة لى من كل الوجوه، ورأيتها أنا فلم اقتنع بها. أو بمعنى اصح لم أجد فى نفسى ما يرغبنى فيها أو ينفرنى منها، وترددت فى القبول، لكن الجميع

شجعوني على الارتباط بها وحثوني عليه فمضيت فى اجراءات الخطبة والزواج بلا حماس وتمت الخطبة فى موعدها وتحدد موعد القران، وشغلت بإعداد مسكن الزوجية وشغلت خطيبتى بإعداد مستلزمات الزواج وقبل موعد الزفاف بثلاثة أيام ذهبت إلى وسط المدينة لبعض الأعمال، فإذا بى أجد نفسى فجأة أمام فتاتى القديمة التى لم أرها منذ عشر سنوات كاملة وهى تدفع أمامها عربة أطفال بها طفلة صغيرة وتنظر إلى بدهشة وابتهاج.. وأنا أنظر إليها مذهولا وعاجزا عن الكلام!

واندفعت إليها محييا فى شوق وحنين وحيتنى هى بحرارة شديدة ودفعت العربة أمامها ببطء كأنها تدعونى للسير إلى جوارها، وسرت معها منفعلا ومبتهجا وتبادلنا الحديث والسؤال عن أحوال كل منا.. وعلمت منها أنها ليست سعيدة مع زوجها، وصارحتها بأننى ساتزوج بعد ثلاثة أيام لكنى لست مقتنعا بزوجتى المقبلة ولا أدرى لماذا أمضى فى مشروع زواجى منها.. كأننى مرغم عليه!

وطال حديثنا لأكثر من ساعتين وأنا لا أشعر بما حولى، وهى كذلك وجاءت لحظة الفراق التى لامفر منها فطلبت أن تعرف عنوانى وتليفونى، لكنى فضلت ألا تعرفهما أشفاقا عليها من المتاعب التى قد تهددها، إذا تجدد الأمل فى اللقاء داخلنا مرة أخرى وأحنت هى رأسها موافقة ومؤمنة على ذلك.. وودع كل منا الآخر داعيا له بالسعادة فى حياته.

وبدأت حياتى الزوجية مع زوجتى محاولا أن أنفض من رأسى صورة فتاتى القديمة وشخصيتها الدافئة الجذابة، فمضت شهور الزواج الأولى فى فتور ولم أشعر بوجود زوجتى فى حياتى ولاحظت عليها ضعف شخصيتها وافتقادها للباقة الحديث مع الآخرين.. وطلبت منها أن تغير من نفسها وطبعها ورفضت الاستجابة لذلك فإذا بخيال فتاتى القديمة يطل على من جديد ويشاركنى حياتى كل يوم فأغيب معه فى لحظات حلم جميل.. ثم أفيق منه على وجه زوجتى وصوتها وحديثها الذى لا يمنعنى وإذا بى أجد نفسى أفكر فى الاتصال بفتاتى القديمة كل لحظة، ثم أتراجع لأنى لاأريد لها العناء ولا أريد أن أخون زوجتى التى تنتظر مولودنا الأول الآن.

إن خيال فتاتى.. يلاحقنى كل يوم.. ويحثنى على ألا أتوقف أمام أى شىء سوى سعادتى.. فأنفصل عن زوجتى وأتحمل تبعات ذلك النفسية والعائلية والاجتماعية رغم صعوبتها وأطالب فتاتى بألا تكون أقل شجاعة منى وبأن تنفصل عن زوجها وتتحمل تبعات ذلك مهما كانت قاسية عليها ثم نحقق معا الحلم القديم الذى اعترضته ظروف المادية وتعثرى فى الدراسة من قبل. ويستغرقنى هذا الحلم طويلا فأضيق بزوجتى وبكل ما تفعل.. ثم أنظر إلى بطنها المنتفخ بالمولود المنتظر.. فأتراجع وأرد نفسى إلى دنيا الواقع، فبماذا تنصحنى ياسيدى.. هل أقدم على الخطوة المؤلمة وأهدم أسرتى وأحكم على مولودى بأن يجىء للحياة فى بيت لا يعيش فيه أبوه.. أم أمتثل لأقدارى وأواصل حياتى مع زوجتى قابلا بها.

لقد أخطأت خطأ عمرى حين رددت بالرفض على رسالة فتاتى القديمة حين أرسلت لى تبلغنى باستعدادها لأن تفسخ خطبتها إذا كنت مستعدا للتقدم لها.. ومازلت نادما على هذا الرفض.. فهل ترى فى الإمكان تصحيح هذا الخطأ القديم الآن ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أخطاء الحياة لا ينبغى أن تصحح على حساب الأبرياء الذين لم يرتكبوها، ولا بارتكاب أخطاء جديدة أشد هولا وحين يتأخر التصحيح عن موعده المناسب فإن الاقدام عليه فى الوقت الضائع، يصبح خطأ آخر يضاف إلى أخطائنا القديمة ولا ينتقص منها.

فإذاكنت قد ندمت الآن وبعد عشر سنوات على أنك قد رفضت يد فتاتك الممدودة إليك تحثك على أن تخطو الخطوة الصحيحة فى اتجاه تحقيق الحلم القديم، فليس من النبل أن تقبل بأن يدفع ثمن هذا الخطأ الآن أطفال فتاتك القديمة، وأبوهم وأسرتها وأسرة زوجها، وتدفعه أيضا زوجتك وأسرتها ومولودك المنتظر.

وإنما ينبغى أن يتحمل الإنسان ثمن أفعاله بشجاعة ويقبل تبعاتها بشرف. ونحن فى النهاية لانعيش فى جزيرة مهجورة وإنما بين أهل وبشر وأبناء يتأثرون سلبا وإيجابا باختياراتنا فى الحياة، ولا نستطيع حتى ولو راودنا هذا الحلم الجميل فى الخيال أن «ننسى كل شىء ولا نتوقف إلا

امام سعادتنا الشخصية فقط» كما تقول فى رسالتك، وبغض النظر عما سوف يترتب عليها من شقاء للآخرين، ذلك أن هذه هى الأنانية.. الكريهة.. والفردية البشعة التى تنجم عنهما معظم الكوارث العائلية والاجتماعية ولقد تخليت أنت عن حلمك القديم باختيارك ولم تتمسك به ولم تكافح من أجله، وإنما استسلمت سريعا للانهزامية.. والشك فى قدرتك على تحقيق الأحلام ففقدتها، باستسلامك وإحباطك، وليس بسبب الظروف المادية وحدها، بدليل أنه لم تمض عدة سنوات إلا وكانت أحوالك المادية قد تحسنت وراح الجميع يحثونك على الزواج.

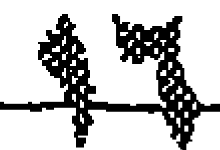
وكثير من أحلام الإنسان فى السعادة تبدد فى الهواء ليس لعجزه عن تحقيقها.. وإنما لشكه فى قدرته على أن يحققها لنفسه بالكفاح الجاد والتمسك بالأمل حتى النهاية .

وفى رواية «السيمفونية الريفية» للأديب الفرنسى أندريه جيد قال الأب الكاهن بطل الرواية: « ما أكثر الأشياء التى كان من السهل الاقدام عليها لولا تلك الاعتراضات التى يتفنن الإنسان أحيانا فى ابتكارها لنفسه، وكثيرا ما حيل بيننا وبين هذا العمل أو ذاك لأننا قد سمعنا صوتا من داخلنا أو من المحيطين بنا يقول لنا : إننا لن نقدر عليه ، ولو لم نسمع هذا الصوت ونستجيب له لكشفت لنا التجربة عن قدرتنا على نيله والفوز به » !

وأنت قد سمعت هذا «الصوت» المحبط من داخلك ففت فى عضدك.. وأقعدك عن الكفاح لتحقيق حلمك والتمسك به، مع انه لم يكن مستحيلا، فما معنى أن تتعذب به الآن وقد قامت بينك وبينه سدود حقيقية كالجبال !

إننا نندم غالبا على ما يفوتنا من فرص الحياة ونتصور فيها دائما «السعادة المثلى» التى حرمتنا منها الأقدار، مع أننا لانستطيع أن نجزم بأننا كنا سنسعد بها لو كانت الحياة قد سمحت لنا بها ولم تسمح لنا ظروف الحياة بأن نختبر هذه «السعادة المثلى» ونتحقق منها لأنها لم تتح لنا من الأصل .

ولأننا فى النهاية إنما نلتقى بأقدارنا المقدورة علينا شئنا ذلك أم أبينا. ولأن سعادتنا وشقاءنا فى الحياة هما أيضا من قدر الله مهما تحسبنا لهما أو اجتهدنا .



فهون عليك يا صديقى ولا تستسلم لأحلام اليقظة الجميلة التى تعلم أنت قبل غيرك أن دونك ودونها أهوال ترتج لها أركان عدة أسر وأنك لاتقدر على الاقدام عليها إلا فى دنيا الخيال الحالمة الجميلة. ونصيحتى لك أن تدع فتاتك لحياتها وزوجها وأطفالها وأن تنفض صورتها من خيالك لكى لاتظل حائلا بينك وبين قبولك لزوجتك والتوائم معها، فهذا الخيال نفسه هو الذى يظلم زوجتك ويضعها دائما موضع المقارنة الظالمة مع أخرى لا ترى أنت منها سوى طيفها الشاعرى القديم ولم تعش معها حياة مشتركة ولم تختبرها فى كل أحوالها الدنيوية وحين تنجح فى إبعاد هذه الصورة عن خيالك فسوف تعترف لزوجتك بحقها العادل فى أن تكون امرأة أخرى مختلفة عن فتاتك القديمة فى شخصيتها وملكاتها وقدرتها وسوف تكتشف فيها من المزايا ما يرغبك فيها.. وما ترضى عنه وعن حياتك معها وتدع من أجله تلك الأحلام القديمة راقدة فى سلام فى خزينة الذكريات.

١٧

٣٠ قصة حب واقعية

ينبوع الحنان



اكتب لك هذه الرسالـة بعد أن نامت ابنتى الصغيرة التى تبلغ من العمر ٦ سنـوات وقصتى ياسيـدى تبدأ منـذ سبع سنوات عنـدما تـزوجت من إنسـان رائع أحببته بكل قـواى وأحبنى وأغرقنى فى فيض مشـاعره وحبـه لكن أسرتى عارضت هذا الزواج لأسبـاب تتعلق بها ولم أتوقف عندها قليلا أو كثيرا، وهـذه الأسبـاب هى أن وسطـه الاجتماعى أقل قليـلا من وسطى ولأن أسرتى أرادت لى الـزواج من شخص آخـر كـان قـد تقـدم لأسرتى واقتنعت به لأنـه كما يقولـون «مخربش» ويعرف كيف يتعـامل مع الحياة والناس، فى حين أن من أحببته كـان يبدو فى نظرهم إنسانا منطـويا خجولا لايعرف كيف يتعـامل مع الدنيا ولـن ينجح فى أن يحمينى منها.. لكنى رغم ذلك تمسكت بـه ووجدت فيـه ضـالتى.. فهو رقيق الشعـور.. طيب سريع التنازل عن حقه لكيلايغضب أحد منـه حريص على الناس حتى لو أساؤوا إليه.. كنت أحس انـه جاء إلى هذه الـدنيا خطأ.. فهـو لايعرف أى شىء عن طبائع البشر، ويصدق كل كلمة تقـال له.. ويتعامل مع الناس دائما بحسن نية، وأشعر انه حين يعود من عمله إلى البيت كأنه يريد أن يحتمى بصدرى من الفظائع التى يـراها فى مقـر عمله أو فى الشـارع.. فكنت أضمه إلى حتى يخلد إلى السكينة.. فينفجر ينبوع الحنان من قلبه وكان ذا قدرة عجيبة على العطاء والحنـان.. وكنت أنظر إلى عينيـه فأجدهما تطـوفان فى المكـان بحثا عنى.. ولا تطمئنـان إلا حين تستقـران على فأبتسم لـه.. فيبتسم ويشع سعـادة وحنانـا.. وانقطعت عن أسرتى ـــ بكل أسف ـ بسبب زواجى منـه وأسرتى ليست أمى وأبى فلقـد توفيـا رحمهما الله، لكنهـا مكونـة من عمى وزوجتـه وقـد ربيـانى وكـانـا رحيمين بـى لكنهما اعترضـا على زواجى وقاطعانى بسببه فاضطررت لذلك راغمة.

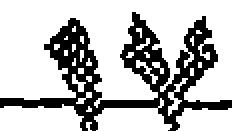
ومضت حياتى سعيدة، وانجبت طفلة اكتملت بها سعادتنا.. ولن أنسى مـا حييت حنانـه وأشفاقـه على خلال فترة الحمل.. وكـان يتصور أن ايـة حـركة أؤديها خـلال الحمل ترهقنى وتـؤذى الجنين.. فيطلب منى ألا أفعل

أى شىء.. فأضحك وأهون عليه الأمر فيزداد عطفا وحبا.. أما لحظة الولادة فكانت لحظة تاريخية فى حياتنـا معا.. ولن أنسى ما حييت رعبه حين جاءت لحظة الولادة فقد اشفقت عليه وهو يـرتجف خوفا وهلعا علىّ ويتمتم بآيات من القـرآن الكـريـم وهـو ينتفض فطلبت من الطبيب أن يخرجـه من المستشفى كلـه ومن أحد الأصـدقاء أن يصحبه إلى البيـت وألا يعيده إلىّ إلا بعد أن يـأذن الله، وحدث ذلك بالفعـل وجاء زوجى المحبوب ليحمـل طفلته ودموعه تهطل كالمطر حبا واشفاقا.

وعشنـا أيـاما سعيـدة سعيـدة.. بعـد أن أنضمت إلى عش حبنـا ابنتى الوحيدة.. ولم يتغير شىء فى حيـاتنا سوى أن زوجى قد أفـرغ فائض حبه وحنانـه على ابنته، وأن ابنتى قد شاركتنـى فى حبه وتعلقت به تعلقا شـديدا كأنها «اكتشفت» بإلهام من الله نـوعيتـه وانـه نـوع من البشر خلق ليحبـه الآخرون حتى ولو اختلفوا معه .

لم يكن يـزعجنى شىء إلا انى فقط كنت أريـد له ألا يلتصق بى تمامـا لكى يستطيع مواجهة الحياة إذا فصلت بيننا الظروف لأى سبب ولأى فترة زمنية بسبب السفر أو المرض الخ.. وكان يحاول جاهدا ارضاء لى لكنه كان يعـود إلى مرة أخـرى فأقول فى نفسى «آه يـاطفلى الصغير.. إنك لاتريـد أن تبعد عنى» وأضمه إلى صدرى.

ومضت الحيـاة جميلـة نشترك فى كل شىء.. ونعمـل كل شىء سـويـا ونشترى أشياءنا معـا.. ونذهب إلى العمل معا ونعود معـا.. ونزور الأقارب عند الضرورة معا.. يشترى لى ملابسى.. وأشترى له ملابسه، إلى أن جاءته فرصـة للسفر إلى الخارج فى رحلة عمل تـابعة لعملـه.. فكاد يرفضهـا لأنه لا يريد أن يبعد عنى أو عن ابنتـه لمدة أسابيع.. فضغطت عليه لكى يقبلها.. ولكى لا تضيع هذه الفرصة ومضيت أشجعـه واعد له حقيبة السفر وأكتب له قائمة المشتريات التى أريدهـا لى وله ولابنتى.. وهو خائف.. يرتعد وكلما اقترب يوم السفـر يزداد هـزالا ورعبا كأنـه مقدم على خـوض معركـة وأنا أطمئنـه وأداعبه وأقـول له أنى سأعـد الأيام على عـودته.. ثم جـاء موعـد السفر فقبلنى وضمنـى إليه طويـلا وهو يبكى وقبل ابنتـه وضمها طـويلا إليه.. ثم خرج ودموعى تودعـه، وسافر للخارج، وشاءت إرادة الله ألا يعود



فقد توفى هناك فى حادث سيارة كان مع زملائه فى طريقه لزيارة أحد المصانع فوقع حادث للسيارة فأصيب كل ركاب السيارة بإصابات عادية أما هو فقد اختاره الله إلى جواره ولا راد لقضائه. فهذه إرادة الله، وبدأت متاعبى وآلامى عادت أسرتى للاتصال بى من جديد ورعايتى.. لكنى وجدت الحياة تختلف تماما عن الحياة التى عشتها طوال السنوات السبع الأخيرة. ولن أقول أنى حزنت عليه حزنا شديدا لأنى واثقة انك تحس بذلك الآن.. لكنى سأقول لك اننى كنت ومازلت أعيش مع طيفه حتى الآن كأنى فى انتظاره أن يعود إلى من رحلته.. أذهب إلى عملى فأتلفت حولى.. باحثة عن عينيه اللتين كانتا تطوفان حولى باستمرار.. وأعود إلى بيتى فأتخيله قلقا ينتظر عودتى ولايطمئن ولا يستقر ألا حين يرانى..أمضى الامسيات أمام جهاز التليفزيون فأغيب عما أراه وأرى وجهه الرقيق المتعب دائما كأنه يحمل فوق صدره خطايا البشر ينظر إلى بإشفاق كأنه يقول لى «أنا زعلان منك لأنك تهملين صحتك» فتغرورق عيناى بالدموع واحتضن ابنتى كأنى احتمى بها مما اعانيه، وهنا تبدأ مشكلتى وهى المشكلة الازلية.. فابنتى تبكى كل يوم وكل ليلة لأن «بابا» لم يعد من السفر حتى الآن.. وأنا حائرة لاأعرف ماذا أصنع لها.. وقد جربت كل الحيل بلا فائدة.. وفكرت أن أكتب إليها رسائل باسمه من الخارج كما رأيت فى بعض الأفلام لكن لاشىء ينسيها أباها. وقد ضاعف من الامى أن ظهر فى حياتى الشخص «المخربش» الذى تقدم لخطبتى قبل زواجى وراح يطاردنى بإصرار وعناد لأتزوجه مرة أخرى تساندده أسرتى التى عدت إليها، ورفضته مرارا.. فازداد ضغطا على.. وكلما فكرت مجرد تفكير أن أقبل عرضه أجد نفسى تفزع من فكرة أن «أحل» هذا الانسان الشرير «المخربش» محل ذلك الانسان الملائكى الرقيق خاصة انه يطلب طلبا قاسيا هو أن اترك طفلتى لحضانة عمى وزوجته لأتفرغ له، وهو لايريد أن يتركنى فى حالى فيذهب إلى مقر عملى ويشيع إنه خطيبى وحين أرفض عروضه.. يلاحقنى بالاقاويل لأسرتى ويطلب منها الضغط على لكى تتوقف هذه الأقاويل عنى.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أفعل.. ولا أجد من أبثه همومى.. وأفكر أحيانا فى الاستسلام لهذا الوحش وقبول الزواج منه.. لكن كيف استطيع

أن أتخلى عن جوهرة حياتى وهى ابنتى.. وأفكر أن أعيش لابنتى وأن أكيِّف حياتى على الوحدة بعد أن ذقت السعادة انهارا مع زوجى الراحل.. لكن هذا الشخص الذى تتجمع فيه كل شرور الدنيا لايدعنى لحالى.. فماذا أفعل وبم تنصحنى.. هل أقبله زوجا.. وأضحى بابنتى .

□ **ولكاتبة هذا الرسالة أقول لها باختصار :**

لاتستسلمى لرغبة هذا الشخص فى الزواج منك وابعاد ابنتك عنك.. لأنك لاتحبينه ومازلت تعيشين حبك لزوجك الحالم الذى مر بالحياة كأنه طيف جميل عبر بها وترك وراءه أجمل الذكرى.. ولن تجدى السعادة بعد هذا الزوج الحالم مع زوج «مخربش» يمثل بالنسبة لك النقيض فى كل شىء ومن الواضح أن نمط هذه الشخصية لايلائمك لأنك أنت أيضا شخصية رومانسية حالمة.. وسوف تموتين كل يوم ألف مرة مع مثل هذا الزوج الفظ. كما انك بالتأكيد لن تجدى السعادة مع زوج لا يقدر مشاعرك كأم ويشترط أساسا ابعاد طفلتك عنك فى مثل هذه الظروف المأساوية التى تعيشينها.. ولو سألتنى الرأى فإنى انصحك بألا تتزوجى ممن تكرهين.. لأن مثل هذا الزواج محكوم عليه بالفشل مقدما، وانصحك بأن تنتظرى قليلا إلى أن تلتئم جراحك ثم تزوجى بعد ذلك من تجدين فى نفسك الميل والارتياح له ولن تجدى مثل هذا الميل الا تجاه شخص لاتتنافر طباعه تنافرا تاما مع زوجك الراحل.. وعموما فإن الزمن يصنع الاعاجيب ولسوف تعبرين هذه المحنة بسلام إن شاء الله وستجدين من يضمد جراحك ويعيد السعادة إلى عشك القديم بشرط الا تتعجلى الأمور، أما ابنتك المسكينة.. فضاعفى من رعايتك وحنانك لها.. ولا مفر من أن «تسربى» إليها الحقيقة المرة على جرعات وبالتدريج إلى أن تعرف الواقع المؤلم ثم تنسى بعد حين بقلوب الأطفال ما يدمى قلوب الكبار.. والله معك ومعها فى أيامكما القادمة.

١٨

٣٠ قصة حب واقعية

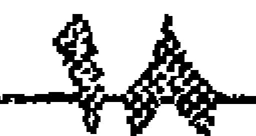
ستار الختام

لا أعرف من أين أبدأ قصتي .. فأنا سيدة شهدت حياتي أحداثا عديدة مؤثرة ، فرحلت أمي عن الحياة وأنا فى العاشرة من عمرى، ولحق بها أبى بعد عامين من رحيلها، وكنت وحيدة أبوى، فحصل أعمامى على حقهم الشرعى فى تركة أبى، وورثت أنا نصف التركة، مع ميراثى عن والدتى وبالاضافة إلى قطعة أرض زراعية ومنزل كان أبى قد اشتراهما باسمى ليؤمن مستقبلى، وبسبب ميراثى اللعين هذا تصارع أعمامى بعد وفاة أبى على الفوز بى زوجة لأحد أبنائهم وأنا مازلت صبية مراهقة فى الرابعة عشرة من عمرها بدعوى الحرص على ألا تخرج الأملاك عن دائرة الأسرة إلى رجل غريب، ولم تكن لى أية رغبة فى أحد من أبناء أعمامى الذين كنت لا أشعر معهم جميعا إلا باحساس الأخت تجاه اخوتها، لكنى كنت على الناحية الأخرى فتاة يتيمة وضعيفة ولا سند لى، فلم أصمد طويلا للضغوط، ورسا المزاد فى النهاية على أقوى الأعمام نفوذا وتأثيرا، وكان هو الوصى الشرعى على، فسحب أوراقى من المدرسة رغما عنى، وأعلن خطبتى لابنه الذى يكبرنى بـ ١٤ عاما ومضى فى إجراءات الزواج بلا أدنى اعتبار لمشاعرى ولا لموقفى الرافض لابنه وتم عقد القران والزفاف وأنا ساخطة على ابن عمى الذى قبل الزواج بى رغم مصارحتى له بحقيقة مشاعرى تجاهه، ورغم أننى قد خلعت الدبلة ورددتها إليه أكثر من مرة.

ومضت الحياة بى رغم ذلك معه وأنجبت منه ولدين وبنتين كرست لهم كل حياتى وتحملت العبء الأكبر لتربيتهم ، وتواءمت مع حياتى، وحققت رغبتى القديمة فى استكمال تعليمى فواصلت التعليم وأنا زوجة وأم لأربعة أبناء، وعملت أيضا بإحدى المؤسسات وتدرجت فى العمل حتى أصبح مرتبى كبيرا، ثم مرض زوجى مرضا شديدا منذ سنوات ورحل عن الحياة بعد ثلاثين عاما من الزواج كان الأبناء خلالها قد تخرجوا فى الجامعة، وتزوجت الابنتان واستقرت كل منهما فى بيتها، وسافر الابن الأكبرللعمل فى الخارج، وتزوج الابن الأصغر واستقل بحياته عنى، فوجدت نفسى فى

النهاية وحيدة أعيش فى فراغ قاتل وأنا فى أواخر الأربعينات من العمر.. ولا شىء يسليني عن بعض وحدتى سوى عملى، أما الأبناء فلا يأتون إلا للزيارة، وإذا جاءت إحدى الابنتين أشعرتنى بأن وراءها الكثير من المشاغل التى تنتظرها،حتى أصبحت شديدة الحساسية ومتضاربة المشاعر تجاههم، فإذا زارنى الأبناء شعرت بالرغبة فى أن أكون وحدى، وإذا غابوا عنى اشتدت على الوحدة وشعرت بوحشة قاتلة.

وفى هذه الظروف نقل إلى مقر عملى مدير جديد كان يعمل فى فرع آخر من فروع المؤسسة، وكنت أعرفه عن بعد كزميل قديم، وقد أدى لى من قبل عدة خدمات سابقة شكرته عليها فى حينها، وشعرت تجاهه بالاحترام والتقدير، وكنت كلما التقيت به بعد ذلك صدفة وعلى فترات متباعدة، لمحت فى عينيه نظرة الاعجاب التى لا تخطئها امرأة أبدا فى عينى رجل، ثم نقل بعد ذلك إلى مقر عملى وأصبح مديرى الذى تفرض طبيعة العمل أن أتعامل معه باستمرار، فتكرر لقاؤنا فى العمل ووجدتنى أستريح إلى حديثه.. وأستشف من جديد نظرة الاعجاب القديمة فى عينيه، فازداد اقترابنا، وكان زوجى قد رحل عن الحياة منذ عامين وأن فى التاسعة والأربعين من العمر فوجدت مشاعرى الحبيسة على مر السنين تستيقظ فى أعماقى وأشعر بالحب الجارف تجاه هذا الرجل، وبادلنى هو مشاعرى بأكبر منها، وكان يمر فى حياته الزوجية بمشاكل لا حصر لها ويحكى لى عنها كثيرا وأحكى له عن متاعبى مع الوحدة.. ومع العمر الذى ضاع فى الحرمان الصامت ثم طلق زوجته للمرة الثالثة، وكان قد طلقها من قبل مرتين لأسباب ومشاكل سابقة بينهما ولا علاقة لى بها، أما الطلاق الأخير فلقد كنت ـ أعترف بذلك ـ طرفا فيه أو أحد أسبابه مع أن زواجه لم يشهد قط الاستقرار قبل أن أعرفه، وفوجىء أبنائى بما طرأ على من تغيرات وانزعجوا لها بشدة، وتضاعف انزعاجهم حين صارحتهم برغبتى فى الزواج من هذا الرجل وانهالوا علىّ باللوم والاهانات والتهديدات بمقاطعتى إذا فعلت، فتحديت كل شىء وضحيت بكل شىء وتم الزواج.. ومنعنى أبنائى من استقبال زوجى فى البيت أو اتخاذه عشا لزواجنا مع أنه باسمى وقد ورثته عن أبى لأنه البيت الذى عاش فيه أبوهم، وكان زوجى قد ترك هو الآخر مسكنه



لزوجته وأولاده وسجله باسمها، وراح يتنقل بين مساكن اخوته، ولا أجرؤ على استقباله فى بيتى الذى أملكه خوفا عليه من أبنائى ومن تهديداتهم المتكررة فكنا نتلاقى فى الخارج وارتباطنا العاطفى يتعمق ويقوى فى وجه التحديات وعشنا فترة قلق شديدة لمست فيها من عقوق أبنائى الذين كرست حياتى لهم الكثير، وتحملت منهم الكثير، فمن حين لآخر يؤلموننى بالكلام القارس تارة، والمقاطعة تارة أخرى، ويسألوننى متهكمين: هل يستحق هذا الرجل هذه التضحية بنا من أجله؟! فلا أجد ما أجيبهم به، ولا أجرؤ على أن أقول لهم اننى أحبه بكل جوارحى ولا أستطيع الحياة بدونه لحظة وأعجب لنفسى كيف أحب بهذه القوة وأنا فى الخمسين من عمرى.

وظل الزواج قائما وأنا أعيش وحيدة فى بيتى.. وهو يتنقل بين مساكن اخوته إلى أن وجد أخيرا شقة مناسبة وتركت بيتى للاقامة معه فيها، واشترينا الضروريات فقط ونقلت للشقة بعض الأشياء الأساسية، وعشنا معا أحلى أيام العمر، وهو يعوضنى عن عقوق أبنائى وتجريحهم لى، ومساوماتهم لى على أن أكتب لهم أملاكى حتى لا يشاركهم زوجى فى ميراثهم عنى وأنا أخفف عنه متاعبه وأغمره بمشاعرى الفياضة وانتهى الأمر بأن كتبت لأبنائى بالفعل ميراثى عن والدهم، أما ميراثى وأملاكى عن أبى وأمى فلم أعطهم منه شيئا، ولم أجد مبررا لذلك لأنه ليس من العدل ألا يكون بينه وبين أبنائى الذين أضعت عمرى عليهم إلا هذه العلاقة المادية!

المهم اننى عشت مع زوجى وحبيبى أياما فى غاية السعادة والهناء، وقدمنى زوجى لأهله فرحبوا بى وقالوا لى ان الله قد عوضه بى عما عاناه فى حياته الزوجية التى لم تعرف الوفاق قط.

واستمر هذا الحلم الجميل فترة ساحرة من العمر ثم بدأت أشعر بتغير طارىء فى طباع زوجى وبأنه مهموم بشىء غامض لا أعرفه، فسألته عما به وأجابنى بأنه إجهاد العمل ولا شىء غير ذلك، إلى أن ألححت عليه بالسؤال أكثر من مرة فدمعت عيناه وصارحنى بأن أبناءه يضغطون عليه بشدة لكى يعيد أمهم إلى عصمته وانه حائر فيما يفعل بهذا الصدد،

وصدمت صدمة شديدة لأنه كان أكد لى من قبل انه طلقها ثلاث مرات، وعرفت ان أبناءه أبلغوه انها سوف تتزوج رجلا آخر سوف يقيم معها فى الشقة التى كتبها باسمها، وأن هذا الأمر قد جرح مشاعره كثيرا وأثار ضيقه أن تتزوج أم أبنائه من غيره فى نفس المسكن الذى وضع فيه شقاء عمره كله، ولم أصدق فى الحقيقة أن مطلقته سوف تتزوج وأدركت انها مجرد وسيلة ضغط عليه من أبنائه ومع ذلك فقد تأثر بها جدا وبدأ يحدثنى عن رغبته فى إعادة زوجته ناسيا ما أكده من قبل من انه طلقها ثلاث مرات!

ومادت الأرض بى وأنا أسمعه يقول ذلك وتساءلت متألمة: وماذا عني؟

فإذا به يجيبنى بأن شرطها الأول لكى ترجع إليه هو طلاقى وأن تمسك قسيمة الطلاق بيدها وتتأكد من صحتها!

أما شرطها الثانى فهو أن تقيم فى نفس الشقة التى نعيش فيها وتغلق مسكنها القديم زيادة فى الانتقام مني والتشفى!

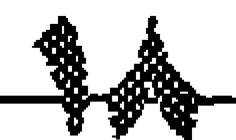
ولك أن تتخيل ما أحسست به من حزن وألم.. وأنا أرى زوجى الذى ضحيت من أجله بأبنائى يضحى بى من أجل زوجته السابقة وأبنائه.

ورجعت حزينة ومهزومة للإقامة فى بيتى الذى هجرته من قبل من أجله وتركت له حرية الاختيار.. ولم يعد زوجى زوجته إلى عصمته بعد لأنه لم يطلقنى حتى الآن ولم يشأ أن يطلقنى إلا إذا طلبت منه ذلك حتى لا يشعر بالذنب تجاهى كما يقول، وحين طالبته بالطلاق لكى تقبل مطلقته الرجوع إليه ويرجع للحياة معها ومع أبنائه، فوجئت به يطالبنى بالتنازل عن حقوقى بحجة اننى أنا التى أريد الطلاق، فما رأيك فى كل ذلك يا سيدى وهل تراني كنت أعيش وهما كبيرا مع هذا الرجل.. أو لم يكن من حقى أن أفعل ما فعلت فى مثل عمرى هذا.. ولمن أشكو همى وفجيعتى؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

حين تجيء النهاية فإنه من الأكرم لنا ألا نطيل فيها وألا نحاول افتعال الأسباب للمماطلة فى انهائها بلا طائل!

فالنهاية الحاسمة هى دائما أفضل ختام لكل تجربة إنسانية استوفت فصولها ولم يبق لإنهائها إلا إسدال الستار عليها. ذلك انه إذا كانت



التجربة خاطئة ومؤلمة من الأصل فإن الإسراع بوضع النهاية لها يقلل من مضاعفاتها وآلامها ويعيننا على تحجيم خسائرها والاستفادة الأسرع بدروسها، أما إذا كانت التجربة صحيحة ـ لكنها واجهت ظروفا غير مواتية فرضت عليها الفشل والانتهاء ـ فإن الاسراع أيضا بإنهائها يحفظ لنا ذكرياتها الطيبة.. ورموزها الجميلة بغير أن تشوهها مساومات وخلافات الختام فى النهايات غير الحاسمة.

وهكذا ففى كل الظروف فإن النهاية الحاسمة الكريمة بلا مراوغة ولا مماطلة ولا توقف أمام الصغائر هى أنبل النهايات دائما وأكثرها ترفعا عن الدنايا، أما النهايات المفتوحة للجدل والعناد وتفاقم الخلافات هى دائما أسوأ ختام لكل تجربة إنسانية سعيدة كانت أم شقية.

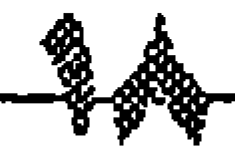
وتجربتك مع هذا الرجل كانت تجربة خاطئة من البداية يا سيدتى، لأن الأرملة أو المطلقة فى مثل ظروفك حين ترغب فى الزواج فإنه ينبغى لها أن تتزوج بمن يسهم زواجها منه فى حل مشاكل حياتها وتلبية كل احتياجاتها الانسانية، وليس بمن لا يعدها الزواج منه إلا بمزيد من هذه المشاكل وإلا بفتح جبهات جديدة للمتاعب عليها كجبهة الخصومة والخلاف مع أبنائها وأهلها.. أو جبهة النزاع والحرب الصريحة، بينها وبين أسرة زوجها وأبنائه إذا كان أبا وزوجا كما هو الحال فى قصتك.. أو حتى جبهة الخوف والعيش فى قلق من احتمال عودته لأبنائه وزوجته فى أية لحظة.

وتجربة الزواج برجل متزوج وله أبناء، حتى ولو كان قد طلق زوجته من أجلك لا تقدم الحل الموفق لوحدة أرملة فى الخمسين من عمرها ولها أبناء كبار ومتزوجون مثلك. ذلك أن انفصاله عن زوجته لا يعنى فى كل الأحوال، انقطاع الروابط بينه وبينها للأبد مع وجود أبناء لا يرضون عن حياتهم ولا عن أبيهم إلا إذا وفر لهم الحياة العائلية الطبيعية بين أبويهم.. فيظل نداء الأبناء قائما دائما وقويا فى حياة الأب ولا تصمد أمامه طويلا قصة حب عابرة لم تسبقها سوى بعض نظرات الاعجاب السابقة وبعض المعاملات القليلة العادية.. ثم اقتراب سريع تبادل كلاكما فيه الشكوى للآخر من حياته وظروفه الشخصية.

فالرجل كان يواجه بعض المتاعب العائلية مع زوجته قبل أن يعرفك،

لكن الحياة كانت تمضى به رغم ذلك معها إلى غايتها الطبيعية ثم ظهرت أنت فى حياته واستجاب لمشاعرك الحبيسة التى تبحث عمن يطلق شرارتها بعد أن ابتسر عمك لا سامحه الله صباك المبكر وبواكير شبابك قبل الأوان ولم يسمح لك بأن تعيشى مرحلتهما كاملة.. ثم تنتقلى منهما إلى مرحلة النضج العاطفى والنفسى والزواج فأجرم بذلك فى حقك من حيث لا يدرى لأن ابتسار بعض مراحل العمر وحرمان المرء من أن يعيشها فى حينها لا يثمر غالبا إلا الحنين لأن يعيش الانسان ما حرم منه من بعض مراحل العمل، وإلا الرغبة المكتومة فى ممارسة ما كان ينبغى له أن يمارسه فى حينه من مشاعر وخبرات مما يعرضه غالبا لتحدى الزمن والعمر وظروفه الشخصية إذا استسلم لهذه الرغبة الملحة بعد فوات الأوان. وهكذا فلقد أدى ظهورك فى حياة هذا الرجل ورغبتك فى أن تمارسى معه ما حرمت منه من مشاعر وخبرات عاطفية قديمة، إلى اقدام الرجل على طلاق زوجته، للمرة الثانية فى تقديرى وليس للمرة الثالثة كما زعم لك لكى يهدىء خواطرك ويبدد هواجسك بشأن احتمال استئناف الحياة بينهما ذات يوم.

وتم الزواج بينكما مضحية بعلاقتك وبأبنائك وباعتبارات عائلية وإنسانية عديدة فنعمت بالحب والسلام معه لفترة وتعزيت بتجربتك الجديدة عما اعتبرته عقوقا من جانب أبنائك، ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد تكشفت التجربة سريعا للرجل عن انها لا تعوضه عن افتقاده لأبنائه وللحياة العائلية الطبيعية بينهم بالرغم من كل ما كان يشكو منه من قبل من زوجته وأسفرت أيضا عن عجزه عن احتمال تعاسة أبنائه بانفصاله عن أمهم وحياته معك بعيدا عنهم، فأيقن الرجل انه غير قادر على التضحية بأبنائه كما تقدرين أنت واستجاب لرجائهم له بالعودة لأمهم وبدأ طريق الانسحاب من هذه القصة العاطفية التى اعترضت مجرى حياته لبعض الوقت. لكنها لم تنجح فى تحويله إلى مسار نهائى آخر. ولست أتصور انه قد هجرك لأنه قد تألم لفكرة أن تتزوج أم أبنائه من رجل آخر يعيش فى مسكنه الذى وضع فيه شقاء عمره، فالأمر أبعد من ذلك بكثير وأعمق أغوارا، ولا يمكن أن يكون شقاء العمر أو المسكن هو دافعه الأساسى لإنهاء قصته معك والعودة لزوجته، بعد أن تحدى ظروفا عديدة بزواجه



منك وإنما الأقرب للمنطق والعقل، هو أن الدافع الأقوى لذلك هو أبناؤه وعجزه عن احتمال تعاستهم ببعده عنهم، ورغبته هو فى استعادة الشكل الطبيعي لأسرته مع أبنائه وزوجته السابقة.. فى نفس الوقت الذى تراجع فيه الحب.. أو ذوى وتكشف عن سحابة عابرة هطلت أمطارها لفترة فى حياته ثم جفت ومضت فى طريقها والدليل على ذلك هو قبوله بشروط زوجته للعودة إليه وموافقته على طلاقك وإخراجك من مسكن الزوجية رغم قصة الحب التى جمعت بينكما فلعلك قد عرفت الآن بالدليل المؤلم انك قد أخطأت حين انسقت وراء مشاعرك الحبيسة بلا ترو ولا تقدير للظروف العائلية المحيطة بك وبه، ولعلك قد عرفت أيضا ان التجربة كلها لم تكن لتستحق منك التضحية بأبنائك ولا بعلاقتهم بك، مهما حدث ومهما كانت الأسباب وانه لا حق لك فى اعتبار موقفهم منك عقوقا لك، لأنه ليس سوى احتجاج صاخب على إقدامك على هذه التجربة وانسياقك إليها ضد التيار وبلا أية محاذير.

ولست أنكر عليك فى النهاية حقك فى الزواج إذا رغبت فيه واشتدت حاجتك إليه، لكن ذلك لا ينبغى أن يتحقق — إذا تحقق - إلا بتأييد أبنائك لك وبعد اقتناعهم بحاجتك الانسانية إليه، وبشخص من سوف يشاركهم فيك وبإخلاص نيته فى الارتباط بك، وبعد إقناع طويل وهادىء من جانبك لهم بمبدأ الزواج أولا ثم بشخص من ترتبطين به.. فإذا لم يرضوا به رغم كل ذلك فكثيرات من الأمهات لا يضحين بسعادة أبنائهن فى مثل هذه الظروف من أجل الرغبة فى الزواج ولا يعرضن أبناءهن لما يشعرون به من حرج عائلى كبير أمام أزواجهن وزوجاتهم وأصهارهم بسبب هذه الرغبة من جانب أمهم. ويقنعن من الحياة بما سمحت لهن به، ويرضين عن حياتهن وأنفسهن.. ويتعزين عما يفتقدن بأشياء أخرى كثيرة وجميلة فى الحياة، أما الانسياق وراء التجربة الغرامية فى مثل هذا العمر والتضحية بكل شىء من أجلها من الأبناء إلى الوضع العائلى إلى اغتصاب زوج امرأة أخرى ووالد أبنائها بدعوى متاعبه معها، فليس كل هذا من الحكمة ولا مما يرضى عنه العقل.

ولقد تحديت أنت كل شىء وضحيت بكل شىء كما تقولين لأنك شعرت

قبل الزواج انك لن تستطيعى الحياة ـ لحظة واحدة ـ بدون هذا الرجل؟ فكيف تعيشين الآن بعد هجره لك يا سيدتى؟ وكيف تتحملين الحياة؟

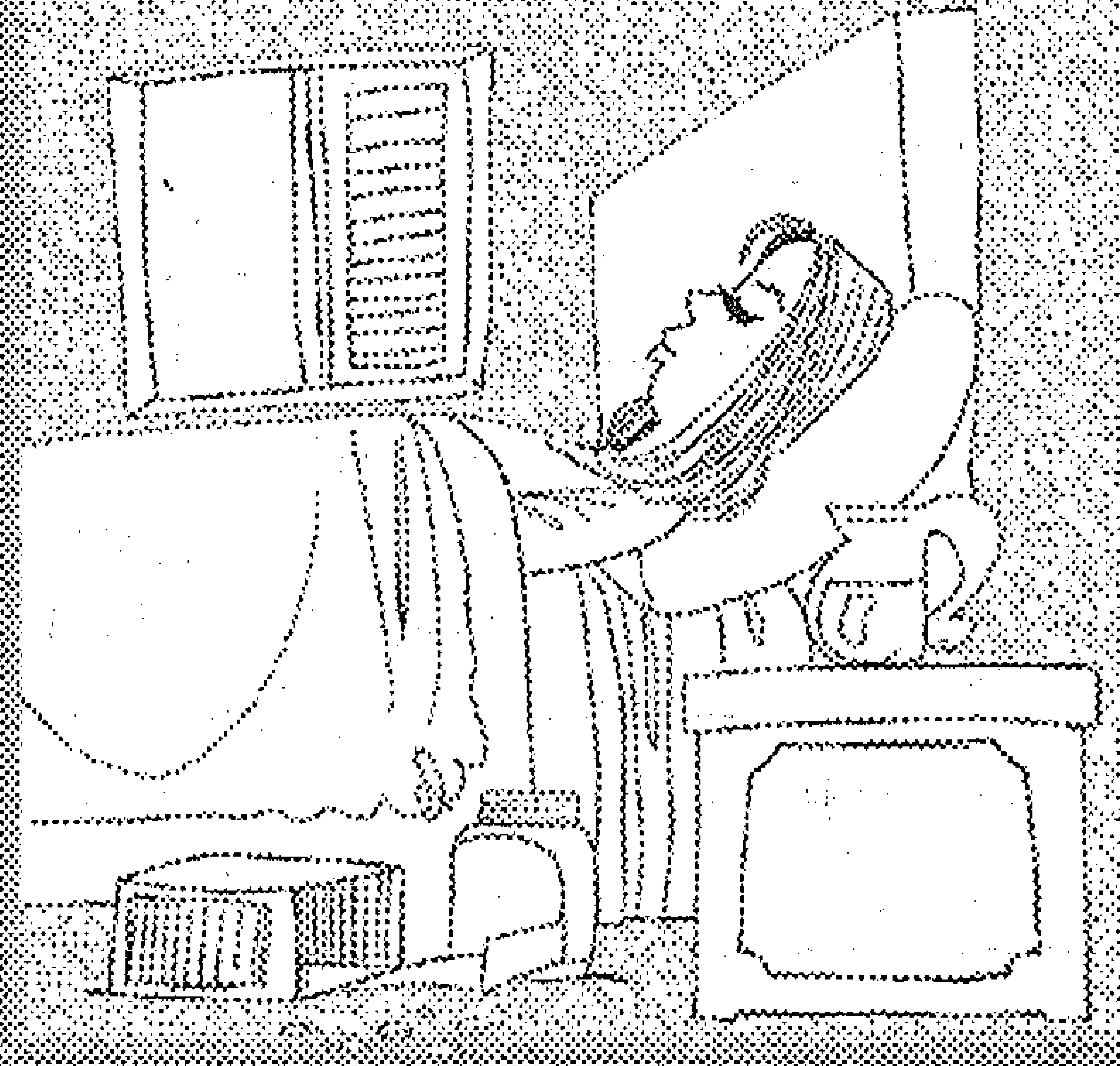
إن الانسان أقوى كثيرا مما يتصوره فى نفسه.. وهو قادر دائما على أن يحيا فى أصعب الظروف وعلى أن يحتمل الحياة لحظات بل سنوات كثيرة بدون ما حرم منه أو ما حالت بينه وبينه الأقدار والظروف، لكننا نبرر أخطاءنا واندفاعاتنا وعثراتنا دائما بهذه العبارة التى لا معنى لها.

ولهذا كله فإن رأيى هو ألا تسوفى فى اسدال ستار الختام على هذه القصة العارضة فى حياتك.. وألا تماطلى فى الطلاق بدعوى تمسكك بالحصول على الحقوق المادية قبل إتمامه، فالرجل كما هو واضح لا يقدر على الوفاء بها، وأنت قادرة ماديا ولست فى حاجة حقيقية إليها لكنك ترغبين بتمسكك بها فى ألا تقطعى ما بينك وبينه من صلة، أملا فى تجدد العلاقة بينكما ولو من باب عجز زوجك عن تحمل تبعات الطلاق! وليس هذا مما يليق بك ولا بالتجربة نفسها التى بدأت عاطفية وضد تيار العمر والأوضاع العائلية ولا يجوز لها أن تنتهى بالنزاع المادى حول ما لا يستحق النزاع حوله، فإذا كنت قد أحببت هذا الرجل حقا واستمتعت معه بأيام «فى غاية السعادة» كما تقولين، فلا تفسدى ذكرى الأيام الجميلة بالمماطلة والمطالب المادية الرخيصة.. ولا تقفى عقبة كأداء فى طريق عودته لزوجته وأبنائه وحياته العائلية واستفيدى بدرس تجربته مع أسرته، فى استعادة حب أبنائك لك، ورأب الصدع الذى حدث فى علاقتك معهم.. وانتظرى حلا آخر لوحدتك أكرم وأكثر ملاءمة لك ولأوضاع أبنائك العائلية والاجتماعية.. والسلام.

19

٣٠ قصة حب واقعية

المحاولة الثانية



أنا مهندس قاهرى شاب فى الثلاثين من عمرى نشأت بين أبوين طيبين وأخت وحيدة فمضت بنا رحلة الأيام حتى تخرجت أنا وأختى فى نفس الكلية العملية بتفوق فلم يسعد أبوانا طويلا للأسف بثمرة كفاحهما الشريف فى الحياة ورحل أبى عن الدنيا عقب تخرج شقيقتى بشهور وتبعته أمى بعد عامين آخرين ووجدت نفسى أنا وشقيقتى وحيدين تماما فى الحياة فازددنا ترابطا وتعاطفا وتعاهدنا ألا تفرق بيننا الأيام، وبعد شهور من رحيل أمى تقدم لشقيقتى رجل فاضل فكادت ترفضه إشفاقا علىّ من وحدتى بعد رحيل أبوى، لكننى نهضت لأداء واجبى تجاهها وتحريت عن سمعته وأسرته وأخلاقه وجاءت التحريات كلها لصالحه.. فرجعت إلى أختى وحثثتها بقوة على قبوله.. وأكدت لها اننى لن أسعد بحياتى إلا بعد أن أطمئن إلى استقرارها فى بيت زوج يحبها ويرعاها ويحميها، فسألتنى بإشفاق: وأنت؟ فأجبتها باننى رجل وأستطيع مواجهة الحياة وسوف يضع الله فى طريقى من تقر بها عينى وتعوضنى عن وحدتى، حين يشاء ذلك. فتزوجت شقيقتى وسعدت بزواجها سعادة كبرى، وتعانقنا ليلة الزفاف باكيين ومسترحمين لأبوينا اللذين علمانا بتضحياتهما وربيانا على الحب الأخوى الصادق والحنان وانتقلت أختى إلى بيت زوجها، وشعرت بأن الدنيا كلها قد خلت علىّ بعد زواجها.. وانفردت بنفسى فى سكن العائلة وأصبح بيتها هو واحتى التى أشعر فيها بالحب وبأنفاس العزيزين الراحلين.. وكلما زرتها سألتنى عن زواجى وعاتبتنى بشدة على استمرارى فى وحدتى.

وذات يوم فاتحنى مهندس زميل لى فى العمل فى أمر ارتباطى بابنة عمه التى تصغرنى بأربع سنوات فقط وقال لى انها رأتنى فى حفل عيد ميلاد طفلته فى بيته واننى لفت انتباهها بشدة فحدثت زوجته وسألتها عنى، وأرضانى ذلك كرجل لكنى أشفقت من قلة امكانياتى المادية وعجزى عن تكاليف الزواج وصارحته بذلك فأكد لى ان أسرة عمه لا تحفل بالماديات

وانها تريد لابنتها زوجا أمينا وعلى خلق ودين مثلى، وتشجعت بما سمعت ولبيت دعوته لزيارة أسرة هذه الفتاة، وأحسست حين رأيتها وجلست إليها بارتياح شديد لها مع انها ليست باهرة الجمال، ولقيت منها اهتماما تلقائيا شديدا لا يتجمل ولا يتحفظ فأسعدنى ذلك واستشرت شقيقتى فى أمرها واصطحبتها لزيارتها فأحبتها أختى من الوهلة الأولى وشجعتنى على الارتباط بها بحماس شديد وتعمقت علاقتى سريعا بفتاتى خلال فترة الخطبة القصيرة.. ولاحظت سعادة خطيبتى بل وفرحتها الواضحة بى، ولقيت من أبيها وأمها وأختيها كل حفاوة وتقدير، وذللت الأسرة كل الصعاب المادية أمامى وكلما تعثرت فى شىء أو ترددت أمامه بسبب قلة امكانياتى، تطوع والد فتاتى بأن يتحمله عنى بأريحية وهو يقول لى انه لا يهمه إلا سعادة بناته الثلاث خاصة كبراهن الطيبة الحنون.. أى فتاتى. وفى ليلة الزفاف أبكتنى شقيقتى الحبيبة بفرحتها الطاغية وبقيامها بدور الأم والأب لى فى حفل الزفاف، وبإصرارها على أن تحمل ذيل فستان عروستى فى الزفة ورعايتها لها ولى فى الكوشة وبزغاريدها السعيدة التى كانت تستدر دموعى رغما عنى ثم صاحبتنى حتى باب مسكنى وقبلتنى وقبلت عروسى وهى توصيها خيرا بى لأننى كما قالت طيب وغلبان ومقطوع من شجرة.. وانصرفت أختى راضية وسعيدة وبدأت حياتى الزوجية مع شريكة حياتى، وسرعان ما اكتشفت فيها أشياء كثيرة جميلة. فهى رقيقة الاحساس وطيبة ومتدينة وعطوف، ولا تخفى حبها لى أمام الجميع وصارحتنى بطفولية أحببتها فيها وقدرتها لها انها تمنتنى لنفسها منذ رأتنى فى بيت ابن عمها وانها حثت زوجته على أن تفاتح زوجها فى أمرى، وأسعدنى كل ذلك وبادلت زوجتى حبا بحب وإخلاصا بإخلاص ولم تمض شهور قليلة حتى حملت وأنجبت لى طفلا جميلا زاد من سعادتنا وابتهاجنا بالحياة، لكنى لاحظت فجأة ان زوجتى قد بدأت تشكو من قلة النوم وفقدان الشهية، وانها تمضى الليل أحيانا بطوله عاجزة عن النوم.. ومسهدة وحائرة، حتى لتعجز عن النهوض من الفراش فى اليوم التالى وتظل مستلقية فيه بلا نوم ولا قدرة على الحركة وسألتها عما بها.. فلم تفدنى بشىء سوى انها تجد نفسها عاجزة عن النوم.. واستشرت

طبيــــب الشركة التى أعمل بها فى شأنها فقال لى انه يرجح انها تعانى مما تشكو منه بعض الزوجات الشابـات اللاتى ينجبن لأول مرة.. وهو اكتئاب ما بعد الـولادة واتبعت نصيحته فى إعطائها مهـدئا خفيفا.. مع الحرص على الترفيه عنهـا.. وتجنب كل ما يؤلم مشاعـرها الخ.. ثم رجعت إلى البيت ذات يـوم فوجـدتها مستلقيـة فى فراشهـا وعيناهـا مفتـوحتان لكنهـا لا تنطق ولا تتحـرك ولا تستجيب لمحاولاتى للحـديث معهـا أو تحريكها وهـرولت لاستـدعـاء الطبيب الـذى نجح فى افاقتهـا وعـرفت منـه انها أصيبت بهذه الحالة بسبب عدم النوم.

وجاءت والـدتها لزيارتها على غير انتظار وعلمت بما حـدث لها ففوجئت بها تضطرب اضطرابا شديـدا وتطلب منى عرضها على طبيب بالذات.. وفى أسرع وقت وألححت عليها فى معرفة السبب فعلمت منهـا ان هذه الحالة قد واتتهـا من قبل، فـاصطحبتها إلى عيـادة الطبيب المقصـود فإذا بـه طبيب نفسى معروف، وإذا بـزوجتى لها ملف قديم عنـده ومرضـها هـو الاكتئاب النفسى، وصدمت صـدمة هائلـة حين علمت بذلك وتشـاغلت عن صدمتى بمساعـدة زوجتى على الشفاء فتحسنت حالتهـا بالعلاج الـذى وصفه لها الطبيب، لكن لم يمـض وقت طـــويل حتى لاحظت عليهـــا الشرود الـــدائم وانعـدام التركيز رغم حـرصى على إحـاطتهـا بالحب والـرعـاية والحنـان وتعمدى اخفـاء أثر صـدمتى بمعرفـة حقيقة مرضهـا ثم رجعت من العمل ذات يـوم فوجـدتها فى فراشهـا نائمـة فأيقظتها لتنـاول الغداء فـلاحظت ضعفها الشديد وشحوبها وعجزهـا عن النهوض من الفراش ووجدت علبة الدواء التى تتنـاول منها قرصا واحـدا كل يوم فارغة إلى جـوارها فأدركت الكارثة.. وهـرولت خارجا لاستدعاء الطبيب الـذى جاء وأصر على نقلها إلى المستشفى فنقلناهـا وأجريت لها الاسعافـات اللازمـة وصارحنى الطبيب بأن زوجتى قد حاولت الانتحار بسبب ما تعانيه من اكتئاب نفسى ونبهنى إلى أن المحـاولـة ستتكرر مـرة أخـرى ولهذا فـلابد من إبعـاد كل الأدويـة والأدوات الحادة عنها ومراقبتها بحرص طوال الوقت.

ومنذ ذلك الحين يا سيـدى وأنا أعيش فى رعب قاتل ترقبـا لهذه المحاولة الثـانيـة التى لا أعـرف متى ستجىء.. ولا من أى بـاب من أبـواب الجحيم ستأتينى منه.

لقد ضممت زوجتى إلى صدرى بعد رجوعنا من المستشفى.. وبكيت بين يديها وعاتبتها على ما أرادت أن تفعله بنفسها وبى وبطفلها الوحيد، فبكت طويلا وقالت لى انها لا تستحقنى ولا تستحق أن تحيا حتى تحت قدمى لأنها مريضة ولأنها أخفت عنى هى وأسرتها حقيقة مرضها حتى لا أفر منها بعد أن أحبتنى خلال فترة الخطبة وتعلقت بى حتى الجنون، فقلت لها ان ما حدث قد حدث ولا لوم عليه ولا عتاب بعد أن تزوجنا وانجبنا وأصبح لنا طفل صغير يحتاج إلينا وأكدت لها اننى لا أستطيع الحياة بدونها واننى أريدها أن تقاوم الاكتئاب ونزعة الانتحار التى قد تهاجمها لكى ترعى طفلها الصغير وتسعدنى بوجودها فى حياتى، فاقسمت لى انها نادمة على ما فعلت وانها لن تكرره أبدا وانها لا تريد منى سوى أن أسامحها على كتمانها لمرضها عنى بسبب ما وصفته بأنه انانيتها ورغبتها فى أن تتزوج منى، فاقسمت لها بأنى لا أحمل لها فى قلبى إلا الحب والخوف عليها.. ولا أريد من الحياة سواها.. فاستراحت لذلك، لكنى لم أعرف طعم الراحة بعد ذلك قط يا سيدى.. فهى تتناول دواء وصفه لها الطبيب باستمرار للوقاية من عودة المرض إليها والذى حدده بأنه «الاكتئاب الرجعى» وأنا أغادر البيت كل يوم ذاهبا إلى عملى والهواجس تلاحقنى كل لحظة عما يمكن أن تفعل إذا عاودتها النوبة خلال غيابى وماذا سيكون مصيرها ومصير طفلى ومصيرى إذا وقعت المحاولة الثانية التى يتوقعها الطبيب فى أية لحظة ولم ينجح أحد فى إنقاذها فى الوقت المناسب، كما انى لا أغادر البيت إلا إذا جاءت أختى «لمراقبة» زوجتى كل لحظة إلى أن أرجع للبيت أو جاءت أمها أو إحدى شقيقاتها للقيام بنوبة المراقبة والحراسة إلى حين عودتى، فإذا رجعت للبيت لم أدعها تغيب عن ناظرى لحظة واحدة وأتفنن فى اخفاء الآلات الحادة والأدوية عنها، وإذا طالت غيبتها فى الحمام بعض الشىء طرقت عليها الباب متوجسا إلى أن يجيئنى صوتها وإذا نمت فى الظهيرة نهضت مفزوعا بعد لحظات متسائلا عنها، ولا يغمض لى جفن فى الليل إلا إذا اطمأننت إلى استغراقها العميق فى النوم، فإذا جفاها النوم كما يحدث أحيانا ظللت ساهرا حتى يهزمها الارهاق وتنام وقد أنهض بعد ذلك مرتعبا أتحسسها لأتأكد من وجودها إلى

جانبى . اننى أعيش فى جحيم دائم يا سيدى وقد عاهدت نفسى ألا أتخلى عن زوجتى أبدا لكنى أسأل هل سيستمر هذا العناء إلى ما لا نهاية.. وهل سأفاجأ بالمحاولة الثانية للانتحار على غير انتظار رغم كل ما أبذله من احتياطات وتحفظات؟

أولا يمكن أن تستشير طبيبا نفسيا كبيرا من أصدقائك فى أمر زوجتى ليطمئن بعض مخاوفى ويعطينى بريقا من أمل الشفاء.. والنجاة والأمان ذات يوم؟ ان شقيقتى تبكى على حالى وتقول لى انها قد ازدادت هما بحالى وقلقا علىّ بعد الزواج عما كانت عليه، قبل زواجى وأنا فى وحدتى، وهى تحب زوجتى وتشفق عليها وتوصينى بها خيرا، لكنها تأسى لحالى وتطالبنى بالبحث عن علاج شاف لها لدى الأطباء.. فهل هناك أى أمل فى مثل هذا العلاج يا سيدى؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول:

— ترقب البلاء قد يكون فى بعض الأحيان أقسى على النفس من حلوله ومواجهته بما يتطلبه الموقف من إجراءات. فالنفس انما تتحسب للمجهول وتخشاه بأكثر مما قد تخشى مواجهة الأمر الواقع والتصرف ازاءه بما تمليه ضرورات الموقف.

فأرح ضميرك بأداء واجبك الانسانى فى حماية زوجتك من نفسها واتباع نصيحة الأطباء فى اتخاذ كل احتياطات الأمان بشأنها، لكن لا تعش كالوتر المشدود كل لحظة ترقبا لخطر قد يجىء وقد لا يجىء فتحكم على نفسك، بمعاناة القلق النفسى والتعرض للأمراض العضوية الناشئة عنه، وتضاعف بذلك من الخسائر العائلية بدلا من أن تخفف منها، فالاكتئاب النفسى الرجعى، له مؤشرات تسبق احتداد نوبته وتصاعدها إلى حد الاقدام على الانتحار، وأنت قد لمست فى المرة السابقة بعض هذه المؤشرات وتعرفت عليها وهى الشرود الدائم والكآبة وانعدام التركيز والعجز عن النوم، ومادامت زوجتك كانت تحيا حياتها الطبيعية وتتناول الأدوية الوقائية من الاكتئاب باستمرار ولا تظهر عليها أعراض من هذه المؤشرات، فلا خوف عليها من الانتحار ولا مبرر للتوتر الدائم وترقب المحاولة الثانية كل لحظة واستمتع بأوقات الصفاء مع زوجتك الطيبة التى لا تخفى حبها

لك عن الجميع، وادخر فى قلبك وروحك زادا معنويا تستعين به على مواجهة أيام الشدة إذا حلت وسارع باستشارة الطبيب كلما بدت لك من المؤشرات ما يدعو إلى ذلك، وقد يكون دخول المصحة لفترة قصيرة فى بداية النوبة حلا مفضلا لتفادى أخطار الاقدام على الانتحار وربما أستطيع مساعدتك فى ذلك عند الضرورة لا قدر الله. والرعاية العاطفية والطبية كفيلان بتفادى كل الأخطار بإذن الله. أما بريق الأمل فى الشفاء التام الذى تتساءل عنه فقائم وموجود إن شاء الله. فالاكتئاب الرجعى كما علمت من طبيب نفسى مشهور له أطوار كأطوار الانسان من طفولة وشباب وشيخوخة، وهو الآن فى مرحلة الشباب لدى زوجتك وقد تتسارع نوباته فى بعض المراحل لكنه سيصل خلال سنوات إلى مرحلة شيخوخة المرض، فيهمد وتتباطأ نوباته، ثم تضعف إلى أن تختفى نهائيا بإذن الله.

فاصمد لمحنتك يا صديقى وتخفف من حالة الطوارىء العصبية التى تعيشها كل لحظة الآن وانتقل إلى حالة من الاسترخاء الحذر التى لا تحرمك من الاستمتاع بحياتك العائلية وحبك لزوجتك وحبها لك إلى أن تلحظ أولى المؤشرات المنذرة فترجع إلى حالة الاستنفار من جديد، وتبادر بعرض زوجتك على الطبيب وتفرض عليها رقابة عائلية متصلة، ولكل إنسان فى النهاية من سعادته ما يرضيه.. ومن تعاسته أيضا ما يشقيه، فتقبل أقدارك وارض بها واستعن بحب زوجتك لك ورقتها معك وفخرها بك على مواجهة حياتك والتواؤم معها.. والأفضل أن تعرض زوجتك على الطبيب فى مواعيد دورية لتطمئن إلى استقرار الحالة وبعد شبح النوبة التالية عنها، وكلما استشعرت زوجتك حبك لها وتمسكك بها وخلوك من أى لوم داخلى لها ولأسرتها لاخفائها أمر مرضها عليك، ابتعد عنها شبح الاكتئاب وتباعدت مؤشراته، وازدادت هى تمسكا بالحياة ورغبة فيها.. فالاحساس بالذنب قد يقتل ذوى المشاعر الرقيقة ويتحالف مع المرض عليهم.. وأنت قد سامحت وتسامحت نبلا منك وكرما، فلا تدخر جهدا فى إشعارها بذلك لكى تستفيد من الأثر المعنوى الايجابى لتخفف عنها من الاحساس بالذنب تجاهك فى إبعاد شبح الاكتئاب عنها.. أعانها الله وأعانك عليه.

٢٠

٣٠ قصة حب واقعية

"قصة حب "قصة حب
"قصة حب "قصة حب
"قصة حب "قصة حب

الجرح الغائر



أنــا إحــدى قــارئات بابك المدمنــات، وكثيرا مــاتمنيت أن أقــرأ مشكلــة مشــابهة لمشكلتى لأجد فيهــا مــاأستفيده منهــا، إلى أن قــرأت منذ أســابيع رسالــة «الدائرة المظلمــة» التى يروى فيهــا طبيب شاب قصتــه مع زوجته وطفلتيــه ومعانــاته معهــا حتى انتهى الأمر بينهما بــالطلاق.. ثم غــرق فى أحزانه إلى أن عثر على الإنسانة التى اطمأن قلبــه إليها ورأى فيها مايعوضه عما عــاناه، فإذا بإحــدى طفلتيه تمرض مــرضــا خطيرا وإذا بمطلقتــه التى طلبت الطلاق من قبل وأصرت عليه، ترجع إلى صــوابها وتطلب التئام الشمل مرة أخرى ليتعاونا معا على علاج طفلتهما.

وقصتى هــذه لست أرويها لهذا الطبيــب الشــاب، إنما أريــد أن أرويها للفتاة التى كــانت تستعد لــلارتباط بــه حين واجه هــو هذا الاختيــار الذى سينتهى بــه غالبــا إلى الــرجــوع إلى مطلقته حــرصــا على الطفلة المريضــة وشقيقتهــا.. فأنا سيــدة فى الخامســة والثلاثين من عمــرى نشــأت فى أسرة متوسطــة المستوى كبيرة العــدد، وكنت أكبر اخوتى وقــد تخرجت فى كليتى وعملت فى إحدى الشركات فور تخرجي، وتعرفت فى العمل على زميل فاضل لى لاحظت عليــه منذ البدايــة قلقه واضطــرابه ومعــاناتــه لهموم غــامضة، وجمعت بيننا زمــالة العمل فازداد اقترابا منى بطــريقة مهذبة، وعــرفت منه إنه على وشك الانفصــال عن زوجته التى أنجب منها طفلا عمــره ٤ سنوات، فعرضت عليه أن أتوسط بينه وبينها لــلإصــلاح وإعادة الشمل، فأكد لى إنه لافائدة من وراء ذلك وان كليهما لايرغب فى العــودة للآخر وان كل المساعى الســابقــة قد فشلت فى الاصــلاح بينهما، ولم يبق إلا التفــاوض على شروط الطلاق، وأسفت لحاله.. ثم تحول الأسف إلى تعاطف شديد حين صــارحنى بعد فترة بأن زوجته هــذه قد انفصلت عنه قبل عام ونصف العــام وحرمته من رؤيــة طفله طــوال تلك الفترة، وعندمــا طــالبها بــذلك أعلنت له بجــرأة شديدة إنــه لاحق له فى مطالبته بــرؤية هذا الطفل لانه ليــس ابنه!.. وصدم الرجل صــدمة هائلــة زلزلت كيــانه.. واكتسى وجهه بطــابع الحزن الدائم

والاكتئاب حتى تألم لـه كل الـزمـلاء وتعاطفـوا معـه.. وتألمت لـه معهم وحزنت لحاله، وتم الطلاق بينه وبين زوجتـه بالفعل واجتر الرجل الفاضل أحزانه فى صمت..

واستمرت عـلاقة الـزمالـة الحميمة بيننـا فى العمل وبعد عـام ونصف العام سألنى ذات يـوم فى استحياء هل تقبليننى زوجـا لك إذا تقدمت لطلب يدك من أسرتك؟.. ووجدتنى أعلن له مـوافقتى وترحيبى به وكان دافعى إلى ذلك هـو تعاطفى الشـديد معه وارتيـاحى العـاطفى له الـذى يبشر بميلاد الحب الشريف بعد الزواج وتقدم لاسرتى وناقشتـه الأسرة فى ظروفه طويلا وقبلوا به وتعاطفوا معه فقد كان جديرا دائما بالحب والاحترام وخطبت إليه وعمرى ٢٣ عاما، واستمرت الخطبة عـاما وقعت خلاله بعض المشاكل بينه وبين مطلقته ولم أتـوقف عندها باعتبـارها من طبيعة الأشيـاء فى مثل هذه الظروف، وتزوجنا فى شقـة صغيرة مريحة، وبدأنا حياتنا الـزوجية وبدأت المشاكل الحقيقية فى نفس الوقت من جانب مطلقته كما لو كانت أول مطلقة فى العالم تواجه الحياة بطفل صغير!

فلقد بدأت تأتى إلى بيتى كثيرا ومعها فى كل مرة مشكلـة جديدة وطوفان من السبـاب والكلمات الجارحة لـزوجى، فتأتى مـرة ومعها الطفل لتتركـه لأبيه لأنها لاتـريده، وقد أدت واجبها «كـاملا» تجاهه.. ثم تنقض ماقـالته وترجع به من حيث جاءت، وتأتى مرة أخـرى مطالبة بزيادة المصروف مع أن زوجى يهتم به وينفق عليها وعلى طفلها بسخـاء، وتأتى مرة ثالثة لتعلن إنها سـوف تتزوج وتـريـد أن تتخلص من الطفل ثم تـرجع بـه فى النهايـة أيضـا، وهكـذا بلا انقطـاع ولا راحة على الـدوام، وفى كل مرة تطلق قـذائفها الجارحة التى تستحى الأذن من سماعها، وفى إحـدى هذه المرات كررت على زوجى وأمـامى ــ سـامحهـا الله ــ ان الطفل ليس ابنـه وإنما ابن «أحـد الاشخـاص القريبين منـه» ثم التفتت إلى الطفل الصغير الذى لايعـرف من شئـون الـدنيا شيئـا وطلبت منـه أن يبحث عن أبيـه الحقيقى حين يكبر!.. فطعنت زوجى فى مقتل، سامحها الله، وسـاءت حالته النفسية للغـاية وفقد ثقته فى نفســه وفى الآخرين، وانطـوى على جرحـه المؤلم رغم كل محـاولاتى للتخفيف عنه.. والتهوين عليه.



وخلال ذلك كان الحمل قد تأخر عندى، واتجهت الأنظار من جانب أهل زوجي بتلقائية ناحيتى تتهمنى بالمسئولية عن ذلك، باعتبار إنه قد سبق له الانجاب من قبل، وبدأت رحلة التحاليل والعلاج فإذا بنتائج الفحص تثبت سلامتى وقدرتى على الحمل فى أى وقت، وتثبت من ناحية أخرى - وللأسف - ان زوجى هو المسئول عن عدم الانجاب، ولم تحتمل أعصابه أكثر من ذلك فثار ورفض العلاج ليثبت لنفسه انه سليم ولايحتاج إليه، وقدرت أنا ظروفه ومحنته المؤلمة فتجنبت الحديث فى الموضوع لفترة ثم رجعت له معه فثار من جديد وأصبح يثور كلما فاتحته فيه، وينتهى الأمر بخصام بيننا لفترة ثم أرجع إليه وتستمر الحياة من جديد، ومازالت مستمرة منذ احد عشر عاما لم أندم خلالها على ارتباطى به فهو انسان فاضل وطيب وحنون وأرى حبى كل لحظة فى عينيه لكنه من خلال هذه السنوات أيضا وإلى جانب مشكلتنا الأساسية فى عدم الانجاب وقلقى لمرور السنين دون حمل وانجاب مع تجاهل زوجى لهذا الموضوع نهائيا، فلقد رافقتنا أيضا مشاكل مطلقة زوجى وابنه خلال رحلة الحياة وكأنما قد أصبحت جزءا أساسيا منها.. فلقد كبر الولد حتى بلغ مرحلة الثانوية العامة وكبرت معه مشاكله واستنفد كل طاقتى المادية على متطلباته التى لاتنتهى ولاتراعى أية اعتبارات، وفشل فى الثانوية العامة بعد أن تعلق أملى بنجاحه فيها لنرتاح أخيرا ونلتقط أنفاسنا، كما تزوجت أمه من رجل فاضل فاض برعايته على هذا الابن لكنه قوبل بالاستنكار من جانبه بعد أن فسدت أخلاقياته للأسف بسبب سوء تربية والدته له وبسبب تعلقها بوهم الارستقراطية الكاذب، والمستوى الراقى فى الحياة مع انها من أسرة متوسطة جدا، وهو يتمتع «بجرأة» هائلة فى التعامل معى ومع والده، ومؤخرا مع والدته أيضا ويؤكد للجميع ان علاقته بأبيه علاقة مادية فقط.. وقد كاد زوج والدته يهجرها ويهجر البيت أكثر من مرة بسبب سوء أخلاق هذا الولد لولا انه رجل فاضل حكيم ويحاول إصلاحه والحفاظ على بيته بالتعاون مع زوجى، وقد أصبحنا لايمضى بنا يوم دون اجتماعات عائلية مطولة وجلسات ساخنة ووفود تذهب ووفود تجىء بين بيتنا وبيت مطلقة زوجى وبيت أهلها.. وأهل زوجها الخ، وكأننا نتعامل مع مشكلة

الشرق الاوسط وكل ذلك والـولـد مستمر فى غيـه ومشـاكله وقـد انتقل إلى مرحلـة الطلبات الباهظة التى لايقـدر عليها أبوه ولا أحد غيره كـالسفر إلى أمريكـا والسيارة والمصروف اليـومى الباهظ، إلى جـانب تسريحات الشعر البـذيئـة التـى ينفـر منهـا مجتمعنـا، وفى وسط كل ذلـك بـدأ أهل زوجى يتمردون علينا معا أنا وهو، وبدأ تدخلهم المباشر فى حياتنا.. وبدأوا يطلبون معرفـة أين ينفق زوجى دخله وفيم ينفقـه ونحن بلا أطفـال، وبدأت أسمع تعليقات مؤلمة عن عـدم انجابى وعن جدوى فائدتـى فى الحياة وأنا لاأنجب ولاأستطيع الانجـاب وأبتلع الألم صـامتـة حتى لاأعيـد فتح جـرح زوجى الغائر ويـرجع هو إلى فقد ثقته بنفسـه بعد أن أكرمنا الله بتخلصـه من هذه الحالة النفسية السيئة منذ سنوات.

ووسط هذه الـدوامة أجـدنى أتساءل أحيـانا وأين حياتى مـن كل هذه المشاكل المستمرة منـذ تزوجت حتى وصلت مؤخرا إلى سـاحة القضاء بين زوجى وبين أهل مطلقته بسبب مشـاكل ابنه المستعصية على الحل؟.. وأين حقى فى أن أصبح أما وأشعـر بدبيب الأمومـة يسرى فى أحشائى لكى أحس بأن لى وظيفـة أخرى فى الحيـاة عـدا وظيفة الخدمـة وانتظار الاجتماعـات اليومية لحل المشاكل التى لاتنتهى بين الـولد وزوج أمه وبين أمه وزوجها، وبين الاثنين وزوجى، وبين أهل مطلقته وبينـه وبينى وبين أهل زوجى، إلى جانب تطـاولات مطلقته وقـذائف لسانها عليه والتـى لايفعل زوجى حيالها شيئا سـوى الصمت التام خوفـا من الفضائح، وحتى لايـرى الولد أبـويه وهما يتراشقـان بالسبـاب فى حضـوره، فلا تـراعى هى ذلك وإنما تـزداد عدوانية تجاهه.

اننى أفكـر كثيرا الآن فى حياتى يـاسيدى وكلما حـاولت أن أعيد النظـر فيها، نظرت إلى زوجى الفاضل الذى يحبنى بشدة ويرى فىَّ الزوجة العاقلة الحكيمة، فأراه يتعذب وسـط هذه الدوامة المستمرة من المشـاكل إلى جانب مرضه بآلام الغضروف التى تلزمه الفراش أحيـانا بالأسابيع، فأتأمل حاله مشفقة عليه وأتساءل: ماذنبه فى كل ظـروفه هذه؟.. وازداد تعاطفا معه، ثم تهتف نفسـى فى أحيـان أخـرى: نعم هـو لاذنب لـه فى ظروفـه فعـلا.. لكن ماذنبى أنا أيضا فى كل ذلك؟، فلا أجد لتساؤلى جوابا مريحا أيضا.

لقـد كتبت رسالتى هـذه لكى أسألك رأيك فى حيـاتى ونصيحتك لى بما أفعل إزاءهـا ولكى أقـول للفتـاة التى تـدخلت الأقـدار فى اللحظـة الأخيرة لتحرمها من الزواج بالطبيب الشـاب المطلق الذى سيرجع لمطلقته وطفلتيه، أنها قد تعـانى بعض الـوقت لفقدهـا من اختارتـه وتفهمت ظروفـه، لكنها ستفوز فى النهايـة بجائزة السماء وتحيا بعد حين حيـاة طبيعية مع انسان آخر بـلا مشاكل كمشـاكلى التى أعيشها من زواجى حتى الآن، فـالانسان لاينفصل أبدا عن ظـروفه الشـخصيـة وإنما تظل لاصقة بـه وتطارده حتى نهاية حياته.. وقد كان هـذا هو ماتعلمته وخبرته من قصتى فى زواجى ومع الحياة.. فماذا تقول لى يا سيدى؟.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

نعم ياسيـدتى لاينفصل الإنسان أبـدا عن ظروفـه ولايجوز له أن يقيم بنيان حيـاته أو حساباتـه للمستقبل على أساس تجاهلها أو توهم انتفـائها من الأصل فـالحالمون وحـدهم هم الـذين يقعـون فى هـذا الخطأ الجسيم ويدفعـون ثمنه دائما من سعـادتهم وسلامة حيـاتهم، أما الـواقعيون من البشر فيعرفـون جيدا ان ظروف الإنســان الشخصية وأقـداره تتبعه دائما كتلك المدينـة التى عنـاها الشـاعـر اليونـانى المصرى كفـافيس حين كتب قصيدته الشهيرة التى يقول فيها: ولسوف تتبعك هذه المدينة إلى آخر العمر يقصد بذلك جذور الإنسان وأقـداره وظروفه الشـخصية، لهذا فمن الحكمة دائما ألا يتجاهل الإنسان مشاكله وظروفه وألا يفر من مواجهتها والتعامل معها.

غير ان الإنســان من نـاحية أخـرى لاينعـدم أمـامه مجال الاختيـار فى النهاية، وإنما يختـار أيضا لحياته رغم أقداره المقـدورة عليه وينبغى له أن يرضى بتبعات اختياره وان يتحملها بشرف.

وأنت مثلا قد اخترت لحياتك وقبلـت بتبعات اختيارك لزوجك، ولم يكن فى ظروفه الشخصيـة مايخفى عنك، وزوجك أيضا قد اختار لحيـاته بعيدا عن مطلقته وتحمل تبعـات هذا الاختيـار ومازال يتحمل حتى الآن.. وزوج مطلقته أيضـا قد اختـار لحياتـه عالما بكل الظـروف المحيطة ويـدفع ثمن اختياره راضيـا أو ساخطا. وإذا اختـار الإنسان لحياتـه بملء إرادته فمن

واجبه الإنســانى والأخلاقى ألا يتنصل من تبعات اختيــاره أو يتشكى منها أو يحاول فرض أوضاع جديدة تتعارض مع ماتعهـد به منذ البداية وماقبل به راضيا وواعيا بما يفعل.

نعم قـد تضيق النفس أحيـانـا بما تعـانى.. وقـد يتـوقف الإنســان فى الطريق لحظات ليراجع اختيـاراته ويتأمل حياته ويتشكى ممـا يؤلمه فيها، لكننا نمضى بعـد ذلك غالبا على نفس الطريق الـذى خطونا عليه خطـواتنا الأولى بارادتنا الحرة.. التزاما بالعهد ووفاء بالأمانة.

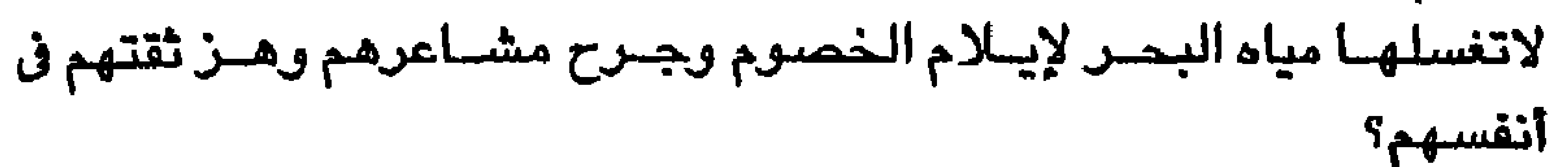
فإذا كان جدّ فى ظروفك جديد، فهو إنك لم ترزقى بأطفال حتى الآن، مع ارتبـاط مسألـة الانجـاب لدى زوجك بـذلك الجرح الغـائر القـديم الـذى لم تتورع مطلقته عن أن تضع عليه الملح الأجاج بســادية غريبة لكى يشتد وقع الألم على نفسه ، لاغفر الله لها، ويزداد الجرح إيلاما!

ان هذه هى المشكلة الحقيقيـة التى تواجهينها ياسيـدتى وليست دوامة المتاعب التى تعـانين منها منـذ زواجك بسبب مطلقة زوجك، ومتـاعب ابنه، ومشاكل أمه مع زوجها، فكل ذلك من تبعات اختيارك الأول، ولابد أن تقبلى بها حتى ولو تشكيت من وطأتها فى بعض الأحيان.

والحق اننى إذا كنت قد عجبت لشىء فى رسالتك هذه فهو لجرأة زوجته الأولى فى «الجهـر» بجريمـة بشعـة ارتكبتهـا فى حق ربها وزوجها وطفلهـا الـوحيد، وكأنما تفـاخر بما ارتكبـت وقد كـان الأحرى بها أن تتستر عليـه وتنزوى به مستخزية.

وبـدلا من أن تفعل ذلك فلقـد راحت تطعن به زوجهـا السـابق فى مقتل «بساديـة» مرضيـة غريبـة كأنما تتلذذ بإيـلامه وتعذيبـه.. فكيف انقلبت المعايير والقيم إلى هذا الحد؟!

انها تجاهـر «بعـارهـا» الشـخصى وتهدد بـــه بـدلا من أن تتخفى بـه وتستجدى عفو ربها.. وعفو من ارتكبت هـذه الجريمة البشعة فى حقه وهو زوجها!.. فالخيانة فى البدايـة والنهاية هى خطيئة الخائن الشـخصية وليس أحدا غيره، ولايستطيع انســان فى الوجود رجلا كـان أم امرأة، ومهما أحاط شريك حياتــه بالقيـود والسدود، أن يمنع أحـدا من خيانتـه إذا سمحت له أخلاقياته بها، وانعقدت ارادته على ذلك، ففيم التلذذ إذن بالمجاهرة بخطيئة



لاتغسلها مياه البحر لإيلام الخصوم وجرح مشاعرهم وهز ثقتهم ف أنفسهم؟

اننى أقدر لزوجك بالطبع شرف خصومته مع مطلقته وقيامه بمسئوليته المادية والأدبية عن ابنها وتعففه عن إثارة هذه المسألة الشائكة التى تنال منه ومن أعزائه بقدر ماتنال من تلك السيدة إذا صح كل ماورويت عنها، لكنى رغم ذلك كنت أفضل ألا يتعامل معها بمثل هذا التخاذل من البداية وإلى الحد الذى تستشعر هى فيه «عزة» الطرف الأقوى ، وليس تخاذل الطرف الخاطىء واستخزائه وبحمله بالتعفف عن النزاع والتهديد وإثارة المتاعب.. إذ كيف يجوز لأحد أن يتفنن فى الايلام واختيار مقاتل الإنسان لكى يطعنه فيها بلا رحمة ولو أدان نفسه فى سبيل ذلك بارتكاب أبشع الخطايا؟.. وماذا يتوقع منا بعد أن يفعل ذلك، هل يتوقع أن نطلب منه نحن «العفو» وتكتم عاره حرصا على سمعة أعزائنا؟.. لقد كان زوجك يستطيع أن يلجمها ويوقفها عند حد الأدب مع استمراره فى أداء التزاماته تجاهها، إذا كان قد ذكرها فقط فى عنفوان عدوانيتها واجترائها عليه بأنه الضحية وليس الجانى، وانه يستطيع لو أراد أن يدينها أمام الجميع بالجرم المشهود وان يقيم دعوى انكار نسب ضدها مهما كان شأن شريكها فى الجريمة أو حساسية وضعه بالنسبة له، فان كان لم يفعل ذلك وكان من الحكمة حقا ألا يفعل، فلتفق إذن من غيها وتتعامل معه بما يستحقه من احترام منها ومن عدل فى تعاملها معه.. وإلا صدق عليها قول الأديب الراحل مصطفى صادق الرافعى:

ما الام الشجرة التى لو نطقت لشتمت من يسقيها!

وإذا كانت الأمور قد تجرى على هذا النحو أحيانا، وكما يقول المثل الهولندى القديم.. من انه حين ينقلب الحب إلى كراهية فانه لايعرف حدودا.

فالحق أيضا. منْ ناحية أخرى انها لاتجرى على هذا النحو حتى ولو انقلب الحب إلى كراهية بين من لايعرفون شرف الخصومة ولايلتزمون بأخلاقيات الخصام التى تعتبر المحك الحقيقى لأخلاق الإنسان، أما من يعرفونها فهؤلاء هم من ينطبق عليهم قول الإمام على بن أبى طالب فى نهج

البلاغة فى صفات المؤمن التقى حين يقول عنه إنه: لايحيف على من يبغض.. ولايأثم فيمن يحب!

أى لا تدفعه كراهيته لمن يكرهه إلى أن يظلمه أو يحرمه حقا، ولاتدفعه محبته لآخر إلى ألا يلتزم معه بحدود ربه.. أو بالعدل الذى لايعطيه ماليس من حقه.

فإذا ناقشت بعد ذلك مشكلتك الحقيقية وهى عدم الانجاب، وليست آثار «المدينة» اياها التى تبعت زوجك إلى عشك معه وسوف تتبعه إلى نهاية العمر، فانى أقول لك ياسيدتى اننى أحس من ثنايا سطورك وكلماتك العطوف عن زوجك، انك ترتبطين به ارتباطا عضويا يصعب عليك فصمه.. فإذا كنت تتحرقين لانجاب الأطفال وممارسة أمومتك، فلاشك إنك وحدك التى تستطيعين أن تحسمى هذا الاختيار الصعب بين حبك لزوجك وسعادتك معه برغم كل هذه المتاعب، وبين تطلعك المشروع بعد اثنى عشر عاما من الزواج إلى الانجاب، وإن كانت عشرتك الطيبة لزوجك طوال اثنى عشر عاما، ترجح اختيارك، للاستمرار والتماس التعويض من السبل المتاحة، فمن واجب زوجك أن يعينك على هذا الاختيار بألا يقصر فى طلب العلاج لنفسه حتى ولو من باب الإرضاء النفسى لك وإبراء الذمة.. لترضى بعد ذلك بحياتك إذا رضيت بها.. ولالوم عليك إذا فعلت، فالسعادة الحقيقية أيضا شىء عزيز المنال، ولاتسخو علينا الحياة بها فى كل الأحوال، ونحن نرضى غالبا عن بعض جوانب حياتنا ونسخط على البعض الآخر.. وسيكون هذا هو الحال دائما فى أى اختيار يختاره الانسان لنفسه، والسعداء منا هم من يسلمون بهذه الحقيقة ويقبلون بها ويستمتعون بما أتاحته لهم الحياة من أسباب السعادة حتى ولو كانت غير بادية لعيون الآخرين.. والحق اننا نجفل غالبا من التضحية بالموجود، لصالح المجهول الذى لانعرفه ولانعرف هل سنسعد به أم نشقى، ولايقدم على هذه المخاطرة غالباً إلا أهل المجازفة أو من تدفعه ظروف شديدة القسوة والالحاح للاقدام على التغيير، والتضحية بما بين يديه وانت وحدك التى تستطيعين أن تقررى هل بلغت دوافعك إلى التغيير هذا الحد من الالحاح أم لا، وهل فرصتك فى الانجاب من آخر مضمونة أم لا، ثم تختارين لنفسك



بعد ذلك ماترينه محققا لاحتياجاتك الانسانية، وبشرط ألا تضيقى بتبعاته وقرابينه التى لامفر منها.. وإذا صح تقديرى فان اختيارك فى النهاية سوف يكون لصالح حياتك الحالية مع زوج عطوف ترين الحب فى عينيه فى كل لحظة.. ويحسن عشرتك، ويتمسك بك ولالوم عليك أيضا لو فعلت.. بإذن الله..

٢١

٣٠ قصة حب واقعية

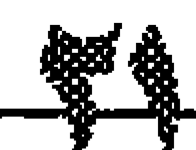
فى الطريق

أنا سيدة فى الثانية والاربعين من عمرى أحمل مؤهلا دراسيا عاليا، وأعمل بوظيفة محترمة ولى ابن عمره ١٦عاما وابنة عمرها ١٣سنة، وكلاهما يدرس بمدرسة راقية والحمد لله. أما زوجى الحبيب فيبلغ من العمر ٤٤عاما، وقد تزوجنا عن حب بعد انتهائنا من مرحلة الدراسة وبدأنا حياتنا حينذاك من الصفر وتحملنا صعوبات البداية القاسية معا وتجاوزناها بالحب والصبر والتعاون بيننا وكانت كلها صعوبات مادية إلى أن منّ الله علينا بكل شىء، وتهيأت لنا بعد سنوات الكفاح أسباب الحياة المريحة من شقة لائقة وسيارة مناسبة ومستوى مادى جيد، كما ظلت علاقتى بزوجى منذ البداية ــ وهو الأهم ـ مثالية فى كل شىء والحمد لله ولاعجب فى ذلك فهو انسان طيب وعلى خلق ودين كما انه أب رائع لابنائه يحبهم ويحبونه ويعطيهم من نفسه كل مايملك، أما عن عمله فهو يعتبر خبيرا فى تخصصه ويعمل بوظيفة مهمة فى القطاع الخاص، ومنذ عام وبضعة شهور بدأت ألاحظ على زوجى الحبيب انه لايلتزم بمواعيده المألوفة فى العودة للبيت، وانه يرجع إلى أسرته مرهقا ولايرغب إلا فى الاستسلام للنوم.. فظننته مجهدا بكثرة العمل ثم بدأت أتوجس من ان يكون مريضا ولايعتنى بصحته العناية الكافية فطلبت منه أن نذهب معا لاستشارة الطبيب فى حالة الارهاق المستمر التى يعانى منها، فرفض وهون على الأمر بأنه لايعدو ان يكون بعض الاجهاد بسبب العمل، وسوف يسترد حيويته بعد بعض الوقت، فلم أشأ الضغط عليه فى هذا الأمر حرصا على مشاعره، وتعمدت عدم الاشارة إليه بعد ذلك، لكيلا أوذى مشاعره كزوج! لكن زوجى استمر فى التأخر عن العودة لبيته وزاد تأخره وبدأ يكذب أيضا وينكشف كذبه فى تقليل أسباب تأخره كل هذا الوقت عن بيته وزوجته، وهو الذى عهدته صادقا منذ عرفته خلال مرحلة الدراسة الجامعية. وتكرر ذلك منه أكثر من مرة.. وبدأ القلق يسيطر علىّ فوجدت نفسى فى لحظة انهيار أواجهه بكل ما ألاحظه عليه من تغيرات وأطالبه بتفسيرها لى، فإذا به يعترف لى بآخر ماكنت أتوقع ان اسمعه فى يوم من

الأيام من حبيب العمر وهو أنه قد تزوج!.. ياإلهى تزوج؟.. نعم.. تزوج من فتاة عمرها ٢٥سنة وتحمل مؤهلا متوسطا وتقيم أسرتها بأحد الأحياء العشوائية فى القاهرة، وأبوها عامل بسيط.. وتزوجها منذ حوالى تسعة شهور!

وتوالت اعترافاته المذهلة أمامى فحكى لى انه قد تعرف عليها فى الطريق إذ عاكسها وهو يركب سيارته فاستجابت لمغازلته وركبت معه السيارة وتعارفا وبدأ يلتقيان ويتواعدان لمدة ستة شهور «أحبها» خلالها ورغب فى الزواج منها، فتقدم لاسرتها التى فرحت به جدا فاشترى لها شقة بالتقسيط بمبلغ ٣٠ألف جنيه «كما يقول» وأثثها بعد ان أقنع أصلا أقاربه باقراضه مبلغ ١٨ألف جنيه لانه فى حاجة «ضرورية» له وقد جرى كل ذلك وأنا غافلة تماما ومطمئنة اطمئنانا نهائيا إلى ثقتى به وبأخلاقياته المألوفة، أما ماجرى بعد المواجهة والاعتراف فهو أعجب، لان زوجى لايريد التخلى عن تلك الفتاة، ولايريد أيضا التخلى عنا، ويطالبنى بأن اتقبل الأمور على ماهى عليه وألا اتخلى عنه لانه لايستطيع العيش بدونى ويحب أولاده ويعشقهم ويلبى لهم كل مطالبهم!

ومنذ وقعت هذه المواجهة وانا أعيش فى دوامة من الحيرة والعذاب وقد أصبح نظام حياة زوجى هو ان يخرج من بيتى فى الصباح لعمله.. ويخرج منه بعد انتهائه فلا يرجع إلى زوجته وأولاده، وإنما يمضى إلى «الأخرى» فيقضى معها ٥ أو ٦ ساعات ثم يعود إلينا فى نهاية السهرة أو الامسية السعيدة وكأن شيئا لم يكن! أما ملابسه ونقوده وأوراقه المهمة ففى بيتى، وأما حديثه عن العمل ومشاكله ومسئولياته وأسرته وأصدقائه فمعى وحدى وأى مشكلة يواجهها يرويها لى أنا، وأما أبناؤنا فلا يعرفون شيئا عما جد على حياة أبيهم، ولاأريدهم أن يعرفوا حتى لاتهتز صورته أمامهم وقد اتفق هو مع «الأخرى» على عدم الانجاب، حتى لايتسبب انجابها فى أن يؤدى ابننا الوحيد الخدمة العسكرية، وبعد أن كان فى بداية زواجه منها يبيت عندها بعض الليالى بحجة السفر فى مهمة عمل، تعذر عليه ذلك الآن بعد انكشاف الحقيقة، ولم يعد يقضى الليل معها وانا الآن أعانى من الحيرة والألم ولا أعرف حلا لمشكلتى أفكر أحيانا فى أن أترك له كل شىء وأرحل إلى إحدى المحافظات النائية لأعمل بها وأطوى هذه الصفحة من



حياتى نهائيا، لكنى لاأقوى على ترك أولادى، ولا أعرف كيف ستكون مشاعرهم تجاه أبيهم إذا طلبت الطلاق وعرفوا أسبابه، كما أنى، لاأريد أيضا أن أدمر فى داخلهم كل شىء نبيل وطيب إذا دمرت بغير قصد صورة أبيهم الحنون الرزين فى مخيلتهم.

وهو من ناحية أخرى يرفض هذا الحل بشدة ويقسم بكتاب الله على أنه «يحبنى» ويحب أبناءه وانه لم يتوقف عن حبى لحظة واحدة رغم كل ماجرى ويريدنى معه إلى نهاية العمر، وأنا لاأستطيع الصبر على هذا الوضع الشاذ حتى النهاية، وحالتى النفسية والمعنوية فى تدهور مستمر وفى حين أعانى أنا أحزانى وحدى إلى جانب مسئولياتى عن ابنائى وبيتى وزوجى واسرتى وعملى.. تقبع الأخرى فى مسكنها وتنتظر منى ان أترك زوجى لها وليس لديها ما يؤرقها من هموم ومسئوليات وتعيش فى بحبوحة من العيش بالمصروف الكبير الذى يقدمه لها ولديها شقة تمليك باسمها، ولايشغلها شىء سوى أن تنتظر كل أصيل وهى فى أبهى صورة عودة «أمير»إلى «أميرته» فهل هذا عدل! أو لم يكن زوجى يستطيع المقاومة والصمود لهذا الاغراء.. وكل مافعله يتناقض مع كل ماكان يؤمن به من قبل!.

أو لم يكن يستطيع أن ينبهنى من البداية إلى مايتعرض له من إغراء أو ضغوط لكى أساعده على المقاومة..، ولكى يحتمى بى وبأولاده فى مواجهتها؟ وكيف سمح زوجى لنفسه بمغازلة الفتيات فى الطريق العام وهو الذى كان يستهجن ذلك بشدة من قبل؟ وكيف أقام علاقة عاطفية مع فتاة صغيرة وهو متزوج ثم يتزوجها بهذا الشكل، ولماذا لايريد أن يدعنى لحالى ويلح علىّ دائما بأنه يحبنى ولايستطيع الاستغناء عنى ولاعن حياته معى؟

اننى أكاد أجن من كثرة التفكير فى أمرى كل لحظة وأحس ببوادر الاكتئاب والانهيار تقترب منى،، وأراجع نفسى وحياتى مع زوجى ليل نهار واتساءل فيم أخطأت معه حتى فعل مافعل؟ ولماذا لم يصارحنى بأخطائى لاتخلص منها فلا يصبح لديه سبب يدعوه لأن يحيا هذه الحياة المزدوجة؟ إنه ينفى عنى أننى قد قصرت معه أو أخطأت فى شىء.. ولايقدم لى تفسيرا لما فعل ويكتفى بمطالبتى بان أعتبر مافعل مجرد «قلة أصل» منه!

لكنى لاأستطيع التسليم بهذا التفسير ولا أستطيع الصبر على ماأعانيه وحدى لأننى لاأريد لأهلى أو لأحد من الأصدقاء أن يعلم بما جرى وأدعو الله كثيرا أن يوفقنى إلى حل عادل لمشكلتى فبماذا تنصحنى؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

لاجديد تحت الشمس ياسيدتى، فالإنسان هو الإنسان فى كل مكان وزمان.. ومن متناقضاته الغريبة أنه قد يرغب لنفسه أحيانا فى الحد الأقصى من الأشياء، ويطالب الآخرين فى نفس الوقت بالتنازل عن بعض حقوقهم الطبيعية من أجله لكى تكتمل له هو السعادة من كل جوانبها وبغض النظر عما ينعكس عليهم من آثار هذه السعادة نفسها من عناء وشقاء!

وهذا هو بالضبط مايطالبك به الآن زوجك الحبيب الذى اكتملت له حياته الخاصة ولم يجد مايشكوه منك كما يصارحك بذلك فبدلا من أن يسعد بما أتيح له ويشكر ربه عليه تطلع إلى الاستزادة من «النعم».. ورغب فى شىء من الاثارة والمغامرة والتجديد، ولم ير بأسا فى ان «يجرب» ماكان يعيبه على الآخرين من قبل فيغازل فتاة فى الطريق ويقيم معها علاقة غرامية،ثم تسحبه رمال التجربة الناعمة أكثر فأكثر فيتزوجها سرا ويتمزق بين بيتين لبضعة شهور ويرجع خلالها لشريكة عمره وابنائه «مجهدا» لايرغب إلا فى الاستسلام للنوم، ثم تضطرب شخصيته التى كانت مستقيمة من قبل فيتورط فى الكذب مرة بعد أخرى إلى أن ينكشف أمره ويعترف لزوجته بكل ماحدث! وإلى هنا فقد نتجاوز رغم كل شىء عما فعل فكل إنسان معرض للخطأ.. وقد تغفر له شريكة العمر ماتورط فيه من خيانة وعبث إذا صدق ندمه وأبدى رغبته فى تصحيح خطئه وتحمل تبعات ذلك بشرف، لكن مايثير التأمل حقا هو مايطالبك به زوجك وكل من يجد نفسه فى مثل موقفه غالبا، وهو أن تتقبلى الأمور «كما هى عليه» وتواصلى حياتك معه فى حب.. وأمان وسلام، وتقدمى له كل ماكنت تقدمينه له من قبل من إخلاص وحنان ورعاية ومشاركة ومسئولية أمينة عن الأسرة والأبناء، ومظهر عائلى واجتماعى كريم يليق به ويتشرف! فإذا سئل ولماذا لاتصحح انت خطأك وتسرح تلك الفتاة التى لم تتجاوز علاقتك بها بضعة شهور بإحسان وتدعها لمصيرها فتتزوج شابا ملائما لسنها وتنجب منه

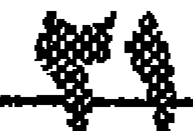
ماتحرمها أنت منه؟ أجاب عن هذا التساؤل المنطقى، بأبعد إجابة عن المنطق والعدل وأقربها إلى الأثـرة والأنانية فيجيبك غالبا بـالرفض لأن ذلك سوف «يخصم» من أسبـاب المتعـة والسعـادة فى حيـاتـه.. وهـو ليس راغبـا فى «التضحية» بشىء من ذلك ولهذا فهـو يطالب شريكة عمره ورفيقـة كفاحه وأم أبنـائه بأن «تضحى» هى من أجله وتتقبل الأمـور على «ماهى عليـه».. لأنه كما يتصـور الإنسان أحيانـا فى نفسه «الملك» الذى ينبغى أن يقـدم له رعايـاه القرابين وليس عليه هو أن يقـدم لهم أية «تضحية» ولـو كانت من باب تصحيح الخطأ والتنازل عن بعض المتعة الإضافية أو الترفيه فى حياته!

فإذا سئل بعـد ذلك وماذا إذا رفضت زوجتك قبـول الأمور «على مـاهى عليـه» وهذا من حقهـا شرعا وقـانـونا، وطلبت الانفصـال عنك لتبدأ حيـاة جديـدة هى الأخرى من باب الثأر للكـرامة أو التعويض والرغبـة فى نسيان التجربة الاليمـة.. هل تقبل ذلك؟ أجابك بلا تردد بـالنفى، وفسر لك رفضه بأن ذلك سوف يجعل لمغامرته العاطفيـة ثمنا باهظا لايقوى على أدائه وهو أن «تضطرب حيـاته الشخصيـة اضطرابـا مؤثـرا بالانفصـال عن شريكة العمر المقبـولة من الأهل والمجتمع» وتضطرب حياة أبنـائه الذين يعشقهم ويلبى لهم كل مطـالبهم اضطرابـا أشد وتهتـز صورتـه الاجتماعية أمـام كثيرين، فتكـون الخسائر أكثـر من الأربـاح.. هو يـريد كما هـو واضح أن يستزيد من «السعادة» لا أن يقلل منهـا ولهذا فالحل الأمثل من وجهة نظره هـو أن تتقبل شريكة عمـره الأمـور «كما هى عليـه» ولو عـانت هى مـرارة الخذلان وخيانة العهد وآلام الغيرة القاتلة من منافستها فى قلبه وحياته التى جاءت لتقطف ثمار شجـرة لم تروها بـالعرق والدمـوع وكفاح السنين كما فعلت هى.

أمـا «التضحيـة» بهوى النفس التى لا تتطلب إلا شجـاعـة الاعتراف بـالخطأ.. وشجاعـة الـرجـوع إلى الطريق الصحيح فليسـت فى حسابـه.. ولاينبغى ان يتوقعها أحد منه!

وهكذا الإنسـان فى بعض الأحيان ياسيـدتى، حين تسيطر عليـه أهواؤه ويعجز هو عن السيطرة عليهـا، فإذا كنت تسألييننى عما تفعلين فى مواجهة هـذا الموقف، فلعلى أكون قـد أجبت عن مثل هذا السـؤال عشرات المرات من قبل ولكن لابأس من التأكيـد على ماأقـوله دائما من جـديد وهـو أن الشرع

والقانون يعطيانك الحق فى طلب الانفصال عن زوجك إذا عجزت فى النهاية عن احتمال ضرر خيانة العهد ووجود امرأة أخرى فى حياته، لكن واجب الأمومة والمسئولية عن الأبناء الذين لاذنب لهم فى أزمة «منتصف العمر» عند بعض الرجال، يطالبك إذا قبلت بذلك بأن تدافعى عن حياتك وسعادتك وسعادة أبنائك فى وجه هذا الغزو الخارجى لحياتك العائلية، وبأن تبذلى كل ماتستطيعين لاستعادة زوجك واجتذابه إليك إلى ان يكتشف عبثية التجربة التى تورط فيها من الأصل ويصحح الأخطاء، ورأيى دائما هو أن من واجب من يخوض معركة الدفاع عن حياته ضد خصوم يحاولون هدمها هو ان يتصرف فى ذلك على نحو معاكس تماما لما يتوقعه منه الخصوم وبحيث لايعينهم أبدا على تحقيق أهدافهم فيخسر المعركة بلا مقاومة، فإذا كانت «الأخرى» مثلا تنتظر منك ان تتخلى عن زوجك وتنسحبى من الميدان وتدعيه لها لتنفرد به دونك فلا تفعلى ماتتوقعه منك أو تأمل فيه، وإنما تشبثى بموقعك وحصونك ودافعى عنها بلا هوادة وبكل الطرق المشروعة والحكيمة، وأذا كانت هى قد فرغت من كل الهموم والمسئوليات ولايشغلها إلا انتظار فارسها وهى فى «أبهى صورة» وتتوقع منك ان تهزمك أنت الأحزان والهموم بعد اكتشاف الأمر، فيذوى جمالك وتتحول حياتك مع زوجك إلى جحيم متصل من الصراع والشجار واللوم والحساب والأحزان، فلا تحققى لها هذا الأمل.. ولاتجعلى المقارنة تنعقد دائما فى ذهن زوجك بين ما يجده من حنان وعطف وسلام عندها لانه لامشاكل تؤرقها فى علاقتها به، وبين مايجده عندك من جدال وايلام وحساب واتهامات ونكد مقيم بسبب توتر العلاقة بينكما، بالضرورة بعد الأزمة، وانما اجعلى المقارنة تتخذ شكلا آخر لتصبح فى ذهن زوجك بعد خمود العواطف الطارئة مقارنة بين حب العمر الأصيل، الذى ارتفع فوق آلامه وكتم سره حتى عن اقرب الناس إليه ومازال يقدم له رغم معاناته الحب الصامت ويقدم لبيته وابنائه وحياته ومظهره العائلى والاجتماعى العطاء الوافر وبين عبثية المغامرة التى تورط فيها وأراد بها لنفسه أن يثبت لنفسه جدارته بقلوب الفتيات الصغيرات وهو فى منتصف العمر، فلم تلبث الرغبة أن خمدت بعد قليل.. ولم تلبث المشاعر التى تصورها أبدية أن همدت، ولم يبق من المغامرة إلا عناؤها وما تمثله بالنسبة لضميره من احساس مؤلم بالذنب تجاه زوجته



وأبنــائه هكذا ينبغي أن تكــون المقارنــة حقــا إذا قرَّ عــزمك على الدفــاع عن حيــاتك حتى آخر نفس، ولا تتصــورى أنك تواجهين «أميرة» لايشغلهــا من هموم الحياة سوى انتظار أميرها، وبـالتالى فهى أقدر منك على المنافسة أو لعلك لــو اطلعت على حيــاتها لأدركـت انها أيضــا لا تخلــو من هموم الغيرة القاتلة منك ومما تمثلينه فى حيــاة زوجك ومن جذور متأصلة يصعب عليها اقتــلاعها، ومن تغلغل فى حيــاتــه وأفكاره ومــاضيــه وحاضره ومستقبلــه يصعب عليها مــواجهته فضـــلا عن دور الأم والزوجــة العلنية التى يتشرف بانتمائها إليه أمام الآخرين، فى حين تشكــو هى من هامشية دورها فى حياة زوجهــا. ومن احساس « الجاريــة» التى لا يزورهــا سيدهــا إلا تحت جنح الظلام ولا يقضى معهــا سوى ساعــات فى الخفاء ولا يريد الانجــاب منها. وكل هـــذه العوامل تهدد بنيــان حيــاتها الهش، بالتهــدم فى أيــة مرحلــة من المراحل وتفقدها الاحساس بــالأمان والاطمئنان للمستقبل فتصرفى على هذا الاســاس يــاسيدتــى ولا تفقدى الثقــة فى نفسك ولا فى جــدارتك وأشعــرى زوجك بالرفض الصامت لما فعل فى استمرارك فى العطاء له ولابنائه وأسرته، وحددى له فترة زمنيــة معقولة يحق لك بعدهــا ان تختارى لنفسك وحياتك كما تشائين إذا لم يبــادر بتصحيح الخطأ.. قبل ان يتفاقــم وتخرق الأخرى شرط عدم الانجاب سرا لتصعب من حل المشكلة.

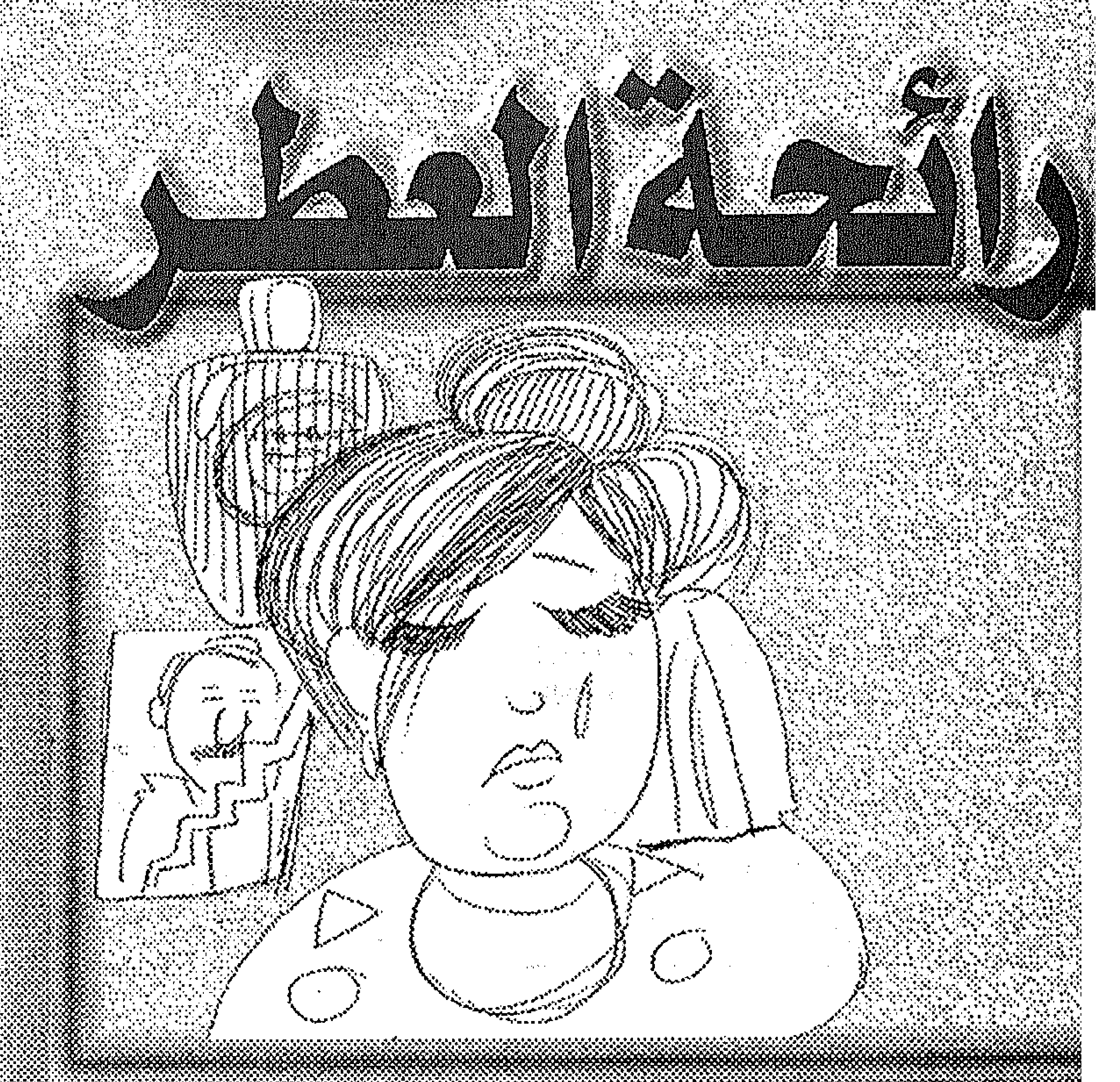
فإذا كان من أصحــاب القلوب الحكيمــة فلسوف يقدر لــك تعاملك، مع خيانته لك بهذا الاسلوب النبيــل وبهذا الحرص الأمين على كرامته وسمعته، وصــورته أمــام أبنائه وأهلــه وأهلك، ولن يطــول إبحاره فى بحــر المغامــرة وسيعود سريعا إلى زوجته وابنائه وينقــذ نفسه من هذا التمزق الذى لايليق به وبعمــره ومكانتــه، وسوف يتحمل تبعــات المغامــرة وخسائرهــا المادية بشرف ويكف عن هــذا «الــزعم» المخجل بأنــه «يحب» كليكما معــا ويتمنى استمرار الأمور على مــاهى عليه إلى النهاية فــالله لم يخلق لأحد من قلبين فى جــوفه، ولم تعــرف النفس البشريــة بعد قلبــا يتسع لعشق امــرأتين بنفس القدر ونــوع العشق فى نفس الوقت! فلماذا الإصرار إذن على محاولــة خداع النفس.. وخــداع شريكـــة العمــر بمثل هـــذا الادعـــاء ولماذا لايحســم أمــره بشجاعة، فيصحح خطأه ويسرح الأخرى بإحسان مع تعويضها التعويض المناسب، أو يدعك كما تختارين لنفسك ويتحمل عواقب فعلته؟

٢٢

«قصة حب «قصة حب
«قصة حب «قصة حب
«قصة حب «قصة حب
«قصة حب
«قصة حب
«قصة حب
«قصة حب
«قصة حب

٣٠
قصة حب
واقعية

رائحة العطر



قـرأت رسالـة «التحليل النهـائى» للسيـدة التى خانها زوجهـا ولاتجد سببا لخيانته وتسألك لماذا يخون الرجل زوجتـه التى تحيطه بكل مايدعوه للوفاء والاخـلاص، وأريد أن أروى لها قصتى لعلها تجد فيها مـايفيدها فى تجربتها، فأنا سيـدة خريجة لاحدى الكليات النظرية، وتـزوجت بعد قصة حب دامت أكثر من خمس سنوات، وأنجبت بنتين وولدا وعشت فى هدوء مع زوجى المحب الحنون وهـو انسان مستقيم الطبع لايعرف المراوغـة ونعمنا بـالسعـادة الصـافيـة والحب العميق المتبـادل.. فـزوجى هـو حبى الأول والأخير، وأنا فتاة أحـلامه التى كافح سنين طويلـة ليجتمع شمله معها كما انى على قدر لابأس به من الجمال والمظهر الحسن.

ولان أسرتى من إحـــدى محافظـات الجنـوب وأنـــا أقيم مع زوجى فى القاهرة حيث يعمل فلقد كنت أسافـر إلى بلدتى كل شهر أو شـهرين حسبما تسمح لى الظـروف لأزور أمـى التى أصبحت وحيـدة بعـد سفـر شقيقى للخـارج للحصـول على الدكتـوراة فأقيم معهـا يـومـا أو يـومين ثم أرجع لحياتى وزوجى وأسرتى.

ومضت حياتنـا على هذا النحـو خمسة عشر عامـا أو تزيـد، ثم مرضت أمى مرضـا شديدا استـدعى أن أكون إلى جوارهـا، فتركت زوجى وأبنائى وأقمت معها لـرعايتها فى مـرضها شهرا ونصف الشهـر ثم توفيت أمى إلى رحمة ربها واضطررت للاستمـرار فى بيت الأسرة فترة العزاء وحتى ذكرى الاربعين فطالت بذلك غيبتى عن زوجى وأولادى حوالى ثلاثة شهور.

وكـان زوجى يجىء لزيـارتى فى بيت أمى من حين إلى آخر فيبيت ليلتـه وحيدا فى بيت أسرتى لازدحام البيت بالأقـارب والزوار ثم يرجع إلى عمله فى اليوم التالى.

وقبل حلول موعد الذكرى بأيـام اتصلت ببيتى تليفونيا للاطمئنان على زوجى والأبنـاء كعادتى.. فلم أجـد أبنـائى فى البيت وعلمت من زوجى أنهم يقضـون بضعـة أيام عقب انتهاء الـدراسة لـدى عمتهم التى تقيم فى إحدى

ضواحى القاهرة وأن الشغالة قد تركت البيت منذ فترة، وتعجبت مما سمعت لعلمى بأن زوجى لايطيق ابتعاد أبنائه عنه.. ولايحتمل الحياة وحيدا، كما تعجبت أكثر لترك الشغالة للعمل فى بيتنا وهى مطلقة شابة وفى حاجة لمرتبها ولم تكن تشكو من شىء خلال عملها معنا.. ولم تفكر من قبل فى ترك العمل لدينا.. ولم استرح لكل ذلك ونهشتنى الوساوس والشكوك فى زوجى لأول مرة منذ زواجنا.. ولم أدر ماذا أفعل فذكرى الأربعين بعد خمسة أيام ويستحيل أن أترك بيت أمى.. قبلها فلم أنم ليلتها وفى الصباح حزمت أمرى وأبلغت أقاربى أنى أحتاج للسفر إلى القاهرة لأمر هام وسأعود قبل موعد الذكرى.

وسافرت للقاهرة دون إبلاغ زوجى بذلك ووصلت إلى بيتى فرأيت سيارة زوجى أمام البيت فى نفس الوقت الذى كان ينبغى أن يكون فيه فى عمله.. فترددت فى الصعود إلى مسكنى إشفاقا على نفسى من أن أفاجأ بما لا أحتمل رؤيته.. وظللت واقفة فى مكانى أراقب العمارة التى أقيم فيها حتى رأيت زوجى يغادرها ويركب سيارته ويمضى بها فاستجمعت إرادتى وصعدت إلى شقتى فما أن فتحتها حتى شممت رائحة عطر أعرفه جيدا تفوح من المكان.. وتذكرته على الفور فهو عطر كان قد جاءنى هدية ولم تعجبنى رائحته النفاذة، فأعطيته للشغالة التى تعمل عندنا لتتجمل به لزوجها ولم تكن قد طلقت منه وقتها وجريت فى الشقة كالمجنونة أفتش فى ارجائها.. فلم أجد أحدا لكنى وجدت على الكمودينو بجوار فراشى، نفس زجاجة العطر اللعينة التى أهديتها من قبل للشغالة.. ووجدت أيضا قميص نوم غريبا فى الحمام! فمادت الأرض بى وشعرت بدوخة وغثيان وبمشاعر غريبة.. وبكراهية هائلة لزوجى.. وأجهشت بالبكاء واستغرقت فيه.. فلم أدر إلا وزوجى واقف أمامى وهو فى حالة ذهول واضطراب والخجل الشديد يرتسم على وجهه.. ويسألنى أسئلة لامعنى لها فصرخت فى وجهه بما رأيت فلم يستطيع تبرير وجود زجاجة العطر وقميص النوم وراح ينكر بلا وعى ويتلعثم ويتعثر فى الكلام بطريقة واضحة.. ولايكاد ينطق بجملة واحدة مفيدة.. وإنما مجرد كلمات متقطعة.. وغير مترابطة.. ولا تفيد شيئا إلا الانكار، فطلبت منه الطلاق ودخلت غرفة الأبناء وأغلقتها على نفسى من

الداخل وظللت طوال الليل أبكي حتى طلع الصباح.. وتأكدت من أن زوجي قد غادر غرفة النوم ودخل الحمام ففتحت الباب بحرص وخرجت من الشقة عائدة إلى بيت أمي دون أن أراه أو يراني.

ورجعت لبيت الأسرة وأنا أبكي.. وكل من يراني يواسيني فى رحيل أمي وهو لايعرف إنني لاأبكي رحيل أمي وحدها.. وإنما رحيل الحب والوفاء والسعادة عن حياتي أيضا.

ووجدت نفسي أواجه هذا السؤال المرير:

ماذا أفعل مع هذا الزوج الخائن؟

وفى اليوم التالى جاء زوجي إلى بيت أمي ليحضر ذكرى الأربعين فرأيته منكسرا ويتحاشى التقاء عيوننا، وانتهز أول فرصة اختلى بى فيها وأخذنى بين ذراعيه وبكى وكانت المرة الأولى التى أرى فيها دموعه.. فدفعته عنى برفق وتركت له الغرفة وخرجت، وفى الصباح التالى طلب منى إغلاق شقة والدتي والعودة معه إلى بيتنا لنتفاهم هناك على كل شيء .. ورفض السفر بدوني فرجعت معه ووجدت أولادى فى انتظارى بشقتي وكان لقاؤهم بى حارا وجميلا، وفى مسكننا حاول زوجي مرة أخرى أن يضمني إليه.. وأجهش بالبكاء بصوت عال ولكن دون اعتراف بما فعل.. فتركته وابتعدت عنه وأفكارى ومشاعرى متضاربة وغريبة.. أراجع حياتي معه فأجده كان طوال ١٥ عاما مثالا للزوج المحب الحنون السخي فى عطائه النفسى والعاطفي والمادى لى والأب المثالى لأبنائه علاوة على حبي الشديد له، ثم أستعيد مافعل وماصدمني به صدمة هائلة فتثور ثائرتي وأحس بالجرح العميق لحبي وكرامتي.. ورغم غضبي الشديد وحيرتي فلقد شعرت بأن شيئا مافى داخلى يود أن يسامحه على مافعل لكن كرامتي تأبى على ذلك!

وأخيرا وبعد حيرة شديدة اهتديت لقرار هو أن أصلى لله وأدعوه أن يهديني للصواب ففعلت.. واجتنبت زوجي وحرصت على الابتعاد عنه بضعة أيام.. وكلما مضى يوم أجد ذلك «الشيء» اللعين بداخلى يعود ويحثني على أن أسامحه وأقبل ندمه الصامت بل ويلتمس له بعض «العذر» وليس كله فيما فعل رغم بشاعته فى الضعف البشرى اللعين.. وفى انه قد

فعل ماقعل بسبب ابتعادى عنه ثلاثة شهور طويلة لم تسمح لنا الظروف خلالها بالالتقاء كزوجين محبين.

وخلال صراعى مع نفسي جاءنى زوجي وطلب مني إذا كنت قد كرهته نهائيا أن أصارحه بذلك مؤكدا لى إنه لايستطيع الحياة بدونى.. فلم أجبه بشيء.. لكنى حزمت أمرى بينى وبين نفسي وقررت ألا أضحى به أو أهدم بيتى وأسرتى وأشقى أبنائى من أجل غلطة وحيدة ارتكبها زوجي مهما كانت مؤلمة.. وأملت فى أن تداوى الأيام جراحي، واستأنفت حياتي مع زوجي وأنا راغبة فى الصفح والاستمرار معه وظللت أعواما بعد ذلك وأنا أعانى من آثار هذا الجرح حتى التأم تماما.. ونسيته ونسيت هذه الواقعة تماما فلم أشر إليها معه قط ولم يتطرق لها من قريب أو بعيد طوال السنوات الماضية فكأنما سقطت هذه التجربة من ذاكرتى إلى غياهب النسيان طوال السنوات الماضية، حتى تذكرتها وأنا أقرأ رسالة تلك الزوجة واسترجعت تفاصيلها ولكن بلا مرارة ولاضيق فكأنما قد حدثت لانسانة أخرى غيرى.. وراجعت موقفى فيها وماتخذته من قرار بالصفح وإعطاء زوجي فرصة أخرى فوجدتنى غير نادمة على هذا القرار، فلقد أكدت لى عشرة السنين بعد هذه الواقعة إنه كان ومازال الزوج الحنون ـ المخلص المحب لزوجته وأبنائه.. والذى شاركنى وشاركته حلو الحياة ومتاعبها.. وحمانى من الوحدة والمعاناة وتشاركنا فى تربية الأبناء حتى بلغنا بهم شاطىء الأمان ولربما لم يكونوا ليحققوا ماحققوه فى حياتهم من نجاح وسعادة لو كنت قد استسلمت لنوازع الغضب وحدها فأعمتنى عما لزوجي من مزايا أخرى وعما لأبنائي من حقوق علىّ وعليه.

لقد أردت أن أروى لكاتبة رسالة «التحليل النهائي» قصتى لأطلب منها أن تغفر لزوجها تلك النزوة ولكن بشرط ألا يعود لمثلها أبدا وبشرط أن تكون توبته عنها صادقة، فنحن معشر النساء مطلوب منا أن نكون أوسع أفقا وأكثر تسامحا مع من يستحق هذا التسامح إذا كان زوجا حنونا ومحبا وسخيا فى عطائه لزوجته وأسرته، وسؤالى لك ياسيدى فى النهاية هو: هل الرجل حقا ضعيف إلى هذا الحد؟ وهل من الممكن أن يحب الرجل زوجته فعلا ثم يقدم رغم ذلك على خيانتها؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

يقولـون ان الأصل فى وصف الغضب الشديد عـادة «بالغضب الأعمى» هو انـه يعمى بصيرة الإنسان عن كل شىء آخر حـوله ويحصر كل تفكيره ومشـاعره فى الموقف الـذى استثار غضبـه فيتخـذ الإنسان من القـرارات والتصرفات الانفعاليـة مايتعامل به مع الموقف وحـده ويغفل أو تغيب عنه خلال سورة الغضب ظـروف واعتبارات أخرى كانت جديرة بمـراعاتها لو كانت قد اتيحت له فرصة التفكير المنطقى الهادىء فى الأمر كله.

لهذا قيل بحق ان الغضب الشديد عدو التفكير السديد.

وقال بـرناردشـو ان الغضب ريح هوجـاء تطفىء شمعة العقـل! وأكاد أضيف إلى عبارته البليغة هذه:.. والقلب أيضا!

وأحسب يـاسيدتى ان مـاأنقذ زواجـك وسعادتك من الانـهيـار عندمـا حدثت تلك الـواقعة القديمـة هو أنك لم تستسلمى لقـرار الغضب التلقائى الذى اتخذتـه فى سورة انفعالك حين رأيـت مارأيت فى شقتك، وإنما أعطيت نفسك فرصـة عادلة للتفكير الموضـوعى الهادىء فى علاقتك بـزوجك فأتاح لك هـذا التفكير الهادىء مـراجعـة النفس وتأمل هـذه الواقعـة على ضـوء ماضيـه معك وعلاقتك الطويلة بـه فانتهيت من المراجعة إلى اعتبـار ماوقع منه ضعفـا عابرا وليس أصيـلا فى شخصيته.. ووجدت فيما أحـاط به من ظروف ومـلابسات كغيابك عنه ثـلاثة شهور بعض «مـايفسر» لك أسباب هـذا الضعف وان كـان لايبرره بالطبع، فملت للتجـاوز عن خطيئتـه وألح عليك ذلك الشىء الذى بداخلك للعفـو عنه، وماكان ذلك «الشىء» إلا الحب القديم والعظيم الـذى تحملينه له والـذى صمد لهذه العاصفة ونجـا منها، وماشجعك على الـرجاء فيه.. وفى ان يكـون ندمه على مـابدر منه صـادقا.. سوى تاريخه القديم معك ورصيده السابق لديك..

وهذا هو الفارق الهام، بين خطأ الإنسـان حين تكون الاستقامة الخلقية هى طـابع شـخصيته ثم تـزل قـدمه ذات مـرة إلى هاويـة الضعف البشرى فينـدم على مـافعل، ونتجاوز نـحن بعـد حين عن غضبنـا منـه ، وبين خطأ الإنسان المتكرر حين تكون النزوة والاستهتار الخلقى هما طابع شخصيته فيدمن الخطأ وطلب العفـو عنه كل حين، ويعجب لنا عندمـا نضيق ذرعا به

وبأخطائه المتتالية ونرفض الصفح عنه.

وقد أثبتت لك تجربة السنين ياسيدتى انك قد تسامحت مع من كان يستحق منك هذا التسامح فعلا فمضت حياتكما بعد ذلك هادئة مطمئنة معطرة بعطر الحب والوفاء والعرفان.

ومن حقك ان ترضى عن اختيارك للعفو عنه وتفضيلك للاستمرار معه ولمصلحة أبنائك على المدى البعيد.. لو تخيلت الآن فقط عمق الهوة التى كان من الممكن ان يجرفك إليها قرار الغضب وحده لو لم ينتصر قرار الحب ويذكرك برصيده القديم لديك ويهديك إلى الرجاء فيه.

ولايتأتى ذلك غالبا إلا للمنصفين وأصحاب القلوب الحكيمة الذين لايهدرون كل ما قدمه لهم الآخرون من قبل عند أول خطأ أو تصرف لايلقى منهم قبولهم، ولا يتصرفون فى ذلك بمنطق الخرافة العربية القديمة التى تزعم إنه كانت هناك سلحفاة تضع تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف جيدة ثم تضع بيضة فتفقس حية تلتهم التسعة والتسعين كلها!

فى حين يفعل ذلك للأسف بعض شركاء الحياة مع شركائهم فينسون لهم كل شىء عند أول خطأ.. أو خلاف.. أو منعطف لايتفق مع رغباتهم فكأنما قد التهم خطؤه أو تصرفه الأخير التسعة والتسعين التى قدمها لهم كلها.

ومن أجمل ماقرأت مؤخرا لأحد علماء السلوكيات.. عبارة يقول فيها:

لاتتخذ أى قرار مصيرى فى حياتك إلا إذا درت حول التل دورة كاملة!

وتفسير هذه العبارة هو أن كل مشكلة مصيرية تواجه الانسان إنما تنتصب أمامه كالتل المرتفع ولن يتأتى له أن يتخذ بشأنها القرار الصحيح.. إذا اكتفى بتأمل جانب التل المطل عليه وحده وإنما لابد من ان يدور حول هذا التل دورة كاملة لكى يرى كل جوانبه الأخرى ويوازن بينها وتكتمل له كل معالم الصورة فيكون قراره أقرب للصواب منه لو كان قد اتخذه وهو لم ير من التل إلا جانبا واحدا ناهيك عما تتيحه له هذه الدورة من مهلة كافية للتروى والتفكير الهادىء قبل اتخاذ أى قرار.

والمؤكد انك قد درت حول التل دورة كاملة أتاحت لك رؤية الجوانب الأخرى فى زوجك.. وحياتك.. وأبنائك فاتخذت قرارك على ضوء ذلك كله



ولم تتدس عليه ونصيحتك لكاتبة رسالة «التحليل النهائى» مشكورة ومأجورة.

أما سؤالك عن ضعف الرجل وهل يصل به إلى هذا الحد.. وهل يمكن حقا ان يحب الرجل زوجته ثم يقدم على خيانتها، فإنك تفتحين به بابا لحديث شائك طويل ليس هذا مجاله وان كنت قد أجبت عن جانب من هذا التساؤل فى ردى على رسالة التحليل النهائى.. وعلى أية حال وتجنبا للحرج فانى أقول لك كما قلت من قبل ان الدين هو أكبر عاصم للإنسان ضد الخطيئة.. وأن الحب هو أكبر عاصم له ضد الخيانة .. وبعد ذلك أقول لك ان ضعف الرجل يختلف فى الشرق والغرب وفى كل مكان عن ضعف المرأة، مع التسليم دائما بأن لكل قاعدة استثناء فى كلا الجنسين.. فالمرأة إذا ضعفت فإنها تضعف غالبا استجابة لنداء الحب وحده.. أما الرجل إذا ضعف فإنه قد يضعف استجابة لنداء الحب.. وقد يضعف أيضا استجابة لنداء الغريزة المتوحشة التى لم يردعها عاصم من دين.. وصادفت ظروفا وإغراءات يسرت الاستجابة لندائها.

وبعض الرجال — لابد أن نعترف بذلك - يتعاملون فى ذلك مع نداء هذه الغريزة كما يتعاملون مع غريزة الطعام الذى يقيم الأود ويمنع الهلاك جوعا، ويفصلون فى تعاملهم معها بين « حبهم » لمن يحبون وبين تلبيتهم لندائها عند الضرورة أو فى نزوة عارضة.

وهو خطأ نفسى وعاطفى ووجدانى وأخلاقى غريب، لانه يفصل بين وظيفتين لافاصل بينهما فى الحقيقة عند الاسوياء والناضجين عاطفيا وإنسانيا وخلقيا.. ناهيك عما يحمله من تعارض مخيف مع نواهى الدين وأوامره.. ويكفى هذا الحد من الحديث فى الأمر الشائك - وشكرا.

٢٣

٣٠ قصة حب واقعة

التحليل النهائي

أنا سيدة فى الثلاثينات من العمر.. جامعية وخريجة إحدى كليات القمة كما يقولون عنها.. تزوجت وعمرى ثلاثة وعشرون عاما من مدرس بالمرحلة الابتدائية يكبرنى ببضع سنوات وبعد عام من الزواج اكتشفت «الكارثة الكبرى» التى تنتظرنى وهى أن زوجى غير قادر على الانجاب نهائيا.. ولن أزعم لك ياسيدى أن ذلك لم يصدمنى أو لم يؤثر فىّ كما قد تزعم بعض السيدات فى مواقف مماثلة وانما سأكون صادقة معك ومع نفسى فأقول لك ان هذا الخبر قد زلزلنى وحطمنى تماما، ليس لأننى كنت أحلم فقط بأن أكون أما منذ صباى وإنما أيضا لأنى أحب كل الأطفال ولاتخلو حقيبة يدى أبدا من بعض الحلوى لهم وقد كنت أحلم بأن تكون لى أسرة كبيرة تضم ثلاثة أو أربعة أطفال لأنه لاعم لى ولا خال، لكن هكذا شاءت إرادة الله، فلم أيأس ولم أتوان ولم أقصر فى خدمة زوجى وواجباتى معه فى كل موقف بل ورحت أؤكد للجميع وفى كل مناسبة أننى المسئولة عن هذه «المصيبة» وذلك لكى أدفع عن زوجى الحرج والاحساس بأى نقص، ورحت أستمع باهتمام إلى نصيحة كل صديقة وكل جارة تقدم لى خبرتها فى التغلب على مشكلة عدم الانجاب بل وأكتب اسم طبيب أمراض النساء الذى تنصحنى به شاكرة.. وأتظاهر بنيتى فى الذهاب إليه أمام الصديقة.. ولاأفعل ذلك بالطبع. وعشت حياتى مع زوجى فى هدوء رغم مرات الخلاف البسيط القليلة بيننا والتى كنت أفضل فيها العودة إلى بيت أسرتى حتى تهدأ النفوس وأستجيب لرجاء زوجى فى العودة حين يجيئنى مصالحا بلا تردد، وأيضا رغم فترات وحدتى الطويلة فى شقتى من الخامسة مساء كل يوم وهو موعد عودتى من عملى إلى منتصف الليل، وهو موعد رجوع زوجى من عمله الاضافى حيث يعمل فترتين.

وخلال ذلك لم نكن نقصر فى طلب العلاج والذهاب إلى الأطباء، ثم شاء القدر بعد ست سنوات من الزواج ـ أن يظهر فى حياتنا أمل جديد فقد ذهبنا إلى طبيب أعطانا الأمل فى أن يثمر العلاج ثماره المرجوة هذه المرة، وأعطانا

علاجا مكثفا لمدة أربعة شهور نفذناه بدقة فلم يثمر النتيجة المرجوة.. فكررنا العلاج المكثف لأربعة شهور أخرى ولم يتحسن الموقف أيضا، فكررنا العلاج لأربعة شهور ثالثة.. وصارحنا الطبيب بأنه الأمل الأخير لنا وانه لن يستطيع - إذا لم يحقق النتيجة المرجوة .. أن يفعل أى شىء آخر وتمسكنا نحن بهذا الأمل الأخير حتى النهاية وتناولنا العلاج المكثف بحرص شديد وأمل لاينقطع فى رحمة الله وانتهينا منه بسلام وتحدد لنا يوم ٨ ديسمبر الماضى للذهاب إلى الطبيب لاجراء التحليل النهائى لخصوبة زوجى بعد آخر دورات العلاج.. وخفق قلبى بشدة خوفا مما قد يكشف عنه هذا التحليل النهائى وحزمت أمرى بغير تردد وصارحت أقرب صديقاتى بأنه كيفما جاءت نتيجة التحليل الذى يتوقف عليه آخر أمل لنا فى الانجاب، فإن مشاعرى تجاه زوجى لن تتغير ولن تتبدل وسأرضى بحياتى وبما شاءته لى الأقدار بغير سخط.

وفى اليوم السابق لإجراء هذا التحليل خرجت من البيت للذهاب إلى عملى كالمعتاد صباح كل يوم.. ووقفت فى إنتظار سيارة العمل التى تنقلنى إليه فتأخرت السيارة طويلا على غير العادة.. وبعد ساعة ثقيلة يئست من الانتظار وهممت بركوب المواصلات العامة لكنى زهدت فى ذلك فجأة وساءلت نفسى لماذا أتحمل عناء المواصلات العامة طوال هذه المسافة الطويلة إلى العمل وقررت فجأة عدم الذهاب للعمل والحصول على إجازة عارضة ذلك اليوم وعذرى فى تخلف السيارة مقبول، ورجعت إلى شقتى لأمضى اليوم فى بيتى وأقوم ببعض الواجبات المنزلية الاضافية، فأدرت المفتاح فى باب الشقة وفتحته بهدوء فإذا بى أرى زوجى العزيز الذى صبرت على عشرته كل هذه السنوات يجلس فى الصالة ليس فوق مقعد أو فوتيل ولكن فوق «حجر» سيدة لاأعرفها ولم أرها من قبل فى حياتى!

وقفت مذهولة لما أرى وعاجزة تماما عن النطق والحركة للحظات فإذا به يسألنى فى برود عن سبب عودتى.. وإذا بى أجيبه وأنا لاأدرى بما أقول بأن عربة العمل لم تحضر، ثم درت حول نفسى دورة كاملة لاأعرف لماذا واتجهت بتلقائية إلى غرفة النوم.. لاأعرف أيضا لماذا ربما لكى أرى هل تغير فيها شىء عما كانت عليه حين تركتها منذ ساعة، ثم عدت للصالة بعد

لحظات فلم أجد السيدة الغريبة التي كانت بالصالة منذ لحظات، ووجدت زوجي يقول لى فى هدوء مفتعل وكأنما يعرفني بشيء عابر لايستحق الحديث عنه طويلا: هذه مدام .... خطيبة أخي!

فلم أسمع منه كلمة أخرى وخرجت على الفور من شقتي وركبت سيارة أجرة إلى أهلى ودموعي تهطل لاإراديا، ورويت لهم ماحدث وانتابتني نوبة هذيان وانهرت انهيارا تاما لم أدر معه ماذا حدث لى بعد ذلك ولاأذكر منه سوى مشهد الطبيب وهو يحقنني بحقنة مهدئة فى بيت أسرتي.. وصمم أهلى على استرداد منقولاتي من شقة زوجي فى نفس اليوم ونفذوا ماأرادوا.. وتمنيت فى ذهولى وصدمتي لو أن زوجي كان قد حاول انكار الواقعة أمام أهلى أو تصويرها لهم تصويرا مخففا لكنه للأسف لم يفعل أو لم يعرف كيف يفعل.. فاكتفى بالصمت العاجز عن كل تبرير.

وضاعت ياسيدى سنوات العذاب والصبر على الحرمان من الأطفال بلا طائل ولا عزاء.. ونهشتني الأفكار والتساؤلات الملحة فحرمتني من النوم وراحة البال ورحت أسأل نفسي كل لحظة لماذا يخونني زوجي مع سيدة أخرى بعد كل ماقدمت إليه من معروف وعشرة طيبة؟ وكيف هان عليه أن يفعل ذلك فى مسكن الزوجية الذى ينبغى أن يصونه بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى؟ ولماذا يفعل ذلك وأنا لم أقصر فى حقوقه الزوجية لحظة واحدة وحرصت عليه دائما وعلى مشاعره إلى حد اتهام نفسى بالمسئولية عن عدم الانجاب رعاية له.. هل فعل ذلك لأنه لايحبني؟ كيف يكون الأمر كذلك وقد كان يؤكد دائما تمسكه بي وحرصه على استعادتي فى مرات الخلاف القليلة التي شهدتها حياتنا.. إذن فلماذا يصدمني فى مشاعرى وأنوثتي بهذه الطريقة المهينة المزرية؟.. اننى لاأزعم اننى سيدة فائقة الجمال أو مبهرة.. فأنا سيدة عادية لها جمالها المقبول ومظهرى مهندم دائما، وإنسانة طيبة ترضيني أقل كلمة، وحلوة المعشر وكنت أبتسم دائما فى وجه زوجي حتى لا يشعر بأى نقص فيه، كما كنت أحاول دائما أن أكون متسامحة معه وأتغاضى عن كل خلاف قد يقع معه.. فلماذا إذن يفعل مافعل؟ اننى لاأبحث لديك ياسيدى عن حل لمشكلتي.. فالحل واضح لكل ذى عينين ولاحل سواه.. لكنى أبحث لديك عما يرد لى بعض كرامتي

الضـائعة.. وعما يشفى بعض جـراحى الغائرة.. وأبحث لـديك عن إجابـة تشفى غليلى وتطفىء نـار الحقـد والغل التـى انـدلعت فى قلبى على هـذه التساؤلات التى تلح علىّ ليل نهار.. فهل تستطيع أن تـرد علىّ بعض كرامتى المبعثرة؟

☐ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لايستطيع الإنسـان مهما فعل أن يمنع الآخـرين من الإسـاءة إليـه إذا تحركت نوازع الغدر والشر فى أعماقهم.. ولاغرابة فى ذلك ياسيدتى، فأفعال الآخـرين لاتقع فى نطـاق سيطـرتنـا ولانملك أن نـخضـعهـا لارادتنـا مهما أجهدنا أنفسنا فى محاولة ذلك، ومهما كان حجم العطاء الذى نقدمه لهم، إذ اننا حتى لو كنا نستطيع أن نأسرهم بمعاملتنا الطيبة وعطائنا الصادق لهم فى كثير من الأحيـان، فإن نـزعـات النفس البشريـة الغامضـة كثيرة أيضـا ياسيدتى.. وغرائزنا وأهواؤنا الجامحة وحـوش ضارية تتلوى داخلنا تريد أن تحطم القيود الأخـلاقية والـدينية التى تكبلهـا بها لتنطلق فى الحياة كما تنطلق الوحـوش فى الغابـة، فإذا وهنت هذه القيـود لدى البعض أو ضعفت درجـة سيطـرتـهم على وحـوش الغـرائز والأهـواء فى أعماقهم، انطلقت من مكامنهـا تسعى إلى كل مايحقـق لها رغباتها دون توقف كثير أو قليـل أمام القيم الأخلاقية أو أمام حقوق الآخرين علينا وواجباتنا تجاههم، والإنسان يسـأل فى النهاية عما يفعـل هو وليس عما ارتكبه الآخرون ضده مـن خيانة أو غدر أو تصرفات خسيسة.. وليس مما يسىء إلينا فى نظر أنفسنا وأنظار المنصفين أيضا أن نتعـرض أحيانا لشىء من ذلك فـالجريمة عار مـرتكبها لاعار ضحيتها.. والسـارق أحق بأن يشعر بالمهانـة من المسروق، لانه هو الذى ارتكب عملاً شائنا يفقده اعتباره لدى الآخرين وليس الضحية.

لهذا فلست أرى لك الاستسلام لهذا الاحساس المؤلم بـا لمهانة والهوان «والكـرامـة المبعثرة» لمجـرد أن زوجك لم يحفظ لك عهـدك.. ولم يقـدر لك عطاءك المخلص له ولا انكارك لنفسك من أجله واحتراما لمشاعره.. فكرامتك مصـونة وفى حـرز حـريـز نسجبت خيوطـه من أخـلاقياتـك ومثاليـاتك والتزامـاتك الخلقية.. ورؤيتك الخيرة للحياة، أمـا غدر الغـادرين.. فعارهـم وحدهـم ولو آذى مشاعـرنا وألحق بنـا أقصى الألم. وكل مـايملكه المرء فى

مواجهة إساءة الآخرين له هو أن يدفع الإساءة الجارحة عن نفسه وأن يرفض السكوت عليها أو التسامح معها، وأن يتخذ ممن أساء إليه موقفا عادلا ترضى به نفسه وكرامته.. وهذا ماتفعلينه الآن بالتحديد.. ولا لوم عليك فيه ولاجناح، فنحن قد نطالب الزوج أو الزوجة بالتسامح مع الإساءة حتى ولو كانت جارحة وحتى لو تكررت مرة ومرات، أملا فى الإصلاح وحرصا على استمرار مظلة الأسرة، وأشفاقا على الأبناء من أن يدفعوا ثمنا باهظا لمغالاة الإنسان فى الاعتزاز بكرامته ورفضه الصفح عن الإساءة، وليس هناك من مبرر نبيل للصفح والنسيان عن كل ذلك إلا هذا المبرر وحده، فلأى مبرر إذن يمكن أن يطالبك أحد بالصفح والتسامح إذا لم تدفعك إليهما دوافعك العاطفية الذاتية وحدها؟ إن الحب والوفاء والعطاء والعطف المتبادل والعشرة الطيبة هى المبرر الوحيد لاستمرار الحياة الزوجية بين زوجين لم تشأ لهما الأقدار أن ينجبا أطفالا، فإذا انتفى المبرر لم يكن لاستمرار مثل هذه الحياة أى معنى سام ولا هدف نبيل، ولا لوم على من لايجد سعادته فيها إذا تخلص منها فى هدوء وبحث عن أمانه وسلامه النفسى فى حياة أخرى. لهذا فلست ألومك فى موقفك من زوجك بعد هذا المشهد المؤلم الذى صدمت به فى مسكن الزوجية.. وبعد كل ماقدمت له من عطاء نفسى وعاطفى بلغ بك حد انكار الذات والرضا باتهامها ظلما بالمسئولية عن الحرمان من الانجاب رعاية لمشاعره..

ولك أن تتمسكى بهذا الموقف حتى النهاية إذا شئت.. ولك أن تتنازلى عنه إذا شفيت نفسك مما عانت ورغبت فى استئناف الحياة مع زوجك إذا صدق ندمه على مافعل وقدم لك الترضية الكافية التى تضمد جراحك.. أما الأسباب التى قد تدفع رجلا لأن يفعل مافعل زوجك وقد توافرت له كل أسباب الرضا بحياته معك والاكتفاء بك والتى تتساءلين عنها بمرارة وحيرة.. فالحديث يطول عنها أيضا وكلها مما لايقبله العقل أو المنطق.. والقاعدة هى أن الحب الحقيقى هو العاصم الأول للرجل والمرأة ضد الخيانة بالقلب والفكر وإن الالتزام الخلقى والدينى هو العاصم الأكبر لأى منهما ضد الخيانة بالفعل والتصرفات، فإذا غاب هذا وذاك.. فقد تقع الخيانة أحيانا لأسباب مختلفة فقد تكون ضعفا بشريا صادف إغراء

خارجيا قـويا لم يستطع الصمود أمامـه، وقد تكون نزوة طـارئة غاب فيها العقل والالتـزام واستسلم الإنســان فيهـا لغـرائزه ورغبتـه الغـامضـة فى إصطناع الاحساس بـالجدارة وبأنه مرغوب من الآخـرين وموضـع رغبتهم واهتمامهم.

وقد تكـون فى بعض الأحيان رغبـة خفية فى التعـويض النفسى وإثبات الكفـاءة و«الرجـولة» خـاصة إذا أحـاطت بهذه الرجـولة بعض الشبهـات فتكون « المغـامرة » فى هذه الحالة محاولـة لاشعورية من جـانب الإنسان لنفى هـذه الشبهات عنهـا فى نظره هـو أولا، وفى أنظـار الآخرين.. كما قـد تكـون كذلك رغبـة فى تعويض النفس عما تفتقـده فى حياتها المشروعـة من بعض النواقص العاطفية أو البيولوجيـة أو الإنسانية، مهما كان مظهر هذه الحياة خلابـا ومتكاملا فى أنظار الآخـرين ، وقد تكون .. وقـد تكون .. وقد تكون.. إلخ.

وليس يعنيك كثيرا أن تعرف دوافع زوجك لأن يفعل مـافعل إلا إذا كانت بعض هذه الـدوافع تتعلق بك أنت، وترغبين فى تحرى الأسبـاب والاستفادة من الأخطاء فى المستقبل.

أما دوافعه الـذاتية المعلنة والخفية فلن تفيـدك فى شىء إلا فى فهمها وفى اكتساب خبرة جديدة بالنفس البشرية ونزعاتها المختلفة.. والفهم قد يؤدى إلى التماس الأعذار والصفح بعد حين.. وهذا كلـه متروك لك وحدك لتقديره وفقا لظروفك واعتباراتك الشخصية وحدها..

وفى كل الأحوال فليست هنـاك تجربة يعيشها الإنسان ولايستفيـد منها شيئا صغـر أم كبر، فإن لم تكن «خبرة السعادة» هى جـائزته فيهـا.. فلقد عرف على الأقل «بخبرة الألم والتجربة» من لايصلحـون له.. ولابد أن يعينه ذلك بشكل أو بآخر فى بحثه العادل المشروع عن الصالح المنشود!..

٢٤

٣٠ قصة حب واقعية

التضحية المخيفة

منذ خمس سنوات وأنا أفكر فى الكتابة إليك ثم يجد جديد فى حياتى فيؤجل قرارى . فأنا سيدة فى الأربعين من عمرى من عائلة متدينة ومحترمة أبدو أصغر كثيرا من سنى كما أنى بدون غرور أو مبالغة على قدر معقول جدا من الجمال والرشاقة والأناقة وأحسن التصرف فى الأمور وفى مواقف الحياة المختلفة .. وقد بدأت قصتى معه وأنا طالبة بالسنة الثانية بكلية نظرية حين التقيت به وأحسست بشىء قاهر يجذبنى إليه ، فكانت بيننا قصة حب كبيرة عرف بها الجميع واستمرت خطبتنا خمس سنوات كاملة لأن حبيبى لم يكن وقتها يملك إمكانيات الزواج ، ورضيت منه بدبلة خطبة بسيطة وتم الزواج بأثاث بسيط كان بعضه مستعملا وجددناه ، وتقبلت كل ذلك وأنا سعيدة لاجتماع شملنا بالرغم من أننى كنت فى بيت أسرتى مدللة وبدأنا حياتنا الزوجية بإمكانيات مادية قليلة ولم أشعر بأى نقص فى حياتى مع زوجى .. وأنجبت ثلاثة أطفال وتحسنت ظروف زوجى فتركت وظيفتى وتفرغت لزوجى وأطفالى وبيتى ، وانشغلت بهم عن كل شىء فى الحياة ، حتى تباعدت رغما عنى زياراتى لأهلى واخوتى وأمى التى تعيش بمفردها لأنى أكرس كل وقتى لزوجى وأطفالى وبيتى ولم أشك يوماً من أعبائى المنزلية أو أعباء الأطفال .. وبلغ من حبى لزوجى أن أصبحت أحب ما يحبه وأكره ما يكرهه ولا أنام إلا بعد أن ينام هو ، وأصحو من نومى قبله ، وإذا مرض ولو بالصداع البسيط سهرت الليل كله إلى جواره وأنا سعيدة بأن أؤدى له عملاً أو واجبا.. كما لم أقصر فى الاهتمام بمظهرى داخل البيت وخارجه ، واهتممت باستقبال ضيوفه وحسن ضيافتهم وبكل شئون زوجى فقد أردت أن أكون له الزوجة والحبيبة .. والأم .. والأخت والسكرتيرة التى تنظم أوراقه واتصالاته وتذكره بالأمور الهامة فى حياته .

ومضت ١٥ عاما من الزواج وقبلها خمس سنوات من الخطبة ولم يتغير شعورى تجاه زوجى أو يفتر حبى له بمقدار شعرة واحدة ، بل زاد وتضاعف ولا غرابة فى ذلك فهو أول حب فى حياتى وآخر حب بل هو

الرجل الوحيد الذى عرفته وأحببته ولا أكف عن التعبير له عن حبى بالكلمة واللمسة واللفتة بعد ١٥ عاما من زواجنا حتى اعتاد زوجى كلما فعلت معه ذلك أن يقول لى اننى خيالية وتأثرت بالأفلام العاطفية والقصص التى اقرأها ولم يكن ذلك يضايقنى بل كان يثير ضحكى ومداعباتى .. لكن ما آلمنى حقاً وهزنى من أعماقى هو أننى قد اكتشفت فجأة أن زوجى الحبيب يخوننى مع فتاة صغيرة ليست فى مستواه الاجتماعى ولا من سنه ويسافر معها بالأيام إلى أفخم المصايف ويتركنى مع الأبناء فى البيت بزعم أنه مسافر فى عمل بل وأنه كان ينوى الزواج منها إلى أن علمت بالأمر فتركها ، وكانت صدمتى هائلة فى زوجى الذى كان مثالاً للأخلاق والاتزان والعقل ولأنه كان ينتقص دائما أى رجل يخطىء فى حق أبنائه وزوجته .

ومع ذلك فقد تحملت صدمتى فيه وحدى وكتمتها عن الجميع ولم أشك لأحد منه وحاولت أن أنسى وأضمد جرحى بنفسى فما أن بدأت أتناسى ما حدث حتى اكتشفت أن زوجى على علاقة جديدة بسيدة تكبره فى السن وأم وجدة لأحفاد أيضا ولا تمتاز بأى شىء ومن وسط غريب جداً ودارت بى الدنيا من جديد وتركها على الفور حين أدرك أنى قد عرفت بالأمر .

ثم توالت الصدمات بعد ذلك كأنما كانت فى عقد ثم انفرطت حباته فتساقطت واحدة وراء الأخرى ..

فهذه سيدة أخرى وجارة لنا .. وأعرف بالأمر وأواجهه وأبكى وأستعطف .. وأذكره بالحب القديم وبالشرف والأخلاق والدين .. والأبناء فيخجل ويتركها.. فلا تمضى شهور حتى أعرف بعلاقة أخرى وتتكرر نفس القصة .. مرة رابعة وخامسة .. وكلما أفقت من آثار محنة جديدة وتصورت أن الأحوال قد هدأت أخيرا أصدم بقصة جديدة وجرح جديد ورغم كل ذلك فقد سامحته على كل ما فعل وغفرت له ليس عن ضعف وإنما عن حب كبير ، واحساس بأننا روح واحدة فى جسدين ولا يمكن أن ينفصلا إلا بالموت ، كما أنى أيضا كنت أضع مصلحة أبنائى فوق كل اعتبار لأنهم يحبون أباهم جداً ويتعلقون به تعلقاً شديداً ورغم صفحى ونسيانى فانى كثيرا ما تعجبت من أمره وكثيراً ما سألت نفسى لماذا يفعل زوجى ما يفعله .. وأنا لا أقصر فى واجباتى الشرعية تجاهه ولم أرفض له نداء ذات يوم مهما كنت مريضة أو عاتبة عليه فى شىء ، ولماذا يفعل ذلك وأنا لا أقصر معه حتى فى ترديد كلمات الحب على مسامعه كأننى فتاة



مراهقـة تحب لأول مرة فى حيـاتها وكل ذلك إلى جانب محاولاتـى المستمرة لإسعاده وإسعاد أولادى واهتمامى بالتغيير والتجـديد فى حياتنا واهتمامى بالمناسبات والأعياد ومعاملتى له أمام الجميع بحب واحترام مع عدم البوح بأى شكوى منـه حتى لا تهتز صورتـه فى أعين الآخرين وحتى يبقى دائما الرجل المحترم منهم .

نعم كثيرا ما سألـت نفسـى هذه التساؤلات المريـرة فلم أجد لها جـواباً شافيا وتـركت للزمن تضميد الجراح وصبرت على زوجى على أمل أن يتغير أو تنزل عليه هداية السماء ، ثم نقل زوجى منـذ أربعة شهور وفقاً لطبيعة عمله إلى صعيـد مصر وأقام فى إحدى المدن هنـاك فى استراحة تابعـة لجهة عمله .. وبقينا نحن فى القـاهرة حيث مدارس الأبناء . وسـافر زوجى وعاد فى أجـازتـه الأولى فإذا بى أحس بتغيير رهيب فيـه فكأنه قـد أصبح رجـلاً غريبـا لا أعرفـه من قبل وفسرت هذا التغيير الكبير بظـروف نقله واقـامته وحيداً فى تلك المدينة البعيدة لكنى أحسست رغم ذلك بتشاؤم كبير لم أشعر به من قبل فى الكـوارث السابقـة ولم أجد لـه تفسيرا مريحا ولم تمض فترة طويلـة حتى صدق احسـاسى الغامض واتصل بى بعض أصـدقاء زوجى ليبلغونى بأنـه على علاقة بسيدة متزوجـة من رجل كبير السن ولها أبناء فى الجامعة .. وأنها سيدة مستهترة ولا تبالى بشىء ولا بأحد وتسافر إليه فى تلك المدينة البعيدة .. وتستقبله فى القاهرة عند مجيئه من عمله فيغيب معها طـوال اليـوم ويأتى إلينـا آخـر الليـل ولم أستطع أن أتحمل أكثـر من ذلك وواجهته بما عـرفت فأنكر فى البدايـة .. ثم عاد واعترف بأنها عـلاقة عمل وسـوف ينهيها على الفـور وبالفعل قضـى تلك الاجـازة معنا ولم يـرد على اتصـالاتها التليفـونيـة المتكـررة وجـاءت ووقفت تحت البيـت تنتظـره ولم يخرج إليها ..

ثم سـافر زوجى إلى عملـه فإذا بى أعرف أنها قـد سافـرت إليه هنـاك وأثرت عليه واستعادت علاقتها به .

ورجع زوجى فى الأجـازة الأخيرة فطالبتـه بمصارحتى بـالحقيقة مهما كانت قـاسية وأكـدت له أننى لن أتخلى عنـه وإنما ساقف بجـواره إذا كان متورطا فى شىء معهـا فاعترف لى بوجود علاقة بينهما لكنـه لو تركها الآن فلن تـدعه فى حـاله وإنما ستهـدده فى عمله وتستطيع ذلك لأنها على صلـة ببعض الكبار فى الدولة !

فطالبته بتركها وبألا يخشى شيئاً فاتصل بها وأنهى كل شيء بينهما لكنها لم تهدأ واتصلت به وهددته فعلا .

وكأنما أراد زوجي أن يحتمي بنا من وحدته وضعفه معها في مقر عمله ومن ضعفه فطلب مني أن أنتقل معه أنا والأولاد على الفور إلى المدينة التي يقيم فيها على أن ننقل أبناءنا إلى المدارس هناك وبدون تفكير وبدون تردد بل وبدون حتى أن أخبر أمي أعددت على الفور خلال ساعات حقائب السفر لي وللأولاد ورتبت كل شيء وأغلقت مسكني وسافرنا للإقامة معه في الاستراحة في تلك المدينة ورغم مفارقتي لبيتي وأهلي وأخوتي ووجودي في غربة لاأعرف فيها أحداً فلقد كنت سعيدة لوجودنا نحن الخمسة تحت سقف واحد .. ولعودة الاحساس بالأمان لي ولأولادي ونحن مع زوجي وإلى جواره وحمدت الله كثيرا على ذلك ورأيت أن متاعب الغربة هي أهون ضريبة أدفعها للحفاظ على زوجي وحبي وأولادي وبيتي .

لكن سعادتي لم تطل كثيرا للأسف فلقد أحسست بتغير زوجي من جديد وسألته عما ألم به فاعترف لي بأنه متزوج من هذه السيدة بعقد عرفي بعد أن تركت زوجها وأولادها طلبة الجامعة من أجله ! وأحسست بأن زوجي قد طعنني هذه المرة في مقتل ، بهذا الاعتراف وبأنه قد قضى على آخر أمل لي في الإصلاح معتقدا أنني سوف أقبل بهذا الوضع اعتمادا على أنني أحبه .

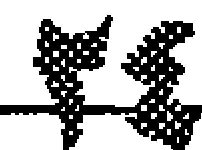
وتحاملت على نفسي وصبرت حتى لا أضيع امتحانات نصف العام على أبنائي لكني لم أعد أستطيع الصبر ولا القبول أكثر من ذلك .

إن زوجي يقول لي أن ما فعله من حقه وأنه « شرع الله » وأنا أسألك : هل أباح له الزواج بأربع بغير أسباب أو لغير حكمة .. وحتى لو كانت الزوجة سليمة وفي عز شبابها وتحب زوجها ولم تقصر معه في شيء يذكر بل على العكس كانت تبالغ في حبها وحسن معاملتها له ؟

وهل من « شرع الله » حقاً أن ينخرب بيت بعد عشرين عاماً كان خلالها سعيداً وآمناً .

وهل يرضى الله سبحانه وتعالى أن يضيع أبنائي في الطريق وأن تضيع آمالي وأحلامي في السعادة والأمان ؟

إن زوجي يعتقد أن هذه السيدة تحبه وأنها قد ضحت من أجله بزوجها وأولادها .. فهل السيدة التي تترك زوجها المسن بعد ٢٥ عاماً من الزواج



وتتخلى عن أولادها تكون قد « ضحت » فعلاً وتستحق أن يتركنا زوجى من أجلها ؟؟

وهل السيدة التى تترك زوجها وأولادها وتبيع أهلها فى سبيل رغبتها فى رجل آخر تكون سيدة صالحة وتؤتمن ؟

وهل السيدة التى تهدم بيتها بيدها وتريد أن تهدم بيتاً آخر هو بيتى ، تكون سيدة مضحية وتستحق أن يقدر لها زوجى « تضحيتها » ويضحى من أجلها وهل حب عشرين عاماً كحب أربعة شهور ؟

وأخيراً وهل يرضى الله سبحانه وتعالى بأن تضيع أسرة وأربعة أشخاص هم أنا وأولادى وأن تضيع عشرون عاماً من الحب والإخلاص والوفاء فى مقابل سيدة تاركة لزوجها المسن وأولادها مقابل علاقة أربعة شهور ؟

هل هذا عدل ياسيدى ؟

اننى أكاد أجن ولا يستقر لى جنب فأرجوك أن تجيبنى بكل صراحة وأن تشير علىّ وعليه والسلام عليكم ورحمة الله .

☐ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا أعرف لماذا لا نتذكر « شرع الله » إلا فى هذه الجزئية وحدها منه .. ونتغافل عن مجمله أو معظمه فى كثير من سلوكياتنا ومعاملاتنا الأخرى فى الحياة ؟

وأين كان « شرع الله » فى العفة والوفاء والاخلاص وعدم خداع شركاء الحياة وهو يخرج من علاقة محرمة إلى أخرى .. ولماذا لم يحصنه ولم ينهه عن هذه العلاقات الآثمة قبل أن تتطور احداها وتتحول إلى زواج عرفى سرى لا يختلف كثيراً فى مضمونه وفى سريته عن هذه العلاقات السابقة ؟

أليس غريباً أننا لا نتذكر « شرع الله » هذا إلا إذا أردنا أن نبرر خيانتنا لعهودنا مع من عاهدناهن على ألا نشرك فى حياتنا معهن أحدا سواهن ؟

لقد تحدثت من قبل كثيرا عن تعدد الزوجات ولن أعيد ترديد ما قلت فيه لكنى سأقول لك فقط : إن الإسلام لم يبتكره ولم يأمر به على عكس ما يتصور البعض من ظاهر الآية « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وإنما نظمه وقيده بأربع زوجات وبشرط العدل فى النفقة والمبيت والقدرة عليه وقد كان معروفاً وسائداً فى الشعوب القديمة قبل الإسلام ، وفى

التوراة نصوص ووقائع تؤكد ذلك فلقد كان لداود عليه السلام زوجات كثيرات وكان لسليمان عليه السلام سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السرارى ، وليس فى الانجيل نص بمنعه وكان مباحا فى أوروبا حتى حرمته الكنيسة فى العصور الوسطى وهو فى رأى أكثر الفقهاء ليس أمراً واجباً وإنما مباح فقط لحكمة قدرها الله سبحانه وتعالى لصلاح المجتمع وسد أبواب الخطيئة ، كأن تكون الزوجة مريضة وغير قادرة على تلبية احتياجات زوجها الإنسانية والعاطفية ، أو أن تكون محرومة من الإنجاب وتشتد على زوجها رغبته فى الإنجاب مع الاحتفاظ بزوجته الأولى بقبولها وموافقتها ، أو أن تكون رغبة الزوج فى النساء أكبر من أن تلبيها له زوجة واحدة ، أو أن يكون فى المجتمع كثرة من النساء يُخشى معها من انتشار العلاقات غير المشروعة . وتعدد الزوجات فى رأى عالم جليل كفضيلة الشيخ سيد سابق فى فقه السُنة « ليس واجباً ولا مندوباً - أى مستحباً - وإنما هو أمر أباحه الإسلام لمقتضيات عمرانية وضرورات إصلاحية » .

وفى رأى عالم فاضل كالدكتور عبد الجليل شلبى « فإن الإسلام لا يحتم ولا يشجع على تعدد الزوجات ولكنه أباحه على شريطة ألا يزيد عدد الزوجات على أربع وأن يستطيع الزوج العدل بينهن .

أما فى رأى مستشرق فرنسى كبير كالأستاذ جوستاف لوجيون فهو « البديل الأخلاقى — عند الضرورة — لتعدد الزوجات السرى لدى الأوربيين » ويقصد به تعدد العشيقات والعلاقات المحرمة .

وفى كل ذلك فلم يكن فى ظروفك ولا فى ظروف زوجك ما يبرر له أو يدعوه إلى السباحة فى بحر النزوات والمغامرات .. والعلاقات الآثمة التى انتهت به إلى هذا الزواج السرى ..

و « شرع الله » الذى يتحدث عنه يعطى للمرأة فى مقابل إباحته لتعدد الزوجات الحق فى أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها كما يجيز لها أيضا أن تجعل عصمتها بيدها لكى يسهل عليها الطلاق إذا تزوج زوجها عليها .. بل انه ليجيز لها كذلك أن تشترط فى عقد زواجها تعويضاً مالياً يقدمه لها زوجها إذا تزوج عليها .

والأصل فى الزواج انه تعاهد بين طرفين على أن يكون كل منهما للآخر وحده بلا شريك له فى قلبه ولا فى حياته ، فإذا خرج الزوج على هذا التعاهد الضمنى فقد خانه .. والشرع والقانون يطالبانه بأن يصارح زوجته



برغبته فى الزواج .. من أخرى ولها أن تقبل وتواصل رحلتها معه .. ولها أن ترفض وتطلب الطلاق وتحصل عليه للضرر إذا أصر الزوج على الزواج من أخرى وبالتالى فإن ما فعله زوجك هو خيانة لعهده معك حين تحاببتما وتزوجتما وتعاهدتما على الاخلاص والوفاء حتى نهاية الرحلة وهى « خيانة » بدأت منذ فترة بسلسلة العلاقات والنزوات التى طرأت على حياته معك .. والواضح أنه يعانى من أزمة منتصف العمر التى يعانيها بعض الرجال وبعض النساء أيضا بعد الأربعين ، فيدفعهم قلقهم النفسى من تسرب الشباب وتسلل بوادر المشيب اليهم إلى محاولة اثبات العكس بالاستجابة لبعض النزوات العابرة والعناية بالمظهر والاهتمام المغالى فيه بالجنس الآخر .

وهى مرحلة لا تطول .. على أية حال ولقد تعاملت معها بصبر وتسامح كبيرين على أمل الإصلاح إلى أن ووعك زواجه من هذه السيدة « المضحية » وإجاباتى عن تساؤلاتك المريرة هى أن عشرين عاماً من الحب الصادق .. والعطاء المخلص والوفاء والتفانى فى إرضاء المحبوب إلى حد تدليله لا يمكن أن ترجحها أو تتكافأ معها علاقة لا يزيد عمرها على أربعة شهور ويتخفى بها طرفاها عن الآخرين .. لأنهما يعلمان قبل غيرهما أنها لا تلقى قبول المجتمع ولا احترامه مهما تسمت من المسميات .

كما أن سعادة بيت صغير وزوجة محبة ومشرفة لزوجها مثلك وثلاثة أبناء وتاريخا طويلا من الحب والذكريات المشتركة يجمعك بزوجك لا يمكن أن توضع فى إحدى كفتى الميزان مع سعادة سيدة « مضحية » هجرت زوجها المسن وأبناءها الجامعيين جريا وراء نداء العاطفة والمغامرة بعد أربعة شهور فقط من تعرفها بفارسها الجديد .

وأغلب ظنى انها كانت راغبة فى التخلص من حياتها الزوجية السابقة من قبل أن تلتقى بزوجك بكثير وأنها قد حزمت أمرها فى ذلك منذ زمن طويل ، إذ ليس من المقبول أن تتخذ زوجة لمدة ٢٣ عاماً على الأقل وأم لأبناء شباب مثل هذا القرار المصيرى خلال بضعة شهور فقط التقت خلالها بفارس أحلام جديد مهما كان سحره عليها أو جاذبيته وإنما الأقرب للعقل والمنطق هو أنها قد حزمت أمرها فيما يتعلق بحياتها الزوجية منذ زمن طويل وكانت تنتظر فقط من يعينها على تنفيذ قرارها الصعب هذا وحمايتها من الأهوال العائلية التى ستترتب عليه .

ولم يكن هناك أفضل من زوجك لكي يقوم بدور الحماية الضرورى هذا الذي تحتاج إليه . فهو كما عرفت من رسالتك يشغل وظيفة سيادية طلبت مني ألا أشير إليها وهو بحكم عمله قادر بالفعل على حمايتها من انتقام أسرتها وأسرة زوجها منها بل ومن بطش أبنائها بها أيضا بعد الكارثة العائلية التى تسببت لهم فيها ولقد قام زوجك بدوره المطلوب خير قيام .. لكنه أخطأ الحساب فحمل نفسه « تضحية » لا معنى لأن يتحملها ولا لأن يرى نفسه مطالبا بتقديرها لها .. فالأصح إنها هى المدينة له بحمايتها من بطش ذويها وليس هو المدين لها « بالتضحية الكبرى »كما يصور له غرور الرجل الذى يستريح دائما لفكرة تضحية المرأة من أجله .. ويجد فيها مبررا نفسيا للإحساس بالجدارة والتميز .. لكن الحقيقة غير ذلك للأسف فلقد كانت علاقتها به علاقة احتياج وحماية .. وليست علاقة حب عاصف هدم فى أربعة شهور بيتا دام أكثر من عشرين عاماً وكان زوجك هو الوسيلة المثلى لتنفيذ قرارها الصعب بالتخلص من حياتها الزوجية فماذا يبقيه عليها .. بعد أن أدى دوره خير أداء؟

وكيف يضعك وأنت الزوجة والأم والحب والعشرة والتاريخ المشترك مع هذه السيدة فى ميزان واحد ؟

لا ياسيدتى إنها لا تستحق فعلا كما تقولين ان ينهدم من أجلها بيتك وأحلام سعادتك وأمان أطفالك وأمانك .

أما « التضحية » التى يتحدث عنها زوجك .. إذا كان مازال مصراً بغرور الرجل على استمراء الحديث عنها .. فإننى حتى لو وافقته على اعتبارها كذلك .. فإنى أراها كافية وحدها لو أمعن التفكير فيها بجلاء وبصيرة لأن يزداد تمسكاً بك أنت وبأطفالك ولئلا يعدل بك انسانة أخرى مهما كان شأنها معه ففى رواية فرنسية قديمة ، التقت زوجة فى الأربعين من عمرها لرجل ثرى فى الستين وأم لأربعة أبناء بشاب وسيم فى الثامنة والثلاثين من عمره وزوج لزوجة شابة مخلصة وأب لطفلين ، فتدلهت فى حبه خلال وقت خاطف ، واستجاب لها الرجل الوسيم متأثراً بجمالها وبوحدته العارضة خلال سفر زوجته وطفليه لزيارة أهلها وقررت الزوجة العاشقة أن تتخلص من حياتها الزوجية لكى تهرب مع الشاب الوسيم إلى بلدة أخرى ، وتركت رسالة لزوجها بذلك تطلب منه فيها ألا يبحث عنها ورسالة أخرى لأكبر أبنائها ترجوه فيها أن يلتمس لها « العذر » فيما فعلت

وألا يكرهها هو واخوته .. ثم وافت عشيقها فى مكان اللقاء فى الموعد المحدد ليركبا معا عربة ؟ تحملهما إلى حياتهما الجديدة .

فإذا به يجيء إليها فى موعده .. ولكن بلا حقيبة سفر .. وبشخصية مختلفة عن شخصيته خلال الأيام الماضية ويطلب منها العودة إلى زوجها وأبنائها ونسيان علاقتهما العابرة فلقد عادت زوجته وطفلاه إلى البيت فأفاق من نزوته وأدرك عمق الهاوية التى كاد يسقط بها وازداد تمسكا بزوجته المخلصة وأسرته الصغيرة ..

وانهارت الزوجة العاشقة حتى كادت تتداعى على الأرض وانهمرت دموعها كالمطر وراحت ترجوه وتتوسل إليه وتستعطفه ألا يتردد فى اقتناص السعادة المتاحة لهما .. وألا يحطم قلبها .. وهو يصر على الرفض بحزم مهذب ..

ففقدت الزوجة الخائنة أعصابها وثارت عليه ثورة هائلة واتهمته « بالغدر » و « الخسة » .. و « الخيانة » وقالت له بانفعال شديد :

— أتتخلى عنى بعد أن « ضحيت » من أجلك بزوجى الذى يحبنى ويحتاج إلى رعايتى وبأبنائى الأربعة الذين يحتاجوننى إلى جوارهم فأجابها بهدوء قاتل : .. بل إننى أتخلى عنك من أجل هذه التضحية « المخيفة » نفسها .. فمن تضحى بزواج عمره ٢٠ عاماً وزوج محب يحتاج إليها فى شيخوخته وأربعة أبناء من أجل رجل التقت به منذ أسابيع فقط لا أضمن عدم تقلب مشاعرها ولا إخلاصها لى إذا التقت ذات يوم قريب أو بعيد بمن هو أكثر منى وسامة وأنضر شباباً .. ولست أثق فى أن مثل هذه السيدة تستحق أن أفقد زوجتى المخلصة وأعرض أطفالى للتعاسة من أجلها ؟

ثم استدار من حيث جاء وعاد بخطوات بطيئة واثقة إلى زوجته وطفليه !

وهكذا كان ينبغى لزوجك أن يفعل ذلك مع هذه السيدة حين عرضت عليه « تضحيتها » المزعومة .

وهكذا ينبغى أن يفعل الآن تصحيحا لهذا الخطأ .. وتفضيلا لزوجته المخلصة وأبنائه الثلاثة .. وأمان أسرته واستقرارها .

أما مسئوليته عن حماية السيدة « المضحية » من أسرتها فيستطيع أن يقوم بها زملاؤه.. وبالقانون.. وليس بهدم الأسر السعيدة الآمنة.. وشكرا.

٢٥

٣٠ قصة حب واقعية

رغبة صغيرة

أنا سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى أعمل محاسبة بإحدى الهيئات تزوجت منذ عشر سنوات من شاب يكبرنى بخمس سنوات ويعمل بإحدى الهيئات السيادية وزوجى والحمد لله شاب فى منتهى الحيوية والشباب ولكنه كان قد أصيب قبل زواجنا بمرض ترك أثره عليه فى عدم قدرته على الانجاب فتقبلت أقدارى.. ورضيت عن حياتى وسعدت بها ولم يضايقنى شىء فيها سوى كثرة تغيبه بسبب عمله المستمر فى أماكن خارج القاهرة مما جعلنى وحيدة معظم أيام الشهر، وفى بداية حياتى معه لم أكن أشعر بالوحدة كثيرا — فقد كنا نقيم بشقة مؤقتة قريبة من أسرتى.. وكان أثاثنا بسيطا.. وحياتنا بسيطة فأكرمنا الله بعد خمس سنوات بتسلم زوجى لشقة مناسبة فى حى لائق وأصبح لدينا أثاث جميل وما نحتاج اليه من أجهزة وكماليات بفضل الحب.. وبفضل رغبتى فى تحسين مستوى معيشتى، فكنت أشترى هذه الأجهزة بالتقسيط من مرتبى، وأغير الأثاث بما أملك من بعض النقود كما ساعدت زوجى فى شراء سيارة. ووافقته بترحيب على أن يسجلها باسمه لكيلا أحرجه ولأنه أيضا اشترك فى ثمنها بمبلغ وأتكفل بمتطلباتى وأشترى كماليات البيت بإرادتى واختيارى ورغم أن زوجى لم يطالبنى قط بأى مبالغ مالية وهو ليس طماعا أبدا والحمد لله.. وقد ساعدت نفسى على التغلب على مشكلة الوحدة وعدم وجود أطفال بتنمية هواياتى واستثمارها فيما يفيد ويزيد من دخلى وحققت فى ذلك نجاحا يسعدنى.. ومضت حياتى هادئة جميلة وزوجى الحبيب يغيب فى عمله البعيد ١٥ أو ٢٠ يوما، ثم يرجع فى أجازة لمدة ٥ أيام أو ٦ أيام فأنتظره فى لهفة وأستقبله بشوق بالغ فنقضى هذه الأيام القليلة معا لا نفترق.. وظل هذا شأننا حتى بداية الصيف الماضى حين لاحظت عليه فجأة كثرة خروجه بمفرده فى أيام الأجازة القليلة وبأعذار مختلفة رغم أنى قد حصلت من عملى على أجازة بدون مرتب لمدة عام لكى أتفرغ له حين يرجع فى اجازته كل الوقت ولأستريح من بعض ظروف العمل غير المواتية وفى إحدى المرات أراد توصيلى بالسيارة لبيت أسرتى وتركنى فيه لكى يذهب

بمفرده لزيارة صديق مريض.. فعرضت عليه أن أصحبه وأبقى بالسيارة إلى أن ينتهى من زيارته لصديقه لكى نتحدث خلال الطريق فرفض وحين الححت عليه فى ذلك ثار وقال لى: أنت تخنقيننى، أريد أن أكون وحدى، فتركته يذهب لشأنه.. ومرت الحكاية بسلام إلى أن عاد للبيت ذات يوم وأنا أجلس فى الصالون مع بعض الضيوف.. فلمحت فى وجهه بمجرد دخوله بقعة حمراء ظننتها بقعة دم فسحبته من يده إلى غرفة النوم لكيلا يلاحظ الضيوف ما رأيت ومسحت له وجهه فإذا بالبقعة الحمراء أثر من أحمر شفاه، وتماسكت إلى أن انصرف الضيوف بسلام ثم تفرغت له وطلبت منه تفسيرا لما رأيت.. واختصارا للتفاصيل فلقد اعترف لى بعد مراوغات طويلة وعناء شديد بأنه قد تعرف منذ شهور بسيدة مطلقة ولديها طفلة وتعمل مبرمجة كمبيوتر بإحدى السفارات الأجنبية.. وأنه قد «تزوجها» أو «سيتزوجها» أو يريد أن «يتزوجها» ولا تعجب لهذا التخبط فلقد روى لى القصة فى نفس الليلة بشكل مختلف عدة مرات.

أما كيف تعرف بها فلقد حدث أنه كان يركب سيارة العمل، فصدمته سيارة صغيرة تركبها سيدة ترتدى الشورت وبجوارها شاب كان يعلمها قيادة السيارات، فنزل زوجى غاضبا من سيارة العمل وطلب منها تعويضا لإصلاح سيارة العمل حتى لا يتحمله السائق اذا لم تفعل، فأعطته ٣٠٠ جنيه وحصل منها على بطاقة باسمها وعنوانها لكى يرد اليها باقى المبلغ اذا تكلف الاصلاح أقل.. وكان زوجى الذى روى لى القصة وقتها فخورا بما فعل معها بهدف أن يعلمها عدم الاستهتار بأرواح البشر، وتم اصلاح السيارة وتبقى من قيمة التعويض مبلغ فسألنى زوجى كيف يعيده اليها فأشرت عليه أن يكلف السائق بإعادته لها لكنه أصر على أن يذهب بنفسه لإعادة المبلغ المتبقى فكانت بداية القصة!

ولست فى حاجة لأن أقول لك أننى حزنت أو صدمت.. أو تزلزل كيانى.. وطالبت زوجى بقطع أية صلة له بهذه السيدة.. ولقد فعلت كل ذلك ووعدنى بأن يفعل.. وقال لى بعد أيام أنه قد قطع كل صلة له بها ولم يعد يتصل بها لكن الشك فى صدرى لم يهدأ.. مع تضارب كلامه ووعوده.. فقررت أن أقطع الشك باليقين.. وأخرجت رقم التليفون الذى احتفظت به حين رأيته على بطاقتها القديمة واتصلت بها وطلبت مقابلتها ورحبت هى وحددت لى موعدا فى كافيتريا أحد الفنادق وخرجت لمقابلتها لأعرف منها

مدى ما وصلت اليه علاقتها بـزوجى فالتقت بى وهى خائفة منى فى البداية لكنهـا اطمأنت إلى أنى مسـالمة ولا أريـد فضحهـا.. كما أنى أتحدث معهـا بهدوء واحترام وأدب فتمالكت نفسهـا وقـالت لى أن زوجى يحبنى ولا ينفك عن الإشادة بى فى حديثـه معها.. وهذا ما أعجبها فيه فضـلا عن أنه متدين ويكـره الحرام ولهذا فقد ارتبطت بـه ولم تتم بعـد خطبة بينهما لكنهما قـد اتفقا على الزواج من ناحية المبدأ مع استمرارى على ذمته بإذن الله! وشكرت لها «كرمها» بقبولها استمرارى على ذمـة زوجى بعد زواجها المرتقب منه فى القريب وتحدثنـا ثلاث سـاعات كاملـة.. وخرجنـا من الفندق وتصـافحنا بـاحترام كأى صديقتين ورأسى يـدور مما سمعتـه ورجعت الى زوجى بما سمعت وعرفت ونـاقشته فيه وراوغنى.. وجـدد وعوده بالانقطـاع عن هذه السيدة.. لكنـه وياللغـرابة يطالبنى بعـدم الضغط عليه بشـدة لإنهاء هذه القصة على الفـور لأنها لن تنتهى دفعة واحدة وانما يستغـرق الأمر بعض الوقت ولابد لى من الصبر عليه حتى تنتهى نهاية طبيعية هادئة!

وهو يـؤكد لى كل يوم أنـه يحبنى وأكبر دليل على ذلك أنه لم يتـزوج هذه السيدة مراعـاة لى وان كنت أنا المخطئة فى موقفى هذا لأنـه كان يتوقع منى أن أتحمل وأضحى من أجلـه وأتـركـه يخوض تجربتـه معهـا للنهـايـة ويتزوجهـا ولا اعتراض من جانبى ولن أخسر شيئـا فى النهايـة ذلك أنه اذا أثبتت العشرة أنها سيدة طيبـة وممتازة فلقد كسبنا «أختـا» جديدة لى، واذا كشفت التجربة انها سيدة سيئة فسيطلقها.. ولن نـخسر شيئا!

أمـا لماذا كـان ينبغى على أن «أتحمـل» و«أضحى».. فلكيـلا يعيش و«فى نفسه شىء» و«تمناه» ولم يستطع تحقيقـه «بسببى» وهذا هو منطقه والله العظيم ولا أعرف هل هو مقتنع حقا بما يقولـه لى أم أنه يتظاهر بذلك ليبرر لى رغبته اعتمادا على حبى الشديد له؟

أمـا «الأخرى» فلم أجـد فيها حين التقيت بها شيئـا غير عادى فى شكلهـا ولا ملابسهـا ولا اكسسوارهـا سـوى أنها ارتدت يوم مقابلتى لها البنطلون الضيق وجاءت وشعـرهـا مصبوغ صباغـة فجة، وركبت بعد انتهـاء اللقاء «المينى باص» أى أنه لا سيارة هناك.. ولا جمال بـاهر ولا شىء مما قاله لى زوجى عنها فى حين اننى محجبة ولا أدعى كذبـا اذا قلت أننى جميلة بدرجة معقولة جـدا والحمدلله. وقد بدأت الأخرى تتصل بشقيقـة زوجى المتعاطفة معى وتطلب منهـا أن يحسم «زوجى»الأمـر معها.. حتى لا تظل معلقـة الى

النهاية. وحتى لو أصررت على موقفى، وانتهى الأمر بطلاقى فهى قادرة بشخصيتها الساحرة وعطائها الدافق أن تعوضه عنى وتنسيه أحزان الماضى ولا خوف على حقوقى فهى محفوظة بإذن الله وسوف يترك لى زوجى الشقة، ويعيش فى شقة أخرى ورثها مؤخرا فى حى آخر.

أما زوجى فهو يتراوح بين التمسك الشديد بى.. والبكاء بين يدى بحرارة انا أحس بأننى سأتركه وأعود إلى أسرتى، وبين إشعارى بأننى «أنانية» ولا أريد أن أضحى من أجله وأوافق على أن يتزوج هذه السيدة ونعيش جميعا فى تبات ونبات. أخوة متحابين متراضين!

اننى أكاد أفقد عقلى مما أسمع من زوجى.. ومن شكى فيه انه يلتقى بها كلما خرج وحده ويفتعل الأسباب لكيلا أصاحبه.. وقد انتقل للعمل فى القاهرة منذ شهور فاتسعت دائرة الشك والحيرة فى حياتى الى ما لا نهاية فبماذا تنصحنى أن أفعل يا سيدى؟ هل أترك زوجى لهذه السيدة لكى تأخذ كل ما بنيته بالعرق والحب والدموع.. وتأخذ الانسان الوحيد الذى أحببته بصدق واخلاص لا لشىء إلا لأنها تريد أن تتزوج مرة أخرى بعد طلاقها من زوجها الأول الذى طلبت منه الطلاق لأنه ليس طموحا مثلها! وهل اذا تركته سيعوضنى الله عنه بإنسان آخر أحبه وبحياة أسرية أخرى بعد أن حرمت من أمومتى طوال عشر سنوات؟ اننى لم أترك زوجى وأنا شابة صغيرة فى بداية زواجى لكى أتزوج غيره وأنجب أطفالا يملأون على حياتى ورضيت بما أراده لى الله وتحملت كل شىء بدافع حبى له.. فهل أتركه الآن وقد بلغت الخامسة والثلاثين من عمرى؟

وهل من العدل أنه بدلا من أن يقدر لى زوجى حبى له وتضحياتى من أجله أن يجيئنى ليقول لى ببساطة أنه قد عرف امرأة أخرى ويريد أن يتزوجها مع احتفاظه بى مع أنه ليس محروما من شىء فى حياته معى، ويؤكد لى كل يوم أنه يحبنى لكنه يزعم أن قلوب الرجال تختلف عن قلوب النساء لأنها يمكن أن تتسع لحب أكثر من واحدة فى نفس الوقت!

وهل هذا صحيح حقا يا سيدى؟

وهل من العدل أن أملأ بنقودى خزان السيارة بالبنزين.. لتركبها معه سيدة فاشلة فى حياتها الخاصة ومستهترة، تقضى معه أوقاتها بدلا من أن تقضيها مع طفلتها الصغيرة؟ ان زوجى سعيد للغاية بأنها قد وافقت عليه كزوج رغم أنه صارحها بعدم قدرته على الانجاب.. ولا يصدق أن

هناك امرأة قد قبلت به مع ظروفه هذه مع أن سبب القبول واضح وهى أن لديها طفلة وليست فى حاجة لمزيد من الأطفال فما وجه التضحية فى ذلك؟

لقد أحببت زوجى كثيرا وحاولت دائما أن أكون أفضل زوجة فى الوجود وأن أكون له الزوجة المحبة المطيعة وفعلت أشياء كثيرة لا تفعلها سيدات أخريات حولى ولم أرهق زوجى بأية مطالب فى الحياة ذات يوم وقدمت له كل شىء وسهلت عليه كل شىء فاستسهل أيضا كل شىء حتى المشاعر الثمينة.. فهل ذلك هو ثمن الحب والعطاء.. وماذا تقول لى؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

لا شىء يعدل غرور الانسان وذاتيته فى بعض الأحيان! فهل يرى نفسه دائما جديرا بأفضل الأشياء، فاذا حالت بينه وبينها حوائل العرف والعدل وحقوق الآخرين عليه.. لم يتسورع فى بعض الأحيان عن أن يستخدم الأساليب الميكيافيلية فى لىّ الحقائق ليسوغ المنطق المعكوس لنفسه وللآخرين لتحقيق رغباته وأهوائه.. وقد يتمادى أكثر من ذلك فيصر أيضا ليس فقط على قبول الآخرين راغمين أو كارهين لرغباته وانما أيضا على «مباركتهم» لها.. و«ابتهاجهم» بها .

وهذا بالضبط هو ما يحاول أن يفعله معك زوجك الآن يا سيدتى حين يلومك على «بخلك» عليه بهذه «التضحية البسيطة» التى كان يتوقعها منك فتبتهجين للأنباء السارة وتتركينه ليتزوج من الأخرى فإذا كانت زوجة طيبة فلقد كسبت «أختا» عزيزة جديدة، وإذا لم تكن كذلك فلسوف يطلقها فى هدوء وبلا خسائر نفسية ولا معنوية لأحد ولا عجب فى مثل هذا المنطق الغريب.. «فكل ما يتفق مع رغباتنا وأهوائنا يبدو فى نظرنا ـ نحن ـ حكيما ومعقولا» كما يقول الأديب الفرنسي أندريه موروا.

ورغم تقديرى لما فى منطق زوجك من «حكمة» و«عدل» فإننى أقول لك أن «الظروف» التى قد يستند اليها زوج فى مطالبة زوجته بألا تبخل عليه بمثل هذه التضحية حتى ولو كرهتها فى أعماقها ليست متوافرة بأى حال من الأحوال فى حالتك وبالتالى فإن اتهامك بالأنانية وعدم التضحية من أجل زوجك ليس فى حقيقة الأمر سوى إسقاط نفسى من زوجك عليك يدفع به عن نفسه تهمة الذاتية والأنانية هذه فلست أنت الزوجة المحرومة من الانجاب وهو الزوج القادر عليه فيتلهف لأن يتزوج أخرى تحقق له أمل الأبوة ويرجوك أن تتنازلى عن مشاعرك الشخصية ارضاء له ولا أنت

الـزوجة المريضــة العاجـزة عن تلبيـة احتياجـاتـه العاطفيـة والانسانيـة فيلتمس ما ينقصــه فيك لدى غيرك، ولا أنت الزوجـة الكارهة أو المكـروهة التى تنغص عليه حياته وتسومه سوء العذاب لكنه يتحمل عناء حياته معك كيلا يهدم أسرتـه ويمزق أطفالـه بينكما.. فيهفو قلبه الى نســائم السعادة والحب مع أخرى ويطالبك بقبول الأمر الواقع كخيار بديل للطلاق!

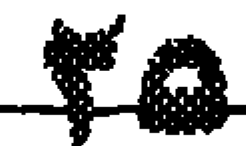
فبأى منطق يبرر زوجك مطـالبته لك بهذه «التضحيـة» المضحكة وهـو الذى يتمسك بك ولا يتخيل امكـانية انفصــالك عنه، وينهار بـاكيا اذا أحس بقرب نفاد صبرك عليه؟

وبأى منطق يحاول اقناعك بأن قلـوب الرجال تختلف عن قلـوب النساء فتتسع لحب أكثـر من امرأة فى نفس الـوقت وبنفس الدرجـة من المشـاعـر والأحاسيس؟ يا سيـدتى انها مغالطة فاضحة لا أتصـور أن يكون جادا فى الاقتناع بها، فقلـوب الرجـال كقلوب النســاء لا تتسع فى الوقت الـواحد إلا لحب حقيقى واحد حتى وإن حملت بعض المودة لغيره. والحب طائر شديد الأنانية لا يقبل شراكة أحد فى نفس اللحظة.. ولا نفس المرحلة من العمر.

ومشكلتك هذه ما كان أسهل على زوجك من حلها لو واجه نفسه بصراحة وشجاعة نفسية، فسألها: هل يحبك حقا كما يؤكد لك أم لا يحبك؟ فإذا كان الجواب بالايجاب فـلا مجال لأى مناقشة فى هـذا الموضـوع العجيب.. واذا كان الجواب بالنفى فليتصرف وفقا لما يراه محققـا لسعادته ومحققا للعدل معك ذلك أن أسـوأ حقيقة خير لنـا من أجمل زيف ونصف شقاء الانســان دائما يرجع فى تقـديرى إلى عجزه عن مـواجهة مشاكلـه بواقعية وشجـاعة نفسية وأدبية بغير لىّ للحقائق، وبغير الاصرار على أسلـوب «حرب الخنادق» التى تطيل معانـاته وتعذبـه برغائب لا تتحقق.. ولا يتنـازل عنها فى نفس الوقت. ففى حـرب الخنادق يقف كل طـرف فى موقع ثابت ويطـالب الآخر بالاستسلام لمطالبه والقبول بها.. فتمضى السنـوات وكل طرف عند موقفه لا يغـادره ولا يتنازل فى نفس الـوقت عن مطـالبه مكتفيـا بانتظـار تهاوى الطرف الآخر وتسليمه برغباته.. ومتكبدا طوال ذلك المعاناة النفسية والآلام!

ولا حل لمثل هذا العذاب سوى أن نتعلم فى بعض مواقف حياتنا المصيرية استخـدام هذه القـاعدة البسيطـة فى التعامل والتى تترجمهـا هذه العبـارة الأمريكية الشائعة خذهـا.. أو اتركها!

بمعنى أنـه إمـا أن تقبل بما هـو معـروض عليك وتـرضى عنـه وتكيف



حيـــاتك وفقا له.. واما أن ترفضه وتتحمل تبعات ذلك وتوائم حياتك معها. أما أن تـرفض القبول بالمعـروض وترفض التخلى عنـه فى نفس الوقت لأنك تصر على تطويع هذا المعروض لرغباتـك.. فلا معنى له إلا استمرار المعاناة لجميع أطراف المشكلة..

لهذا فلست أرى لك أن تتنـازلى عن زوجك لأخرى ليس لها فيـه بعض ما لك عليـه من حقـوق ولا أرى لك بالطبـع قبول شراكتهـا معك فيـه.. لكنى أطالبك فى نفس الوقت بأن تحددى موعدا نهائيا وعادلا لوضـع نهاية لعذاب حرب الخنادق التى لا تحسم موقفا.. ولا نصر فيها ولا هزيمة.

ولأنى استشعر حبـك لزوجك وشدة رغبتك فيـه فإنى اطالبـك بإعطائه مهلة أخيرة يثوب فيها الى نفســه ويخرج من خندقه فيكتفى بك ويطرح عن راسه هـذه الخزعبلات التى يحاول اقناعك بها، أو يـواجه نفسه بشجـاعة وأمانة ويتصرف معك وفقا لما تمليه عليه هذه الأمانة.

فإذا كان قـد سعد بتنازع امرأتين عليـه بعض الوقت.. فيكفيه مـا أحسه من « انتشــــاء » حتى الآن بسبـب ذلك ولا يجوز لـــه أن يطـــالب الاثنتين بـاستمـرار «الـروايـة» أكثـر من ذلك، وان كنت لا أرى أى مبرر للنشـوة والانتشاء.. اذ لا يعدم أى رجل مهما كان شأنه أن يجد ذات يوم من ترغب فيه ولا تعـدم أية امـرأة مهما كان شأنها أن تجد طـامعا فيهـا، وما أسهل الضعف والخطأ على ذوى الإرادة الضعيفـة.. ومــا أسهل الترفع عنـه على ذوى النفـوس الكبيرة، وأكبر ا لكـوارث انما تبدأ دائما بـالأخطـاء الصغيرة لهذا يقـول لنا الشـاعر الانجليـزى وليم بليك انه من الأفضل لنـا أن نقتل مولودا فى المهد من أن نربى رغبات وأهواء لا نستطيع تحقيقها.

وزوجك لم يقتل المولود فى المهـد للأسف.. لهذا فهو يواجـه الآن موقف من ربى رغبـة مستحيلـة لا يستطيع تحقيقهــا.. وبـدلا من أن يـرجع عن خيانته للحب والوفاء ويندم عليها ويعتذر عنها راح يطالبك بمساعدته على تحقيقها بقبـولك زواجه من الأخرى مع استمرارك معـه، لأنه لا يحتمل أن يفقـدك ويضحى بك لتحقيق رغبتـه، ولا يحتمل أن يضحى بهذه الـرغبـة لسبب «رهيب» هو أنـه لا يريد أن يعيـش حياته معك وهـو ينطوى لك على احساس باللـوم أن كانت له ذات يوم «رغبـة صغيرة» فى امرأة أخرى لكنك بأنانيتك فى الحب ـ يا للقسوة ـ قد حرمته منها!

وصدق سبحـانه إذ قال: واذا أنعمنا على الانســان أعرض ونأى بجانبه.. واذا مسه الشر فذو دعاء عريض».

٢٦

٣٠ قصة حب واقعية

الحافة الخطيرة

أنا شابة عمرى ٢٥ عاما حصلت على شهادتى الجامعية من احدى كليات القمة وعملت عملا حكوميا جيدا، وظروف المادية لابأس بها ولى سيارة صغيرة لكنى لست سعيدة فى حياتى يا سيدى فأبى رحمه الله قد توفى منذ حوالى عشر سنوات.. وبعد رحيله عن الحياة مرضت أمى وعانت فى مرضها كثيرا وعانيت من أجلها كثيرا، فقد كنت أتألم لآلامها ولا أحتمل الحياة حين تشتد عليها آلام المرض ثم ساءت حالتها الصحية وتدهورت كثيرا حتى لقيت وجه ربها منذ حوالى سنة.. ومنذ رحيل أمى عن الحياة لم يبق لى أحد فيها، وأصبت بحالة اكتئاب شديدة وفقدت رغبتى فى الحياة، فأنا أعيش فى مسكن الأسرة مع شقيق يصغرنى ويدرس بكليته وله مشاغله الدراسية وأصدقاؤه وحياته.. فأذهب إلى عملى فى الصباح وأعود إلى مسكنى فى العصر فلا أجد شقيقى لأنه فى كليته أو مع أصدقائه.. وأظل أتجول فى حجرات الشقة، التى طالما شهدت صور حياتنا العائلية حين كان أبى على قيد الحياة وأمى تتمتع بصحتها.. وأنا وشقيقى طفلان نتمتع بحب أبوينا ورعايتهما. فأخرج من حجرة الى أخرى - ولا أجد إلا الصمت الموحش والفراغ، وأجلس أمام التليفزيون فلا أرى ما يعرضه. ولا أتابع ما أسمعه، وأدخل إلى فراشى ولما يعد شقيقى بعد فتتناوبنى المخاوف. والهواجس.. ويشرد النوم بعيدا عنى.

ومنذ عامين تعرفت فى عملى بشاب طيب فتبادلنا الاعجاب الصامت لفترة طويلة ثم تطور الاعجاب الى حب عميق لكنه لم يتطور فى طريق الزواج لأن امكانياته المادية ضعيفة.. ولم يستطع أن يقدم لى شبكة فالتقى بأخ أكبر لى يعيش فى مسكن مستقل مع أسرته وشرح له ظروفه ونيته فى خطبتى بعد أن تتوافر له الامكانيات اللازمة، ثم سافر للعمل فى إحدى الدول العربية منذ شهور فخلت علىّ الدنيا تماما.. ولم يعد يربطنى بالحياة إلا خطاباته ومكالماته التليفونية كل بضعة أيام.

وقد ساءت ظروفى النفسية كثيرا بعد سفره.. واشتد افتقادى لأمى

الحبيبة التى كنت أحكى لها عن كل شىء فى حياتى وتشاركنى همومى وتشير على بالرأى السديد فيما يشغلنى.

فأصبحت أمنيتى الوحيدة فى الحياة الان هى أن يعود فتاى من سفره ويستقر فى مصر مؤقتا ويعمل ونتزوج هنا فى شقتى وهى شقة صغيرة مناسبة بصفة مؤقتة، ثم نسافر بعد ذلك معا إلى أى مكان يتاح له العمل فيه، فأنا مستعدة لأن أعيش معه حتى ولو فى الصين — لكن المشكلة هى أن فتاى كأى رجل شرقى يريد أن يكون قادرا على شراء شقة للزواج ومقتنعا تماما بأن الخلافات بين أى زوجين انما ترجع أساسا إلى الأسباب المادية، ويريد أن يوفر الامكانيات المادية التى تضمن الاستقرار لحياتنا، وقد فشلت فى أن أقنعه بأن خلافات أى زوجين لا ترجع أساسا للأسباب المادية وإنما لعدم التفاهم وعدم الانسجام.

وهو الآن ظروفه غير مستقرة فى الدولة التى يعمل بها ولا يستطيع استقدامى اليها ويخطط لأن يبحث عن عمل أفضل فى دولة أخرى بعد أن ينتهى عقده بعد أربعة شهور وأنا أعرف جيدا أن الزواج يتطلب استعدادات كثيرة لكنى لا آبه بهذه الشكليات.. وأعرف أن ظروفى معه أفضل كثيرا من ظروف شباب آخرين.. فلدينا على الأقل شقتى التى نستطيع أن نعيش فيها مؤقتا.. لكنى أخشى أن يرفض مطلبى منه بالعودة بعد أربعة شهور لنتزوج ويستقر مؤقتا فى مصر يعمل بعض الوقت هنا ولن يتعذر عليه ذلك إلى أن يجد عملا بالخارج يستطيع أن يصطحبنى معه فيه.

إننى لا أريد أن أكون أنانية وأحرمه من حقه فى أن يبنى حياته.. لكنى لا أستطيع أيضا أن أتحمل وحدتى هذه أكثر من ذلك.. ففى كل يوم أعود إلى سكنى فلا أجد فيه سوى الفراغ والحزن والذكريات الأليمة وكل ما أريده هو أن أكون معه هنا أو هناك فهل أطلب منه تضحية كبيرة حين أطلب منه أن نعيش مؤقتا فى شقتى الصغيرة إلى أن تتحسن أحواله؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

لا يا آنستى ليست تضحية كبيرة ولا صغيرة أن تطلبى منه أن يعود لمصر بعد نهاية عقده الذى لن يجدده ليرجع إلى عمله السابق ويتزوجك

ويقيم معك فى شقتك الصغيرة بضعة شهور إلى أن يجد فرصة أفضل فى دولة أخرى كما يريد لنفسه ويحلم، بل انها عطاء منك ينبغى له أن يقدره لك ويزداد تمسكا بك واعتزازا، ولا يتعارض قبوله لعطاء الحب هذا مع رجولته ومسئوليته عنك مادام لن يستنيم إلى هذا الوضع وتخمد جذوة الكفاح داخله وإنما سيواصل كفاحه فى الحياة ليبنى نفسه ويشترى الشقة التى يريدها ويتكفل بكل مسئوليته عنك..

وهذا هو الفارق بين قبول عطاء الحب مؤقتا للاستعانة به على الظروف الصعبة وبين الاعتماد عليه وحتى النهاية.. وهو فى كل الأحوال لم يكن ليجدد عقده بالدولة التى يعمل بها وظروفه بها ليست مستقرة ولا تسمح له باستدعائك اليها.. ولهذا يتطلع للانتقال إلى دولة أخرى بعد نهاية عقده إذا أتيح له ذلك.. وهو أمر غير مؤكد.. وحتى لو كان متاحا ومؤكدا فماذا يمنع أن تكون محطته القادمة هى القاهرة وأن يطول توقفه بها شهورا قبل أن يعود لمواصلة كفاحه فى الحياة، لكى يجتمع شملكما ويبعد عنك شبح القلق والتعاسة والاكتئاب؟

إن زواجه منك لن يعترض طريق طموحه لبناء حياته بل ربما يسره له وأعانه عليه.. فالاستقرار العاطفى والعائلى من أهم أسباب النجاح فى الحياة.. والزوجة المحبة المخلصة مثلك قوة دافعة للأمام.. وليس إلى الخلف..

وهناك أولويات لأهداف الانسان ينبغى ألا يغيب عنه مراعاتها حرصا على من يهمه أمرهم واستشعارا لأهميتها التنازلية.. حتى لا ينشغل بأهداف لا يعوضه تحقيقها عما خسره من أهداف أخرى لا تعوض . فات أوان الحرص عليها.. فأنت فى حاجة نفسية وانسانية حرجة إلى اتمام زواجكما فى أقرب فرصة.

ولم لم يتحقق هذا الهدف فى الوقت الملائم فإن خسائرك النفسية لا يمكن تعويضها بسهولة أو خلال وقت قصير فأنت بصراحة تقفين على حافة الاكتئاب الخطيرة.. وظروف وحدتك وأحزانك وافتقادك لصدر الأم الحنون.. ورعاية الأب.. وخلو الدنيا عليك ترشحك كلها لمضاعفات نفسية لا يمكن تداركها بسهولة.

فى حين أن فتاك إذا رجع وتزوجك.. وتأخر حتى فى تنفيذ خطته للعمل فى دولة أخرى بضعة شهور أو عاما، فإن كل ما يخسره من جراء ذلك يستطيع تعويضه بكفاحه وشبابه.. بلا عناء كبير.. والانسان يستطيع دائما أن يعوض خسائره المادية لكنه لا يستطيع فى أحيان كثيرة أن يعوض خسائره النفسية بغير أن يدفع ثمنا باهظا من سعادته وسلامه. وهذا هو ما أقصده بالأولويات الجديدة بالاهتمام، فظروفكما المادية ليست حرجة بالقدر الذى يعجز كما عن بدء حياتكما والتعاون معا لاستكمال ما ينقصها خلال رحلة الحياة، لكن ظروفك النفسية هى الحرجة فعلا.. وهى الأجدر بأن يضعها فى مقدمة أولوياته إذ لن يستفيد شيئا لو كسب الدنيا كلها وخسرك.. إذا سقطت لا قدر الله فى بئر الاكتئاب، فإذا كان مقتنعا بأن الأسباب المادية وحدها هى المسئولة عن الخلافات بين أى زوجين فليعلم إذن أن لها أهميتها بالفعل فى تيسير الحياة وتجنب أسباب المشاكل، لكنها وحدها لم تخلق يوما السعادة.. ولم تصنع الحب.. ولم تؤمن حياة زوجية ضد أسباب التعاسة.. والشقاق. والنزاع. فالحب الصادق والتفاهم المتبادل أكبر أثرا فى ذلك يا آنستى كماتؤمنين حقا وصدقا مع عدم إغفال أهمية الجوانب المادية فى تيسير الحياة.

فاطلبى منه بلا تردد أن يرجع إلى القاهرة بعد نهاية عقده واعرضى عليه عرضك الكريم بأن تتزوجا على الفور فى مسكنك إلى أن يتاح له بكفاحه الشريف فى الحياة أن ينقلك إلى مسكنه الذى سيشتريه لك بثمار كده وعرقه فى أقرب فرصة.

وتماسكى أنت قليلا يا آنستى خلال فترة الانتظار والفراق حتى لا تعينى عليك أسباب الاكتئاب، ففراق المحبين رغم آلامه ليس شرا كله، والحكيم الفرنسى لارو شفكو يقول لك: ان النسمة الخفيفة التى تطفىء الشمعة هى نفسها التى تُذكى النار .. وكذلك الفراق فإنه يقتل الحب التافه. ويغذى الحب العظيم.

مع تمنياتى لك بالسعادة.. والأمان.

٢٧

«قصة حب» «قصة حب»
«قصة حب» «قصة حب»
«قصة حب» «قصة حب»
«قصة حب» «قصة
«قصة حب» «
«قصة حب
«قصة حب
«قصة حب» «ق

صورة تذكارية

أكتب لك يا سيدى فى احدى مناسبـاتى العائلية لأحكى لك قصتى. فمنذ سنوات طويلة كان أبى موظفا بسيطا بالحكومة تزوج من أمى وأنجب منها ابنتين وولدا هو أنا، وقبل أن أتم عامى الثـانى رحلت أمى عن عالمنا فتزوج أبى بعد فترة من سيـدة ريفية بسيطة أنجبت له ٥ بنـات فى ٥ سنين وهكذا وجدت نفســى حين بلغت سن الصبا ولـدا وحيدا على سبع فتيـات ووجدت أسرتى المكونـة من عشرة أفراد تعيش فى شقة صغيرة من حجرتين وصـالة تغـالب قسوة الظـروف وقلـة الدخـل، وحين تزوجت أختى الكبرى كـادت الأسرة تتـوقف عن الحيـاة من التقشف ووطأة التكـاليف، ثم أحيل أبى إلى المعاش بعـدها بعـام واحد فـانخفض الدخل إلى حـوالى النصف وأصبحت الحياة أشد مرارة.

ورغم قلة الـدخل وكثرة الأعبـاء فلقد كـان أبى مصمما على تعليم أبنائه ليجدوا لأنفسهم موطـىء قدم فى زحام الحياة، ولم تكن ظروفنـا تسمح لنا بترف الرسـوب فى المدرسة فواصلنـا تعليمنا تحت ضغط ظـروف لا ترحم حتى حصلت على الثانـوية العامـة بمجموع كبير رشحنى للالتحـاق بكلية الطب، وهنـا توقفت قليـلا لأفكـر.. كلية الطب؟ ومن أين لى بنفقـات الكتب والـدروس الخصـوصيـة فيهـا. وهل أستطيع أن أعتمـد فيهـا على نفسى وحـدها كما اعتمـدت عليها فى المراحل السـابقـة، وأقنعت نفسى بعد جهـد بأنى أستطيع ذلك فعـلا فالتحقت بكليـة الطب فى مدينتى السـاحلية، لكنى اكتشفت بعـد قليل كذب أوهـامى، فلم أستطع الحصـول على بعض الكتب حتى نهايـة السنة.. وتعـذرت علىّ متـابعة بعض العلـوم بـدون مساعـدة خارجيـة، ولم أجد مليما واحـدا لأدفعه ثمنـا لدرس خصـوصـى فضلا عما وجـدت نفسى فيــه من غـربـة داخل مجتمع الكليـة بمظهـرى البـائس وبملابسـى التى يرجع تاريخ بعضها إلى المرحلة الاعدادية، وهكذا رسبت فى أول سنة لى فيها رسوبا فاحشا، وانطـويت على نفسى حزينا لمدة ثلاثة أيام أشفق خلالها أبى وأخـواتى علىّ فلم يلمنى أحد، وبعد تفكير طـويل وجدت

انني أحتاج لكى أنجح فى الدراسة إلى العمل لكى أوفر لنفسى ثمن الكتب وبحيث لا يؤثر عملى على دراستى فبدأت من شهور الصيف أعمل وأستذكر دروسى معا، وكان العمل الذى اخترته بسيطا للغاية وقد بدأ بثلاثة جنيهات اقترضتها من أبى، فصحوت ذات يوم فى الفجر وذهبت إلى منطقة الملاحات واشتريت من الصيادين «شروة» سمك بساريا وضعتها فى كيس كبير ورحت أطوف على بيوت الأحياء القريبة لأبيعها بالقطاعى للأسر لتستخدمها كطعام للبط والدجاج ولم يسفر اليوم الأول عن ربح يُذكر، وفى اليوم الثانى شكوت للصياد الذى اشتريت منه بالأمس ذلك وشرحت له ظروفى فقال لى متألما انه ظن أنى اشتريت السمك لأسرتى فأعطانى السمك بسعر المستهلك، لكنى مادمت أشتريه كوسيلة للرزق فسوف يخفض لى السعر ويوصى زملاءه أيضا بذلك، وأعطانى فى هذا اليوم السمك بنصف سعر الأمس تقريبا، وهكذا بدأت رحلتى «كتاجر» سمك صغير على باب الله وبعد أسبوع رددت لأبى القرض الذى اقترضته منه وبعد شهرين آخرين بدأت أمد أسرتى ببعض القروش الصغيرة، وجاء العام الدراسى وانتظمت فى الدراسة ولم يتغير فى نظامى شىء سوى أن أعود للبيت فى الصباح لأبدل ملابس بائع السمك بملابس طالب الطب وان كانت لا تكاد تفترق كثيرا عنها! ثم أذهب إلى الكلية.. ونجحت فى السنة الاعدادية بصعوبة، وفشلت فى السنة الأولى ثم نجحت فى العام التالى ولحقت بى إحدى شقيقاتى فى نفس الكلية وأنا مازلت فى السنة الثانية، ووجدت عائد المهنة لا يسعفنى كثيرا فضلا عن طول المشوار إلى الملاحات فى الفجر وقررت أن أبحث عن عمل آخر أكثر إيرادا، وذات يوم كنت عائدا من مشوارى الصباحى فوجدت أمامى مخزنا لأنابيب البوتاجاز والعمال يضعون الأنابيب على عربات ترولى صغيرة وينصرفون بها. وبلا تفكير وجدت نفسى أتقدم إلى صاحب المخزن وأسأله عما إذا كان يريد عاملا جديدا فتفحصنى برهة ثم قال لى: من أنت يا ابنى؟ فعرفته بنفسى وأخرجت له بطاقتى الشخصية وبطاقة الكلية فتفحصها باستغراب ثم قال لى انه لا يستخدم إلا من يعرفه شخصيا من العمال لأنه يسلم كلا منهم عربة ترولى وبضع أنابيب لذلك فهو يخاطر إذا فعل ذلك معى، لكنه رغم ذلك يتوسم فىَّ الأمانة وسوف يستخدمنى ابتداء من الغد «ورزقى ورزقه على

الله » ! .. فاندفعت أصافحه بشدة وأهز يده وأشكره من كل قلبي.

وفي صباح اليوم التالي كنت أقف أمام باب المخزن أنتظره حتى جاء، وجاءت عربة البوتاجاز ووزع على كل منا نصيبه ورحت أدفع الترولل أمامي وأطوف على البيوت بعد أن حدد لي المنطقة التي أعمل بها فأدخل أول عمارة وأطرق بالمفك على الأنابيب، فتتفتح أبواب الشقق ويجيء النداء فأحمل الأنبوبة على كتفي وأصعد للشقة وأتولى فك الأنبوبة الفارغة وتركيب الجديدة وأقبض الثمن وأنزل وتفرغ حمولة الترولل فأعود مسرعا إلى المخزن لأحضر حمولة جديدة وهكذا واستمررت في هذا العمل أربع سنوات تحسنت خلالها ظروفي وظروف الأسرة قليلا فاشتريت الكتب لكن مظهري لم يتحسن بل ربما ساء رغم انى كنت أحرص على ارتداء الأفرول فوق ملابسي في المخزن.

ولأن للجسم طاقة لا يستطيع تجاوزها، فكثيرا ما كنت أبدو خلال الدروس العملية بالكلية التي تمتد أحيانا إلى ما بعد الظهر منهكا فاقد الحيوية واستلفت ذلك نظر زميلة لي بالكلية رقيقة وجميلة ومهذبة فوجدتها ذات يوم تقول لي: «مالك مبهدل وناير على نفسك دائما هكذا؟» ثم أحست بالخجل مما قالت وحاولت الاعتذار فهونت عليها الأمر ووجدت في سؤالها رغم قسوته نوعا من الاهتمام بي سعدت به، ولست في حاجة لأن أقول لك انني حتى هذه اللحظة وكنت في السنة الرابعة من الكلية لم أكن قد تنبهت بعد إلى أن في الكلية زميلات، أو ان في الحياة فتيات عدا أخواتي، فأنا مشغول بعملي الشاق وبدراستي وبظروف حياتي عن مثل هذا الترف فسعدت جدا باهتمام هذه الزميلة واطمأننت إليه وأصبحت كلما لقيتها أحييها وأتبادل معها الحديث.. وازدادت ثقة صاحب المخزن فيّ فأصبح يعطيني عربية بأربع عجلات تتسع لحوالي عشرين أنبوبة وخصص لي صبيا صغيرا يخرج معي ليحرس العربة حين أحمل الأنابيب إلى الأدوار العليا ولم يعد يضايقني شيء في هذا العمل سوى تحكم بعض بوابي العمارات وإصرارهم على عدم السماح لي بحمل الأنابيب بالمصعد وتمسكهم بأن يكون التسليم ولو للدور العاشر عن طريق السلم المرهق.

وذات صباح حملت أنبوبة بوتاجاز إلى شقة الدور الخامس من عمارة فاخرة جديدة أضافها صاحب المخزن إلى منطقتي بعد أن تركها أحد العمال

وسافر للعراق فدخلت إلى المطبخ وفككت الأنبوبة الفارغة وركبت الجديدة وأجريت لها الاختبار التقليدى وغادرت الشقة بسلام وحملت الأنبوبة الفارغة على ظهرى ومددت يدى إلى ربة البيت لأتسلم الأجرة فوجدت إلى جوارها فجأة زميلتى بالكلية إياها والتقت عيناى بعينيها فى لمحة خاطفة.. فتأكدت من انها عرفتنى رغم الأفرول المشحّم والمنديل الذى أربط به رأسى، لكنها لم تبد أى انفعال وأسرعت أنا أهرول على السلالم.. وأنا لا أكاد أرى طريقى من الضيق والهم ووقفت على باب العمارة لحظات حتى تهدأ أنفاسى، ثم ساعدت الصبى فى دفع العربة وأنا شبه غائب عن الوعى والخواطر تتدافع داخلى ماذا ستفعل؟.. هل ستذيع سرى فى الكلية ويتغامز الطلبة علىّ.. وهل سترحب بصداقتى بعد ذلك أم سترانى غير جدير بها؟.

وأمضيت فى البيت ثلاثة أيام لا أذهب خلالها إلى الكلية ولا أكاد أنام.. وبعد يومين سألت نفسى لماذا كل هذا الضيق وأنا لا أخجل من ظروفى أمام أحد؟ ووجدت الاجابة واضحة كالشمس أمامى.. لأنى غارق بغير أن أدرى فى حب هذه الزميلة الفاضلة حبا صامتا يملك علىّ عقلى وكيانى وأتطلع إلى مستقبل أفضل أتغلب فيه على صعوباتى وأصبح فيه جديرا بها وما حدث قد هدم هذه الأحلام!

وبقوة الألم وحدها شققت طريقى إلى الكلية فى اليوم الرابع وأنا أتحسب لكل نظرة من زميل أو زميلة فوجدت العيون خالية من أى تعبير ثم جاءت هى بنفس النظرة الهادئة المهذبة التى عهدتها فيها من أول يوم وقالت لى بلهفة: أين أنت؟ أريد أن أتحدث معك! وانتحت بى جانبا من الكلية وسألتنى باهتمام عن قصتى فوجدت نفسى أحكى لها كل شيء، وعندما انتهيت كانت نظرة الاحترام تطل من عينيها وهى تؤكد لى اننى شاب مكافح شريف وأنها تتمنى لنفسها إنسانا مكافحا أمينا مثلى، وانها لا تعترض على عمل البوتاجاز فى شيء إلا فى انه مرهق ويسلبنى معظم قدرتى على الدراسة والاستذكار لذلك فهى تفضل أن أبحث لنفسى عن عمل أقل مشقة.. واختتمت حديثها قائلة: وسوف نبحث عن هذا العمل معا!.

يا إلهى لماذا لا تأتى السعادة غالبا إلا بعد مكابدة العذاب؟!! لقد عشت ثلاثة أيام فى الجحيم.. فإذا بكل آلامى تذوب فجأة وأنا أسمع هذه الكلمات

السحرية وأقبلت على الحياة من جديد وواصلت العمل فى البوتاجاز لمدة شهرين فقط بدأت بعدهما أعمل كمدرس خصوصى لطلبة الاعدادى فى المنازل والمساجد، ورغم انخفاض الدخل فلقد كان ما يأتى به هذا العمل خير معين لأسرتى ولى، وساعدنى بالفعل على إعطاء جهد أكبر لدراستى، وتخرجت فتاتى فى الكلية قبلى بعام ولم تنقطع عنها ولا عنى وتقدم لها خطاب كثيرون رفضتهم جميعا وشجعتنى على انهاء دراستى وتخرجت بالفعل وعادت فشجعتنى على التقدم لأسرتها وأنا مشفق من ظروفى ومن الرفض لكنى استجبت لها وتقدمت وليتنى ما فعلت، فقد سمعت كلاما كوى جسمى وقلبى بالنار، وخرجت مهزوما مدحورا ولم أشأ أن أحملها مالا طاقة لها به، فانسحبت من حياتها ومن المدينة كلها وطلبت نقل سنة الامتياز الخاصة بى إلى أحد المستشفيات فى أقصى الصعيد، وحملت ملابسى القليلة وسافرت إلى هناك ومضت الشهور ثقيلة مريرة وأنا أتابع أخبارها عن طريق شقيقتى طالبة الطب، وانتهت سنة الامتياز وبدأت سنة التكليف فى الصعيد وأفرغت كل طاقتى فى العمل وفى رعاية أسرتى على البعد.

ووجدت فى هذه المدينة الصغيرة البعيدة سلواى عن فتاتى التى لم أحب سواها وافتتحت بعد بضع سنوات عيادة صغيرة جعلت منها مسكنى وعملى، وعرفت وأنا هناك أن فتاتى قد أرغمت على الزواج من رجل أعمال «من بتوع اليومين دول» وانها غير موفقة معه، وحياتها جحيم لا يختلف عن جحيم حياتى.. ومضى عام آخر ونفسى لا تسلوها ولا تغيب عنى صورتها وفى الساعة الرابعة من مساء ذات يوم كنت جالسا فى غرفة الكشف بالعيادة أستعد لاستقبال المرضى حين فتح الباب ودخلت سيدة فرفعت رأسى إليها فإذا بها فتاتى بلحمها وشحمها، وقفزت أرحب بها وجلست تروى لى بدموعها قصتها، فقالت لى انها حصلت على الطلاق بعد حياة مريرة وزواج غُصبت عليه تحت ضغط الأهل، وانها بحثت عنى بعد الطلاق فى كل مكان من المدينة فلم تجدنى إلى أن عرفت أخيرا مقرى، وأقنعت أهلها بأن يعطوها حريتها فى اختيار شريك حياتها وركبت القطار فى الفجر لترانى.. وتسألنى هل مازلت راغبا فيها، ثم ترجع بنفس القطار بعد ساعة، فوجدت نفسى أقول لها على الفور: لن تعودى إلى مدينتك إلا وأنت زوجة لى على سنة الله ورسوله وتركتها فى العيادة وخرجت وعدت بعد

نصف ساعة ومعى مأذون البلدة وصاحب البيت الذى أقيم فيه وطبيب با لمستشفى الحكومى.. وعُقد القران، وشهد صاحب البيت والصديق الطبيب على العقد وطلبت منها أن تنهض لنلحق بالقطار، فقال لى الحاج صاحب البيت ولماذا تعود كل هذا الطريق فى الليل وهى زوجتك أمام الله والناس.. تعاليا معى إلى شقتى لنخاطب أسرتها فى التليفون ونبلغها بالخبر السعيد ونستأذنها فى بقائها معك إلى أن تنزلا بعد أيام فى اجازة، وسأعد لكما الشربات وعشاء الزفاف على بركة الله.. وفى مسكنه تم الاتصال التليفونى ووزع الشربات، وأطلقت احدى السيدات زغرودة فتساقطت معها دموعى ودموع زوجتى واحتفت بنا أسرته إلى أن نزلنا إلى مسكننا لنرتشف السعادة التى حرمنا منها طويلا ونهجع إلى السكينة بعد طول عذاب.

ثم سافرنا بعد يومين واسترضينا الأهل وباركوا زواجنا وسعدت به أسرتى وعدنا إلى البلدة الطيبة ونقلت زوجتى إليها، ووجدنا بعد شهور شقة أخرى لسكننا، وابتسمت لنا الدنيا أخيرا وتخففتُ من كثير من الأعباء فتخرجت شقيقاتى وأصبح لكل منهن حياتها، وكانت المناسبة العائلية التى أوحت إلىّ بالكتابة إليك الآن هو عيد الميلاد الثالث الذى احتفلنا به أمس لطفلتنا الوحيدة ثمرة الحب والعذاب «وفاء» فلقد وقفت مع زوجتى وبيننا طفلتنا لنلتقط صورة تذكارية لنا فوجدتنى فجأة أستعرض شريط حياتى ابتداء من «شروة السمك فى الفجر إلى سنوات الموتاجاز إلى سنوات الحب اليائس إلى الهزيمة والانحدار.. إلى عودة الحب الذى توجناه بالارتباط وبالطفلة التى اخترنا لها اسم وفاء!».

وقررنا أن نكتب إليك هذه الرسالة لعل البعض يجدون فيها ما يساعدهم على تحمل ظروفهم وما يحفزهم على ألا يفقدوا الأمل دائما فى غد أفضل يتحقق بالكفاح والإرادة والحب فنحن مازلنا نكافح لتحسين ظروفنا، لكن الكفاح فى ظلال الحب أهون كثيرا منه فى ظل الشقاء والتعاسة وهذا ما أردت أن أقوله لقرائك والسلام..

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

سعدت بنشر رسالتك هذه رغم انها لا تحمل مشكلة ولا تطلب رأيا.. لأن فيها فعلا ما يفيد الآخرين ويهدىء المشاعر ويبعث الأمل فى النفوس، فليس



برسائل المعنيين وحدها نتعلم الحكمة وإنما برسائل السعداء أيضا نثرى تجاربنا الانسانية ونفهم أسرار الحياة، ولو سطر كل إنسان تجربته فى الحياة على الورق سعيدة كانت أم شقية لأضافت بكل تأكيد إلى معرفة الآخرين بالنفس البشرية الكثير.. وفى الحق انه ليست هناك دائما تجارب شقية أو تجارب سعيدة من البداية إلى النهاية، لأن الحياة مزيج عجيب من الاثنين ولا بأس بذلك لأنه سنة الحياة، ولأن المهم هو أن يسقط المطر وينبت الخير فى النهاية لمن بذر الحب والوفاء والعطاء للآخرين كما فعلت. بل ولا عجب أيضا فى أن يعود إليك نصفك الغائب حتى ولو ضل الطريق إليك ثلاث سنوات، لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ولأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون !.

أن أجمل ما فى رسالتك ياصديقى هى أنها تخلو من نغمة الرثاء للنفس التى تسود رسائل كثيرين من القراء ربما لم يكابدوا بعض ما كابدته أنت فى حياتك من كفاح ومعاناة، وأروع ما فيها هى أنها تقول للآخرين بالتجربة الصادقة أن الإنسان قادر دائما على أن يحقق لنفسه بعض ما تصبو إليه بالكفاح وبالإرادة والصبر، فلقد استطاع الإنسان أن يتغلب على كوارث الطبيعة ويروض الوحوش ويستأنس الجوارح بقدرته على الكفاح والتكيف وتلمس أسباب السعادة فى أبسط الأشياء، فى حين عجز الديناصور الذى تفوق قوته قوة الإنسان عشرات المرات، عن أن يغالب ظروفه ويتكيف معها فانقرض واندثر وبقى الإنسان ينسج كل يوم قصص حبه وكفاحه ويبنى أعشاشه كل يوم وإلى أبد الآبدين.

لقد كانت رسالتك هذه ياصديقى نسمة رقيقة تنسجها وسط «الأنين» الذى ينبعث من مئات الرسائل الأخرى.. لكن لماذا ياربى لا تخلو حتى رسائل السعداء مما يثير الشجن ؟ ولماذا تخفق قلوبنا معهم وهم يتحدثون عن معاناتهم حتى إذا ما وصلوا إلى لحظة السعادة والتنوير التى يتبدد فيها الظلام ويجتمع الشمل .. وجدنا العين تندى معهم فى أفراحهم كأنه لابد دائما مما يثير الأحزان ولو فى لحظات السعادة !

٢٨

قصة حب واقعية

أيام الطفولة



أرجو أن تصـدق كل كلمة أكتبها لك لكى تشير علىّ بالـرأى السليم فأنا سيدة فى الثـامنة والعشرين مـن عمرى.. نشـأت فى أسرة متـوسطة الحال فى حى شعبى، وكعـادة أهل الحى كنـا نلعب فى الشـارع، الأولاد مع البنـات معظم سـاعات النهار وفى سـن مبكرة وجدت نفسـى أستكين تحت حماية «ولد» مـن أطفال الجيران فى التاسعـة من عمره بـدأ يمارس معى دور الأخ الأكبر فيمنعنى من اللعـب مع هـذا ويضرب من أجلى ذاك.. ولا أستطيع أن أتصرف أى تصرف بغير مشـورتـه أو أن أذهب إلى مكـان إلا بإذنـه وكأنـه الآمر الناهى فى حياتى!

وشجعنى على ذلك أنى كنت وحيـدة بـلا أشقاء ذكـور وانى تـربيت فى أسرة تعمل فيهـا أمى وأبى معـا فى محل تجارى صغير ولا تشعـر كثيرا باهتمام أبى أو بسيطـرته فـالأم هى التى تعمل معظم ساعـات النهار وهى التى تـدبـر حياتنـا، وتشترى لنـا مـلابسنا أمـا الأب فغير مبـال فى معظم الأحـوال، وهكذا وجـدت فى هذا الصبى مـا افتقدتـه فى أبى من قوة وحـزم ورعـاية، ولن أطيل عليك فى سرد ذكـريـات طفولتـى لكنى سأقول لك اننـا واصلنـا التعليم الابتدائى ونحن مـرتبطان بهذا الشكل حتى إذا وصلنـا إلى المرحلة الاعداديـة كنا قد أصبحنا مشكلة حقيقيـة بالنسبة لأمى التى كثيرا ما هددتنـى للابتعاد عنه وأيضا لأبيـه الذى كثيرا ما هدده وضربـه ليتوقف عن اعتبار نفسه مسئولا عنى!

وحين وصلنـا إلى أوائل المرحلـة الثـانـويـة لم يجد أبـوه مفـرا من أن يصطحب ابنه معـه إلى بيتنا ويقابل أبى ويعـرض عليه الأمر ضـاحكا.. ثم يطلب منـه قراءة الفاتحة على خطبتى لابنـه لكى يستريح من هـذا الصداع! ورحب أبى وتمت قراءة الفـاتحة، واعترف بنا الأهل كخطيبين وحين وصلت إلى الثانوية العامة عقـدنا القران ودخلت الامتحان ونجحت ونجح هو أيضا والتحق بكلية الزراعة والتحقت أنا بمعهد الخدمة الاجتماعية.

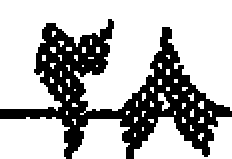
وبعد عـامين بدأ خطيبـى يستعد لإعـداد الجهاز فترك الـدراسة مـؤقتا

وعمل بائعا فى محل تجارى لكى يوفر متطلبات الزواج، وفى هذه الفترة بدأت معاناتى معه.. فكثرت مشاجراتنا.. وكلما تشاجرنا ترك العمل ويظل هكذا حتى أصالحه، وعرف هو نقطة ضعفى فاستغلها تماما، ونصحنى البعض بأن تكون لى «شخصية» معه لكنى لم أستطع قط يا سيدى، وكلما أفلتت أعصابه معى تحملت وقلت لنفسى انه يكافح لإعداد الجهاز ولا أحد يساعده وينبغى علىّ أن أصبر.

ثم تزوجنا بعد ٣ سنوات.. وطالبته بالعودة للدراسة فدخل امتحان السنة الثالثة من الخارج ونجح وحصل على البكالوريوس وحصلت أنا أيضا على شهادتى.

وكان المفروض أن تكتمل سعادتى.. لولا أنى لم أحمل خلال السنوات الخمس التى مضت من الزواج.. ولولا أن طبعه لم يتغير معى، فحياتنا معا دائما مزيج من السعادة والمشاكل فى نفس الوقت! وأيامنا إما سعيدة جدا.. وإما تعيسة جدا ومشحونة بالمشاجرات والغيرة والمشاحنات حول الحمل والانجاب، وكلما تشاجر معى امتدت يده علىّ بالضرب كما سبق أن ضربنى مرة ونحن مخطوبان فى الشارع ورغم ذلك فأنا أرفض تدخل أحد من أهلى أو أهله بيننا.. وواجهت معه مشاكل الحياة فبعد التخرج لم يعمل وإنما افتتح بمساعدة أبيه محلا صغيرا فى مكان بعيد لم ينجح واضطر أن يغلقه ويعود إلى الحى الشعبى الذى نشأنا فيه ويتخذ من «فترينة» على الرصيف مكانا لبيع بضاعته، وتحسنت الأحوال قليلا، لكنى كنت أضيق أحيانا بمشاجراته وضيق العيش فأترك له الشقة وأعود إلى بيت أبى غاضبة.. وأعجب لأنى لا أجد راحتى فى بيت أبى الذى طالما وجدت الراحة فيه من قبل.. أما أمى فتجدها فرصة لتكرار نصائحها لى بأن أنفصل عن زوجى، وأبحث عن الأمان مع غيره مادمت لم أنجب منه ولست مستقرة معه فيدخل كلامها من هذه الأذن ليخرج من الأذن الأخرى بلا أى تأثير، ثم بعد عدة أيام أجدنى أذهب إليه كالمنومة فى الشارع الذى يقف فيه وأشير إليه فما أن أرى ابتسامته حتى أنسى كل ما حدث وأرجع معه إلى البيت.

وذات يوم كانت أخت زوجى فى زيارتنا فخرجت فى الصباح الباكر لأمر ما ثم عادت بعد دقائق حاملة معها طفلا حديث الولادة «بالدم



والسرة» وعرضت حماتى علينا أن نحتفظ بهذا الطفل ونربيه لعله يهدىء نفوسنا ولم أتكلم وتمنيت من أعماقى أن يوافق زوجى.. فوافق وأخذنا الطفل فعلا وفرحت به فرحة كبرى وبدأت أنشغل به ساعات نهارى التى يغيب فيها زوجى، أما هو فلم يتغير فى شىء.. وراح يضربنى لأتفه الأسباب ولا ينقذنى منه حتى صراخ الطفل.. ورغم حبه له فلقد قال لى أكثر من مرة انه يريد طفلا من دمه.

ومضت الحياة بنا بالرغم من ذلك حتى عرفت انه اقترب من جارة له فى الركن التجارى الذى يقف فيه.. وانه يريد أن يتزوجها لكى ينجب منها فلم أحتمل أكثر من ذلك وحملت «ابنى» وعدت إلى بيت أسرتى، وطلبت من أبى أن يقابله ويطلب منه الطلاق وذهب إليه أبى واتفق معه على كل شىء.. وحدد معه موعدا لكى نذهب إلى الشقة و«نفك» الأثاث وننقله إلى بيتنا ثم نذهب معه إلى مكتب المأذون لنتم إجراءات الطلاق.

وفى صباح اليوم المحدد أحضر أبى عربة نصف نقل واثنين من الأقارب وذهبنا إلى شقتى لنتسلم العفش.. ووجدته ينتظرنا وأقسمت لنفسى ألا أضعف معه مرة أخرى مهما حدث فحييته تحية عادية وانشغلت مع الموجودين فى فك الأثاث وتحميله بالسيارة.. وبجمع الأوانى والصينى فى كراتين صغيرة ومضت ساعة ونحن نعمل وهو يساعدنا حتى أنزلنا الأثاث ولم تبق سوى بعض الكراتين فبدأت أستعد للانصراف إلى المأذون وقبل أن نغادر الشقة قلت له فجأة: «ابقى اسأل علىّ» فهز رأسه صامتا ثم أمسك يدى وقبلها.. فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أقبل يده وأبكى وأبى واقف مندهش ومذهول أمامنا، وقريباى والسائق ينظرون إلينا متعجبين وبعد دقيقة أخرى من الصمت استجمعت إرادتى وطلبت من السائق وأقاربى على استحياء أن يعيدوا الأثاث إلى الشقة مرة أخرى فانفجر أبى فىّ صائحا: هو لعب عيال؟ والله لا أتدخل فى أمر لكما مرة أخرى وسأنصرف الآن، فإذا بسائق اللورى يقول لأبى منشرحا: انصرف انت فى سلام وقسما لأعيدن هذا الأثاث إليهما بغير أن أتقاضى من أحد أجر هذه «العطلة».. فلقد ذقت من قبل «مرار» هذه اللحظة وأعرف معنى خراب البيوت! ثم دفع القريبين إلى خارج الشقة وأعادوا الأثاث خلال دقائق وهم يتضاحكون وساعدونا

فى إعادة تركيبه وشكرناهم من أعماقنا وانصرفوا سعداء وهم يوصوننا بألا نفرط فى بعضنا البعض وأن نتقى وساوس الشيطان.

وعدت إلى حياتى مع زوجى من جديد يا سيدى.. لكنى أشعر ان شيئا بيننا قد انكسر فأنا أحبه لكنى أكره «أفعاله» وأنا لا أستطيع الاستغناء عنه لكنى أريد أن أعيش معه فى سلام، وهو يحبنى ولا يستطيع الاستغناء عنى لكنه لا يريد أن يحيا معى حياة طبيعية بلا مشاكل ولا مشاجرات.

إننى أقول لنفسى أحيانا اننى يجب أن أتحمل وأعيش معه وأرضى بالقليل لكى يحس بالأمان ويهدأ ويستقر.

وأقول لنفسى فى أحيان أخرى اننى يجب أن أنفصل عنه وأتعذب بعض الوقت إلى أن أنساه ثم أبدأ حياتى من جديد.

وبين هذا وذاك احترت واحتار دليلى وقد كتبت لك هذه الرسالة وأنا فى اشد حالات الضيق راجية أن تشير علىّ بالرأى السديد وأعدك بأن أعمل به، لكن أرجوك ألا تطلب منى الطلاق لأن معناه أن أحكم على نفسى بالموت وأن أحرم طفلا من أب يمكن أن يوجهه التوجيه السليم حين يكبر حتى ولو قال بعض الناس انه ليس ابننا.. فبماذا تشير علىّ؟

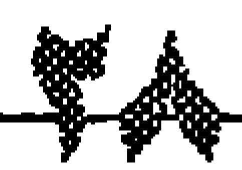
□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لم تدعى لى يا سيدتى مجالا للاختيار، فلقد حسمت الأمر كله برفضك أساسا لفكرة الانفصال.. وحسنا فعلت لأنك لن تستطيعى فعلا الانفصال عنه ولن يهدأ لك جانب إذا ما حُرمت منه، فهو تحت جلدك وممتزج بدمك وطفولتك وصباك، وأنت أيضا تحت جلده وممتزجة بدمه وحياته حتى ولو لم يدرك ذلك تماما الآن.

إذن فلا مكان لحل الانفصال فى القصة كلها.. لأنها قصة عمر وقصة حياة من هذا النوع الذى يقول فيه الشاعر:

كأن لم يكن فى الناس قبل متيّمٌ
ولم يك فى الدنيا سواك حبيبُ

وأنا أصدقك فى كل ما قلت.. وأعجبت كثيرا بشهامة هذا السائق الانسان وحكمته وأرى ان مثلكما لن يهنأ له عيش بعيدا عن الآخر ولو عاش فى قصور فاخرة، لأن سفينة كل منكما لن تلبث أن تعود إلى



مرفئها القديم مهما تقاذفتها الأمواج بعيدا عن الشاطىء فلا داعى للتجارب الفاشلة إذن.. ولا داعى لتكرار أخطاء الآخرين ممن تحدّوا أنفسهم وجربوا حظهم بعيدا فظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم وبدأوا حياة جديدة مع الغير وقلوبهم رهائن لدى آخرين فشقوا بحياتهم وأشقوا غيرهم.

غير أن آفة هذا النوع من الحب الملتهب هو انه لا يعرف وسطا بين السعادة والشقاء أبدا فإما سعادة لاذعة حرِّيفة وإما تعاسة حريفة ولاذعة أيضا، لأنه كالنار المتأججة دائما ومع ذلك فحتى التعاسة فيه لها مذاق خاص أرحم كثيرا من النوع الآخر البغيض.

وإذا كانت القاعدة القديمة تقول: ان من يحب أقل يسيطر أكثر، فالواضح انك تحبين أكثر وتسيطرين أقل! لكن لا بأس بذلك فليس بين المحبين حساب، والمهم هو أن تتجنبى هذه الحياة «الحريفة» اللاذعة وتستمتعي بسعادتها، ولا مفر أمامك من الصبر عليه إلى أن يزداد نضجا وحكمة وفهما للحياة.. ولا مفر أيضا من أن تحاولى التماسك أمامه قليلا لكيلا تشجيعه على تكرار الأخطاء السابقة معك. وأن تتجنبى المشاحنات معه بقدر الامكان، وأن تحاولى إقناعه بأنه حين يؤذيك جسديا إنما ينال فى الحقيقة من عمره وحياته ووجوده كله، وانكما قد شببتما عن الطوق ولم تعودا صغيرين يلعبان فى الطريق ويجوز بينهما ما كان يجوز وهما فى سن الطفولة أو الصبا.

وسوف تتحسن الأحوال بإذن الله حين تتحسن ظروفه المادية.. وحين تنضجه الأيام والليالى ويعرف قيمة الكنز الذى أعطته له الدنيا، وحين تعملين أيضا وتساعدينه فى تحمل أعباء الحياة، وحين يأذن الله لكما بالانجاب وحذار ساعتها أن تتخليا عن هذا الطفل المحروم فمن يدرى فلعل الله قد جمع بينكما من جديد وصان عشكما من الدمار حماية لهذا البرىء من الضياع.

٢٩

٣٠ قصة حب واقعية

القلعة الحصينة



أنــا يا سيـدى فتاة فى الســادسة والعشرين من عمـرى أنهيت دراستى بكليـة الطب وأستعـد الآن لدراســاتى العليـا للحصــول على الماجستير ثم الدكتوراة إن شاء الله ولقد كانت دراستى ومازالت هى اهتمامى الأول لكنه ليس الـوحيد فانـا حـريصة أيضـا على الاهتمام بمظهرى وقـد وهبنى الله جمالا لا تخطئه العين كما وهبنى القـدرة على حب الناس فكنت دائما ملجأ لزميـلاتى فى أوقات ضيقهن، أما بـالنسبة لزملائى فقـد تقرب إلىّ كثيرون منهم محاولين استمالتى لكنى لم أجـد فى نفسـى أى ميل لـلاستجابـة لهذه المحاولات المهذبة فكانت طريقتى هى الصد بمودة لا تقطع علاقات الزمالة ولكن بحزم أيضـا يمنع الزميل من تكـرار المحاولة بغير مـرارة فى النفوس أو إحساس بـالاهانــة، وكذلك كـان الحال مع من يتقدمون إلىّ عـن طريق الأهل والأصدقـاء ولم أكن أسأل نفسـى لماذا لا أميل لهذا أو لذلك فقـد كان قلبى موصدا كباب قلعة حصينــة وكان هذا دائما مثار قلق أبى وأمى ومثار دهشة صديقاتى وأختى الصغرى خاصــة انه لم يكن لدى وجهة نظر قوية أبرر بها رفضى المتكرر لمن يتقدمون لى.

ومنذ شهور لاحظت أن موتور سيارتى ليس على ما يرام فطفت بها على عـدة ورش لميكـانيكا السيــارات لكن خلل الموتــور ظل كما هــو فنصحتنى احدى صــديقاتى بالـذهاب إلى ميكانيكى تعـرفه مدحت لى كفــاءته وحسن معاملته، فأخـذت سيارتى وذهبت إليه وشرحت له مــلاحظاتى عليها فطلب أن أتركهــا له وأعود لأتسلمهــا بعد ساعتين وعدت إليــه فوجدتــه ينتظرنى وشرح لى العيب وكيف انــه بسيط لهذا لم ينتبــه إليــه زمــلاؤه ثم رفض أن يتقاضى مليما مؤكدا انه لم يفعل ما يستحق عنه أجرا.

فغادرته شاكرة.. لكنى لاحظت انى طـوال طريق العودة أفكر فيه.! نعم أفكر فيــه هو هــذا الميكانيكى الشــاب وليس فى أحد من أســاتذتى بــالكلية ولا أحد من زمــلائى أو أقاربى.. لماذا تتعجب؟.. وأنت بلا شك تعـرف هذه الأمور جيدا وتعرض عليك قصص أعجب منها؟

لقد وجدت نفسي منجذبة إليه بطريقة لم أعهدها فى نفسى من قبل فذهبت إليه بعد أسبوع بحجة الاطمئنان على حالة السيارة ووجدت عينىّ تتعلقان بوجهه الطيب السمح وعينيه الطفوليتين فتبادلت معه بعض العبارات عن السيارة ثم تركته وأنا عازمة على ألا أعود إليه مرة أخرى حتى أجنب نفسي عناء التعلق به لكن بعد يومين أبلغنى شقيق صديقتى ان الميكانيكى الشاب قد عثر على قطعة غيار لسيارتى سوف تحل مشكلتها نهائيا فذهبت إليه بالسيارة وأنا واثقة من انه يريد أن يرانى كما أريد أنا أراه.. ووصلت إلى محله فوجدته مهندما أنيقا وعلى شفتيه ابتسامة حائرة، وأبلغنى بأننا سنذهب معا إلى محل صديق له لإحضار قطعة الغيار وركب إلى جوارى فأحسست بأنه يريد أن يقول شيئا ولا يجرؤ عليه. وذهبنا إلى محل الصديق واشترينا القطعة وعدنا لتركيبها وانصرفت وأنا أعرف فى داخلى انى سأعود إليه مرة أخرى، وعدت بالفعل وتكرر ذهابى إليه بحجة إصلاح السيارة وفى كل مرة أراه فيها أكتشف جانبا جميلا فى شخصيته لم أكن أتصور أن أجده فى شخص يعمل حرفيا منذ صباه ووجدت مشاعرى كلها معه خلال خمسة شهور فقط، أما هو فقد تعلق بى بصورة حيرتنى وكلما لمح حيرتى قال لى انه وجد فى ملامحى أو شخصيتى شيئا يذكره بحنان أمه التى فقدها صغيرا وكلما بدأنا نتحدث فى الزواج وأحس هو من كلماتى أن رد فعل أبوىَّ سيكون معارضا إلى حد اعتبار زواجنا ضربا من المستحيل تنساب الدموع من عينيه فى صمت.

والآن أجد نفسي يا سيدى عاجزة تماما عن التفكير وعن التركيز فى دراستى وعن ممارسة حياتى الاجتماعية التى اعتدتها وكل ما يشغلنى وأفكر فيه هو كيف سأواجه أبى وأمى.. وماذا سيكون موقفهما وهما كأى أب وأم يتمنيان الحياة المستقرة لأبنائهما والمشكلة هى انى لا أضمن لنفسى هذا الاستقرار إلا مع من اختاره قلبى فكيف أقول لهما كل ذلك وأقوله لكل من ينكر أن القلوب والمشاعر لا تعترف بالشهادات مع ان من اختاره قلبى ليس أميا ولا جاهلا بل هو مثقف ثقافة لا يعرفها كثيرون من الجامعيين ويناقش أدق الموضوعات وله رأى صريح فى معظم القضايا التى تتناولها الصحف، كما انه مستقر ماديا ويستطيع أن يتحمل مسئوليتى كاملة إذا وافق عليه أهلى.

وأنا الآن يا سيدى أنتظر ردك على رسـالتى كالمتهم البرىء الذى ينتظر إما حكم البراءة وإما حكما قاسيا ولن أحاول التأثير على مشاعرك لكن فقط أود أن أذكرك أن ردك سيحدد مصيرى ومصير حبيبى لأنى عاهدت نفسى أن ألتزم بـه مهما كان مؤلما لى كحل أخير للخـروج من حيرتى التى شملت كل شـىء فى حياتى.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

كل قلعـة حصينـة يا آنستى لها فـارسهـا الـذى يدك بـابها فى الـوقت المنـاسب فينفتح بـابها أمـامه على مصراعيـه، وهـذا مـا حـدث معك لكنك تـواجهين اختيارا صعبـا بـالفعل وتضعيننى أنـا أيضـا فى اختيـار أصعب! ورأيى فى مشكلتك أنـى أؤمن بأن السعـادة شىء نـادر وثمين ويستحق المعاناة للحصول عليه والكفاح الضـارى للوصول إلى شاطئه، لكن تجارب الحياة قـد علمتنا أيضـا ان الانسان لا يتزوج من فتـاته وحـدها وإنما من أسرتها معها ومن وسطها العائلى والاجتماعى كـذلك وان كل إنسان هو ابن بيئته مهما حـاول أن يتملص من تأثيراتها عليـه. والحياة الزوجيـة ليست عـلاقـة رومانسيـة عـاطفيـة فقط وإنما شبكـة متـداخلة من العـلاقـات الاجتماعيـة والانسانيـة أيضـا وينـدر أن يصمد الحب على المدى الطـويل لمشـاكل اختلاف الطبـاع والعـادات الاجتماعية والقيم السـائدة بين بيئتين متفاوتتين بشـدة اجتماعيا وثقافيا وإن كـان ذلك لا يمنع صموده فى بعض الحالات القليلة لأن لكل قاعدة استثنـاء كما تعرفين. وأنجح الزيجات بصفة عـامـة هى الـزيجات التى تتـوافق فيهـا أحكـام القلب مع أحكـام العقل.. ويتوافر فيها التكافؤ بين الـزوجين من كل الوجوه، وفى عوامل التكافؤ فإنى لا أتوقف طـويلا أمام التكـافؤ المادى لأنـه أضعفها تأثيرا على الحب، لكنى أتوقف دائما عنـد التكافؤ الاجتماعى والثقـافى بين الطرفين لأنه فعـلا بؤرة الاختبارات التى تمتحن الحب وتعجم عوده، وفى حالتك فإن التكافؤ المادى متوافـر، والتكافؤ الثقـافى قد يمكن تجاوزه بصعوبـة لأن المعرفة والثقـافة متاحـة للجميع من مصادر عديـدة وهى ليست رهينة بالشهـادات العلمية والجامعيـة وحدهـا وإنما باستيعـاب الانسـان لحقائق العصر واهتمامـه بمتابعة ما يجرى حوله يبقى إذن العامل الهام وهو التكافؤ الاجتماعى بين

الأسرتين وبين القيم السائدة فى البيئتين وهو كما قلت أصعبها وأكثرها تأثيرا على استمرار الزواج ونجاحه أو فشله وانهزام الحب، لأنه امتحان يومي للتوافق.. أو الاختلاف حول أمور الحياة اليومية.. وأبسط سلبياته هو شعور الاستعلاء والتميز الاجتماعي الذى يمكن أن يحمله طرف تجاه طرف آخر فينعكس لدى الطرف الأخير فى الاحساس بالنقص الذى يفتح الباب لكثير من المشاكل، وغير ذلك كثير، وعلى سبيل المثال فإن ما يعتبر أمرا عاديا فى وسط معين قد يعتبر عيبا فى وسط آخر.. الخ واختلاف العادات والقيم سبب أساسى من أسباب انعدام التوافق وفشل الحياة الزوجية وحقائق هذا العامل بالذات ليست كاملة أمامي وأنت تعرفينها أكثر مني لذلك فإنى أترك لك الحكم عليه.. فإذا توصلت بعد تفكير هادىء إلى أن الوضع الاجتماعى لكل منكما شديد التناقض بما يمكن أن يهدد استقرار الحياة الزوجية فى المستقبل فمن واجبك أن تعترفى بذلك وأن تتخذى قرارك على أساسه، أما إذا توصلت إلى انه ليس متفاوتا بهذه الحدة، فاستجمعى إرادتك وشجاعتك وواجهى أبويك برغبتك فى الارتباط به وتحملى العاصفة حتى تمر.. واحرصى على أن تحصنى سعادتك بموافقة الأهل على زواجك وتأييدهم أو على الأقل قبولهم له. والأهل قد يرفضون ما لا يرونه محققا لسعادة أبنائهم بحساباتهم هم لكنهم إذا استشعروا صدق رغبة الأبناء فيما يريدون لأنفسهم واستقر فى يقينهم انهم لن يسعدوا إلا به فإنهم يسلمون برغبة الأبناء فى النهاية لأنهم لم يستهدفوا أصلا إلا ما تصوروه محققا لسعادتهم ولأنهم أيضا ومهما فعلوا لا يملكون لأبنائهم الراشدين سوى النصيحة والتحذير.

لهذا فالأمر كله بين يديك.. فإن اقتنعت اقتناعا كاملا لا يداخله الشك بأنه يستحق الكفاح مع أبويك لإقناعهما به فلا تترددى فى ذلك. أما إذا داخلك الشك ولو للحظة فى جدارته بالعناء وتحمل تبعاته فلا تترددى أيضا فى أن تضعى السطر الأخير لهذه القصة كلها وفورا لأن جرح الحب فى بدايته سريع الالتئام.. أما إذا تعمق واتسع وأصبح غائرا فإنه يحتاج إلى علاج طويل قبل أن يبرأ القلب منه ويسترد نضارته.. فاختارى لنفسك يا آنستى لأنك أنت من ستتحملين تبعة الاختيار وليس أحدا غيرك. وشكرا.

٣٠

٣٠ قصة حب واقعية

« قصة حب » قصة حب
« قصة حب » قصة حب
« قصة حب » قصة حب
« قصة حب » قصة
« قصة حب » ...
« قصة حب
« قصة حب
« قصة حب » قصة ...

زورق الحب والسعادة

« قصة لم يكتبها أبطالها »

كـان صديقى يعيش وحيـدا فى شقة مـن غرفتين بعمارة قـديمة بأحـد أحياء القاهـرة وكان فى ذلك الوقت شـابا مكافحا يجاهد لإثبـات ذاته وشق طريقه فى العمل ويخطط لنفسه ألا يتزوج قبل عدة سنوات يكون خلالها قد وضع أقدامـه على أول طريق النجاح وتوافـرت لديه الإمكانـات المادية لبدء حياة عائلية لائقة، ثم غادر مسكنـه ذات صباح متوجها إلى عمله فرأى فتاة جميلـة تنتظـر المصعد.. وبحـركـة عفـويـة نظر إليهـا فأحست بطـريقـة ما بـوجوده فى الجوار والتفتت إليه لا إراديـا فالتقت العيـون وسرى التيار الغامض فى الأثير فتجرأ صديقى وحيّـا الفتاة مبتسما فى ارتباك.. وبدلا من أن تنهره الفتـاة أو تتجاهلـه فوجئت بنفسهـا تومـىء برأسهـا إليه إيماءة خفيفة ردا للتحية فى خجل.

ولم يستطع الشـاب احتمال «الموقف» أكثـر من ذلك فـاتجه إلى السلم وقبل أن يضع قـدمه على أولى درجـاته التفت إلى نـاحية المصعـد «فضبط» الفتاة ترقبه فى اهتمام فـابتسم مرة أخرى.. وابتسمت.. وهرول على السلم مشغـول الخاطـر بهذه الفتـاة.. من هى.. ولماذا ارتبك حين رآهـا؟.. وكيف تجرأ على تحيتهـا وهو الشـاب الذى يتردد ألف مـرة قبل أن يحيى إنسانـا لا يعرفـه، ولماذا نظرت إليه وهـو يفر هـاربا إلى السلـم.. ولماذا ابتسمت؟.. وهل يراها مرة أخرى؟ وشغلته تساؤلاته طوال الطريق إلى العمل.

أما هى فلقد دارت برأسـها مثل هذه التساؤلات فى نفس اللحظة وتعجبت لنفسها ماذا أعجبها فى هذا الشاب؟ ولماذا خرجت على طبيعتها الخجول معه فأومأت برأسها ردا لتحيته.. ثم تابعته بأنظارها وهو يتجه إلى السلم حتى «ضبطها» وهى تنظر إليه باهتمام؟.

وجاء المصعد فركبته إلى غايتها وهى تسأل نفسها من هذا الشاب ولماذا شعرت بهذا «الضعف» المفاجىء تجاهه وهى التى لا تأبه بنظرات الإعجاب فى كل مكان؟ وماذا دهاها حتى فعلت ذلك وهى الفتـاة المخطوبة لشاب آخر تفخر به أسرتها وتعتبره فوزا عظيما!؟

أيكون هذا هو الحب من النظرة الأولى الذى يقولون عنه!؟

لابد أنه «الجنون» بعينه!

لكن «الجنـون» أيضـا قـد يصلح فى بعض الحالات النـادرة لأن يكـون بداية لقصة سعيدة.

وكان هـذا الصديق وهذه الفتـاة هما إحدى هـذه الحالات النادرة التى صنعها حب النظرة الأولى الذى يراه العقـلاء ضربا من الجنون. فلقد التقيا مـرة أخرى أمـام المصعـد فى اليوم التالى فى نفـس الموعد.. وفى هـذه المرة لم يتردد صـديقى فى أن يحييها تحيـة الصبـاح ولا هى ترددت فى أن تـرد عليه تحيته بابتسامـة صريحة ولم يهرول مبتعدا ومتحرجا هذه المرة وإنما «وجـد» الكلمات تتقافـز على لسانـه فسألها: هل أنت من سكـان العمارة؟ فأجابتـه بأنها «ضيفة» مؤقتـة على عمتها التى تقيم معـه بنفس الدور وفى اجازة قصيرة من حياتها ومن أسرتها لأنها على خلاف بسيط معها.

وكان «الخيـط» جاهزا لـلالتقاط فـالتقطه وسأل عـن أسباب الخلاف وعرف أنها خطبـت منذ شهور لشـاب ممتاز من أسرة كبيرة يعمـل بوزارة الخارجية وجـاهز مـاديا للـزواج فى أية لحظـة وقد خطبت إليـه بالطـريقة العائلية فرحبت بالخطبة فى البـداية أملا فى أن يولد الحب بينهما خلال فترة التعـارف، لكن اللحظة السحـريـة التى تـولد فيهـا شرارة الحب فجأة بين شخصين لم تأت.. وتأكـدت على العكس من ذلك من نفورهـا النهائى منـه وعـدم تـوافقهـا معـه، وأبدت رغبتهـا فى فسخ الخطبـة فـاتهمتهـا أسرتها بالجنون.. وتعجبت أمها من أمرها كيف ترفض شـابا مرموقا كهذا الشاب الذى تتمنـاه أى فتاة، مثلها. وماذا لا يعجبهـا فيه!؟ وبعد محاولات طـويلة اتفقت الأسرة على أن تعطى الفتـاة لنفسهـا فـرصـة أخيرة للتفكير الهادىء بعيدا عن الجو المتـوتر فى بيت أسرتها، ورحبت عمتهـا باستضـافتهـا خلال فترة التفكير والحسم فجـاءت إلى هذه العمارة والتقـى «الغريبـان» على غير انتظار.

أما المصعـد فلقد توقف أمـامهما عدة مرات صـاعدا وهابطـا ولم يفكر أحدهما فى فتح بابه.

وأما «الغـريبان» فلقد تبـادلا الحديث لفترة طويلة «واتفقـا» على تكرار

اللقاء لمزيد من التعارف والتفاهم وأما صديقى فلقد حكى لها فى اللقاءات التالية عن نفسه كل شىء «وأنذرها» بأنه ليس البديل المناسب لخطيبها القادر على توفير الحياة اللائقة لها التى كانت تنتظرها مع خطيبها المرموق لأنه شاب مكافح فى بداية طريقه العملى فلم تزدها صراحته معها إلا تمسكا به.. ثم خاضت الفتاة «معركتها» الخاصة مع أسرتها بإصرار حتى أقنعت أبويها بفسخ الخطبة ورد الهدايا والاعتذار للخطيب السابق.. وبدأت تمهد الطريق لفتاها لدى أسرتها حتى رضيت باستقباله.

وشهدتها أسرتها يوم الزيارة الأولى وهى تتفجر نشاطا وحيوية وبهجة.. ولاحظت بعجب الفرق الهائل بين حالها قبيل زيارة فتاها لأسرتها لكى يطلب يدها، وبين حالها حين كان يجىء خطيبها السابق فتشكو قبل مجيئه «الصداع» وتحاول الاعتذار عن مغادرة غرفة نومها لاستقباله فى الصالون، بحجة المرض.

وجاء الفتى فى زيارته الأولى لأسرتها فكانت هى أول من فتح الباب له واستقبلته بحفاوة ومرح وقدمته لأبويها فى افتخار، وتربصت لكل «بادرة» تحفظ أو فتور من جانب أمها أو أبيها فى معاملته، وتدخلت فى الحديث بلباقة وحسم حين سأله أبوها عن إمكاناته المادية وأجابت هى نيابة عنه بأنه شاب موعود بالنجاح وسوف يبنيان معا عشهما الجميل.. قطعة قطعة.

وسلمت لها أسرتها بما أرادت، فتزوج «الغريبان» بعد صعوبات ومشاكل هائلة.. وأقاما فى الشقة الصغيرة بأحد أحياء القاهرة غير الراقية، وتحول العش الصغير إلى واحة هانئة ينفث الحب فيها عطره الفواح.. وأضفت الزوجة الجميلة على الأثاث القليل لمساتها الساحرة فعوضت بساطة المسكن بعراقة الذوق الجميل.

ومضت الحياة بهما فى طريقها المرسوم فأنجبا طفلين.. وتحمل الحبيبان بشجاعة صعوبات البداية لسبع سنوات أو أكثر، حتى بدأ الفتى يجنى أولى ثمرات الكفاح فانتقلا من الشقة الصغيرة ذات الغرفتين، إلى شقة من ثلاث غرف فى حى أفضل وأرقى، وواصل الفتى صعوده بخطوات بطيئة فاشترى أول سيارة فى حياته لتنقلات الأسرة، ثم استقام ظهره ورسخت أقدامه فى مجاله المهنى.. فانتقل بأسرته بعد خمس سنوات أخرى

إلى شقـة من أربع غـرف فى الحى الـذى تقيم فيـه أسرة زوجتـه الحبيبـة، واشترى كل ماكان ينقصه من أثـاث لائق.. وغمر زوجته بالهدايا والملابس الفاخرة وألحق طفليه بمدرسة راقيـة، وكلما حقق خطوة جديدة على طريق نجـاحـه.. رجع إلى زوجتـه طـائرا على جنـاح الحب ليـزف البشرى إليهـا ويستمتع بنظـرة الـرضـا والفخـر فى عينيهـا.. ثم يترقب سماع الكلمات الساحرة التى يطرب لها فى كل موقف مماثل حين تقول له فى اعتزاز جميل:

— أرأيت؟ ألم أقل لك من البداية أنك سوف تصبح «أفضل الجميع» فلم تصدقنى وقتها؟

فلا يملـك إلا أن يلثم يدهـا وصدره يجيش بطـوفان من مشـاعر الحب والعـرفـان والامتنان.ومـازال زورق الحب يشق عبـاب النهـر بصـديقى وزوجته وأولادهما فى رحلته السعيدة حتى الآن.

نعم قد يتعكر ماء النهـر فى بعض الأحيان كما يحدث فى كل حياة.. لكنه لا يلبث أن يعود لصفائه خلال وقت قصير.. ويشف من جـديد عما فى قاعه من جواهر ولآلىء!

وقد تهب عاصفة عابرة تتلاعب بالزورق الصغير وتميل به ذات اليمين وذات الشمال كما قد يحدث فى كل رحلـة مماثلة.. لكن قائدى هـذا الزورق يتشبث كل منهما عند العـاصفة بموقعـه ويحتضن أطفاله لكيـلا يفزعهما صوت الـريح فلا تلبث العاصفـة أن تخمد وتنقشع الغيوم العـابرة ويهب النسيم العليل.

ومن مـوقفى على الشاطىء أرقب «بـالمنظار البحرى» زورق صـديقى المحب هذا وزوجتـه المفتونة بزوجهـا وهو يشق ماء النهر فى أيـام الصفاء الطويلـة.. وأيام «النـوّات» القليلة فـلا أزداد لهما إلا حبا واحترامـا.. فحتى نواتهما النادرة والقصيرة كنت أرى فيهـا «خلاف الحب»، ولاأرى فيها أبدا خلاف البغضاء أو التشاحن.. أو الأنانية.

وهذا هو الفارق الجوهرى بين زواج الحب الحقيقى وبين كل زواج آخر لم يجمع الحب قبله أو بعده بين قلبى طرفيه.

وإذا كان صـوت العقل يقول لنـا دائما: إن حب النظرة الأولى هـو قرين الجنـون، لأن الحب ليس وليـد نظـرة واحـدة وإنما وليـد تفـاعل بطىء



للمشاعر والأحاسيس فلقد أفلح «الجنون» فى حياة صديقى هذا وزوجته وحقق نتائج باهرة، ربما لايحققها فى الحالات المماثلة.. وكلمات اقتربت من حياتهما ولمست مساندة هذه الزوجة الجميلة لزوجها فى المواقف المختلفة «وايمانها» المطلق به وبقدراته وتميزه، تذكرت كلمات الشاعرة الأمريكية إلزى هى التى تقول:

أومن بك
قدمت حياتى بين يديك
وعاهدتك على السعادة
وحين تهوى النجوم من السماء
وتغطى البحار سطح الأرض
فلسوف تحمى أنت عشنا الجميل
وتسند كل ما يهوى ويسقط
لأن ثقتى فيك تمدك بالقوة
وحبى لك هو انتصارك العظيم!

فإذا سألتنى بعد ذلك.. ألم تغير الأيام وطول العشرة وطبيعة الإنسان الملول من أنغام سيمفونية الحب القديمة هذه.. أوهل يمكن حقا أن يكونا مازالا حتى الآن يتبادلان الحب الرومانسى الجميل الذى جمع بين قلبيهما منذ أكثر من عشرين سنة وبنفس الأحاسيس الرقيقة؟

إذا سألتنى ذلك أجبتك بلا تردد بأن كل شىء يتغير إلا قانون التغير كما قال لنا ذلك الفيلسوف الاغريقى القديم، لكن هناك فارقا جوهريا بين تغير المشاعر.. وبين تغير أساليب التعبير عنها تبعا لاختلاف مراحل العمر.

ولقد شكا لى صديقى نفسه من بعض أعراض هذا التغير الذى أصاب زوجته فى السنوات الأخيرة، فقال لى أنه كان فى مرحلة الكفاح لبناء عش الزوجية بعد عقد القران يقترض أحيانا من بعض زملائه عشرين جنيها لكى يدعو زوجته إلى العشاء فى كازينو صغير على النيل ويأتى الجارسون فيسأل زوجته برقة: ماذا تأكلين ياعزيزتى؟

فتجيبه بحزم: عصير ليمون!

وتفشل محاولاته معها لكى تطلب العشاء.. وتنسى للحظات إجراءات

التقشف التى تفرضها على نفسها وعليه لتدبير نفقات الزواج، فلا يلبث أن يسلم بالفشل بعد حين ويطلب كوبين من عصير الليمون!

أما الآن فإنه حين يدعوها إلى باخرة نيلية ملتهبة الأسعار وقت الغروب ليرقبا معا «القرص الأحمر الدامى» وهو يغيب فى صفحة النهر كما كانا يفعلان فى فترة الخطبة ثم يسألها أمام الجارسون:

ـ ماذا تشربين ياعزيزتى؟

فإنها تجيبه بنفس الحسم القديم:

ـ إسكالوب بانيه!

هاها.. هاها.. هاها

ويضحك صديقى من قلبه.. وتزمجر زوجته وهى تغالب الابتسام.

وأزداد أنا حبا للاثنين واحتراما!

رقم الايداع ٩٣٠٥ / ٩٦

الترقيم الدولى .I. S. B. N

977 - 08 - 0301 - 4

هذا الكتاب

أروع قصص الحب هى القصص الواقعية

التى لم يتدخل خيال أديب فى نسج وقائعها .. أو يفتعل أحداثاً أو انفعالات لابطالها .. فتأتى هذه القصص حية ويشعر القارىء بسخونة احداثها وصدقها .. ومن خلال هذه القصص ايضا يمكننا ان نحكم على علاقات الناس وخصوصا الرجل والمرأة والتقاليد والحياة الحقيقية داخل المجتمع ..

وعبدالوهاب مطاوع من خلال عمله مشرفا على بريد القراء لاكثر من ١٤ عاما استطاع ان يحصل على ثقة الناس .. يأتمنونه على أسرارهم ويفتحون له عقولهم وقلوبهم .. وأصبح يملك آلاف القصص الواقعية التى تضمنتها هذه الرسائل التى يحتفظ بها فى ارشيف خاص .. وقد اختار من تلك الرسائل ٣٠ قصة حب .. الهدف ان يكون هذا الكتاب تصويرا حقيقيا للحب هذه الأيام .. والقاء الضوء على علاقة الرجل بالمرأة فى مجتمعنا الحديث ..

انه كتاب مثير وفى نفس الوقت مفيد .

نبيل أباظة

عدد خاص

٥ جنيهات

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم